سيف الروح

سلسلة

مختبرين الحرية المطلقة

الخلاص بالنعمة

كولن داي

سلسلة سيف الروح

الخلاص بالنعمة

بقلم

كولن داي

جميع حقوق الطباعة و الملكية و الفنية و الأدبية محفوظة للمؤلف

English Original Title:
Salvation by Grace
Arabic edition @2017 by Colin Dye

Publisher:
Kensington Temple
KT Summit House
100 Hanger Lane
London W5 1EZ

swordofthespirit.co.uk

المحتويات

مقدمة ٥

١- القداسة والخطية والغفران ٩

٢- الاتِّساق الذاتي ٢٥

٣- البدلية والذبيحة ٣٩

٤- عهود النعمة ٦٣

٥- الخلاص والكفَّارة ٧٩

٦- الخلاص والإعلان ٩٥

٧- الخلاص والنصرة ١١١

٨- الخلاص والحياة الجديدة ١٣١

٩- بالنعمة من خلال الإيمان ١٤٧

مقدمة

الفعل الإنجليزي «save» بمعنى «يخلِّص/ ينقذ/ يوفِّر» [وفقًا للسياق]، وهو أحد أكثر الأفعال شيوعًا في اللغة الإنجليزية، ويُستَخدَم يوميًّا عشرات المرات مرتبطًا بكلمات مثل (time) أي «الوقت» (money) أي «المال» (goals) أي «الأهداف» (fuel) أي «الوقود» (animals) أي «الحيوانات» (stamps) أي «الطوابع» (paper) أي «الورق» (inner cities) أي «المدن الداخلية» (computer work) أي «عمل الحاسوب» (derelict buildings) أي «المباني المهجورة» (drowning people) أي «الغرقى» وهكذا.

على الرغم من أن هذا الفعل يُستَخدَم بطريقةٍ مذهلة في عدة سياقات مختلفة، إلا أن معناه العام واضح: أن نخلِّص شيئًا، بمعنى أن نحفظه وننقذه ونستعيده ونحرِّره من الخطر، ونمنع عنه سوء الاستخدام.

لكن عندما يرد الفعل في إطار المسيحية، فإن معناه يبدو أقل وضوحًا. على الرغم من أن معظم المؤمنين يفهمون أن «يخلُص» (being saved) تعني يُحفَظ ويُنقَذ ويُستَعاد ويُؤتَى به إلى الحياة، إلا أنهم غير واثقين تمامًا بشأن كيفية حدوث هذا الخلاص ونتائجه في الحياة البشرية.

الفكرة الأساسية للخلاص سهلة الفهم جدًّا: الله يَجِد الهالكين ويعطي حياةً للموتى ويطهِّر النجسين ويغفر للمذنبين ويحوِّل المهزومين إلى منتصرين ويُطلِق المأسورين وهكذا، لكن سبب وكيفية الخلاص يتضمَّنان بعضَ الأفكار الصعبة جدًّا.

يعرف المؤمنون الجدد بالفطرة معنى تلك الكلمة البسيطة «يخلص»، لكنهم سريعًا ما يدركون أن هناك العديد من الكلمات التقنية المرتبطة بها. يشعر البعض بالارتباك حتى يشرح لهم أحدٌ الفروق بين التكفير والعهد والاختيار والتمجيد والتبرير والقضاء والقدر والكفَّارة والفداء والولادة الثانية والتقديس وهكذا.

على الرغم من أن معنى هذه الكلمات التقنية يمكن أن يحيِّر المؤمنين، إلا أن الأفكار المهمة المرتبطة بها تشكِّل الطريقةَ التي نفكِّر بها في الخلاص، والطريقة التي نختبره بها والطريقة التي نصل بها إلى الآخرين بالأخبار السارة عنه؛ فهذه الكلمات – على أية حال – ليست كلمات تقنية في سياقها الأصلي، لكنها جزءٌ من كلمات الحياة اليومية للغة العهد الجديد وسياقه.

إن لم نجتهد في فهم الأسباب الكتابية الكاملة للخلاص وكيفية حدوثه وما ينطوي عليه، فسنجد أنفسنا نتحرك بعيدًا عن فهم النظرة الإلهية للخلاص الكتابي والتحرك نحو التفكير فيه والحديث عنه بطريقةٍ إنسانية التركيز غير نافعة.

هذا الكتاب موجَّه خصيصًا للمؤمنين المتشوِّقين لدراسة كلمة **الله** كي يتعلَّموا عن الخلاص، والحريصين على اكتشاف الإعلان عن طبيعة موت المسيح والقصد منه والطريقة التي جعلته فعَّالاً، وكذلك نتائج موته على الحياة البشرية.

هناك بعض المواد التعليمية الإضافية التي يمكنك أن تستعين بها كي تسهِّل من دراستك لهذا الكتاب. هناك مثلاً كتيب "دارسي سلسلة سيف الروح" (Sword of the Spirit Student's Handbook) وكذلك الموقع الإلكتروني (www.swordofthespirit.co.uk). ستجد في الكتيب مرشدًا تعليميًّا تكميليًّا يغطي كلَّ فصلٍ من فصول الكتاب، كما ستجد أسئلةً للمناقشة واختبارات قصيرة. يمكنك الحصول على المزيد من الاختبارات والأسئلة عندما تسجل بالاشتراك على موقع السلسلة. هناك أيضًا ويب تول (webtool) وهو عبارة عن نص الكتاب مضافًا إليه روابط لكل النصوص الكتابية الواردة به، بالإضافة إلى مواد تعليمية مرئية ومسموعة شاملة. تساعدك هذه المواد الإضافية على اختبار فهمك لما خرجت به من الكتاب وتعاونك على تطبيقه.

يمكنك أن تستخدم الكتيِّب للدراسة في مجموعاتٍ صغيرة، كما يمكنك أن تختار في روح الصلاة بعضَ أجزاء الكتاب التي تنطبق أكثر من غيرها على مجموعتك، وهذا يعني أنك ستستخدم أحيانًا مادة الكتاب كله وستستخدم في أحيانٍ أخرى بعضَ الأجزاء الصغيرة فقط، ولتكن منقادًا دائمًا بالحكمة والبصيرةِ الروحية. ويمكنك تصوير أي جزء من أجزاء الكتاب وتوزيعه على أفراد المجموعة التي تقودها.

وصلاتي بعد أن تنتهي من دراسة هذا الكتاب هي أن يكون لك فهم أفضل للطبيعة البشرية الساقطة ولشخص وعمل المسيح الرائعين وللطريقة التي يسود الصليب بها الكتاب المقدس ويوحده من التكوين إلى الرؤيا.

وأكثر من ذلك، أصلِّي أن تحتويك نعمة **الله** اللانهائية التي عملت في الخلاص متحملة كلفة غالية جدًّا، وأن تستجيب لهذه النعمة بأن تعيش خلاصك بالطريقة التي تجذب بها الآخرين لها من أجل خلاص أنفسهم.

كولن داي

الجزء الأول

القداسة والخطية والغفران

يوضِّح المَثَلُ الشهير الذي قاله يسوع عن الابن الضال، والذي ورد في (لوقا ١٥ : ١١ – ٣٢) قصةَ الله عن الخلاص؛ حيث يعكس نعمة الآب السماوي غير المشروطة التي خلَّصت الخطاة غير المستحقين.

كان الأب في المَثَل يتطلَّع إلى عودة ابنه وينتظره قبل أن يعود إلى المنزل بفترةٍ طويلةٍ. وبمجرد أن رأى ابنه آتيًا، أسرع وخرج إليه كي يرحِّب به بفرح محب غامر دون أن يوجِّه له أيَّ سؤالٍ عن دوافعه أو أفعاله الخاطئة. وجد الابنُ التوبةَ في حضن أبيه الذي قبَّله. لقد أذاب غفرانُ الأب غير المشروط قلبَ الابن وتسبَّب في إحداث تغييرٍ كاملٍ في سلوكه، ممَّا يدل على أن السلوك المتغيِّر يأتي نتيجةً للغفران وليس سببًا له.

إن مَثَل الابن الضال هو احتفاء واضح بالنعمة الإلهية العاملة في خلاص البشرية؛ فهو يشير إلى سخاء أبينا السماوي الذي يغفر لنا بنفس الطريقة عندما نعود إليه كأبناء ضالين. يكشف المَثَلُ عن المحبة غير المشروطة والنعمة التي لا نستحقها والتي أظهرها الآبُ لنا عندما خلَّصنا، لكنه لا يشير إلى الكلفة الباذلة لمثل هذا الغفران. يبدو الأبُ في المثل كأنه غفر لابنه دون أن يدفع الابنَ أو يدفع بديلًا له؛ أي ثمن، لذلك يجد البعضُ صعوبةً في فهم سبب اعتماد الغفران الإلهي على موت المسيح. يتساءل هؤلاء: "لماذا لا يغفر الله لنا – كما غفر الأب في المثل – دون أية ذبيحةٍ أو تضحيةٍ كثمن لهذا الغفران؟"

علينا أن نتذكر أن يسوع الذي قال هذا المَثَل كان في طريقه إلى الصليب

كي يصبح ذبيحةً بديلةً عن خطايا كل العالم، وبهذا توجد إمكانية للآب أن يغفر لكل الذين يعودون إليه بصورةٍ كاملةٍ ومجَّانية.

إن الذين يتساءلون عن الحاجة إلى الصليب قد فشلوا في أن يفهموا إما خطورة الخطية البشرية أو القداسة الإلهية. لا يفهم هؤلاء ميزانَ المواجهة بين العصيان البشري والكمال الإلهي. في الواقع، يقول الكتاب المقدس إن الخطية البشرية هي شيء راسخ لا يمكن إزالته، ويواجه قوة غضب **الله** القدوس التي لا يمكن مقاومتها.

وهذا يعني أن هناك سؤالاً آخر يجب أن نثيره بشأن الخلاص غير سؤال: "لماذا يريد **اللهُ** الصليبَ حتى يغفر لنا؟" يمكننا أن ننظر إلى الجانب الأصعب في حلِّه من زاويتين:

- كيف يمكن **لله** أن يُظهِر محبتَه في الغفران للخطاة دون المساس بقداسته؟
- كيف يمكن **لله** أن يُظهِر قداستَه في عقاب الخطية دون التخلِّي عن محبته؟

الخطية البشرية:

يستخدم العهد الجديد أربع كلمات يونانية أساسية بمعنى "خطية"، وعلى الرغم من أن هذه الكلمات تبدو مترادفةً إلى حدٍّ كبير، إلا أن ظلال المعاني التي تعطيها كلٌّ منها تساعدنا على فهم الطبيعة المُعقَّدة والمراوغة للخطية. تعبِّر كلُّ هذه الكلمات عن فكرة الفشل في التماشي مع مقاييس **الله** الكاملة، كما تصف الأعمالَ والتوجُّهات التي تفصلنا عن بعضنا البعض وعن **الله**.

(hamartia)

أن أكثر الكلمات اليونانية استخدامًا بمعنى "خطية" هي كلمة

(hamartia). تُستَخدَم هذه الكلمة في بعض الأحيان لوصف الأعمال الخاطئة الخارجية. لكن استخدامها الشائع يتعلق بوصف حالة الخطية الداخلية. تشير كلمة (hamartia) إلى القوى الأخلاقية الداخلية التي لا تُقاوَم والتي تتحكَّم في حياة البشر.

تصف كلمةُ (hamartia) الخطيةَ على أنها تصويبٌ يخطئ الهدفَ ويفشل في الوصول إليه. كما تشير إلى كلٍّ من العصيان الداخلي الذي لا يستطيع أن يقول: "نعم" لله، وكذلك إلى عدم التوافق الخارجي مع مقاييسه. يؤثر هذان الأمران على علاقتنا بالله القدوس. وإذا لم تتم إزالة كل الـ (hamartia) فسنظل منفصلين عن الله إلى الأبد.

ترد كلمة (hamartia) على سبيل المثال في (متى ١٢: ٣١) و(يوحنا ٨: ٢١، ٢٤، ٣٤، ٤٦ و٩: ٤١ و١٥: ٢٢، ٢٤ و١٩: ١١) و(أعمال ٧: ٦٠) و(رومية ٣: ٩ و٥: ١٢–١٣، ٢٠–٢١ و٦: ١، ٢، ٦، ١٢–١٣، ١٤، ١٦–١٨، ٢٠، ٢٢–٢٣ و٧: ٥، ٧–٩، ١١، ١٣–١٤، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٥ و٨: ٢–٣) و(١كورنثوس ١٥: ٥٦) و(عبرانيين ٣: ١٣ و٩: ٢٦ و١٠: ٦، ٨ و ١١: ٢٥ و١٢: ٤ و١٣: ١١) و(يعقوب ١: ١٥ و٢: ٩ و٤: ١٧ و٥: ١٥، ٢٠) و(١يوحنا ١: ٧–٩ و٣: ٤–٥، ٨–٩ و٥: ١٦–١٧).

(paraptoma)

تصيغ معظم ترجمات الكتاب المقدس هذه الكلمة بمعنى "تعدٍّ" أو "ذنب". وهي تعني "خطوةً خاطئةً" أو "تخبطًا وارتباكًا" والبعد عما هو حق وصحيح. تدل هذه الكلمة على الطبيعة الطائشة واللامبالية للخطية.

وهي ترد في (متى ٦: ١٤ – ١٥ و١٨: ٣٥) و(مرقس ١١: ٢٥ – ٢٦) و(رومية ٤: ٢٥ و٥: ١٥ – ١٨، ٢٠ و١١: ١١ – ١٢) و(٢ كورنثوس ٥: ١٩) و(غلاطية ٦: ١) و(أفسس ١: ٧ و٢: ١، ٥) و(كولوسي ٢: ١٣) و(يعقوب ٥: ١٦).

(parabasis)

تنم هذه الكلمة عن جانب الإرادة والتصميم في الخطية، وهي تعني "التخطيط وليس "التعثر" وتدل على انحرافٍ مُتعمَّد عن الطريق الصحيح وكسر للقانون مع سبق الإصرار. وهي ترد بمعنى "إثم" أو "تعدٍّ" في معظم ترجمات الكتاب المقدس.

ترد كلمة (parabasis) في (رومية ٢: ٢٣ و٤: ١٥ و٥: ١٤) و(غلاطية ٣: ١٩) و(١تيموثاوس ٢: ١٤) و(عبرانيين ٢: ٢ و٩: ١٥).

(anomia)

هذه الكلمة تعني "التمرُّد على القانون"، كما تعني "شرًّا" أو "إثمًا"، وهي تشير إلى عكس ما هو صحيح ومستقيم. ترد الكلمة في (٢ تسالونيكي ٢: ٣) كي توضح أن الشر الخارج عن القانون هو ضد الله.

ترد كلمة (anomia) في (متى ٧: ٢٣ و١٣: ٤١ و٢٣: ٢٨ و٢٤: ١٢) و(رومية ٤: ٧ و٦: ١٩) و(٢ كورنثوس ٦: ١٤) و(٢ تسالونيكي ٢: ٧) و(تيطس ٢: ١٤) و(عبرانيين ١: ٩ و١٠: ١٧) و(١ يوحنا ٣: ٤).

كلمات أخرى

يستخدم العهد الجديد بين الحين والآخر كلماتٍ يونانيةً أخرى لوصف أوجه مُعيَّنة من الخطية، على سبيل المثال:

- (adikia) والتي تعني "إثمًا"؛ أي ليس بالأمر الصحيح، ألا يفعل الشيء الصحيح – (لوقا ١٣: ٢٧ و١٦: ٨ و١٨: ٦) و(أعمال ١: ١٨ و٨: ٢٣) و(٢ تيموثاوس ٢: ١٩) و(يعقوب ٣: ٦).
- (adikema) وتعني "شرًّا" أو "فعلاً خاطئًا" – (أعمال ١٨: ١٤ و٢٤: ٢٠) و(رؤيا ١٨ : ٥).

- (poneria) وتعني "شرًّا مريعًا" – (متى ٢٢: ١٨) و(مرقس ٧: ٢٢) و(لوقا ١١: ٣٩) و(رومية ١: ٢٩) و(١ كورنثوس ٥: ٨).
- (paranomia) أي "كسر القانون" – (٢ بطرس ٢: ١٦).
- (opheilema) أي "مديونية" – (متى ٦: ١٢) و(رومية ٤: ٤).
- (aition) أو (aitia) بمعنى "خطأ" أو "جريمة" – (لوقا ٢٣: ٤، ١٤، ٢٢) و(يوحنا ١٨: ٣٨ و١٩: ٤، ٦).

الخطية

تعبِّر كلُّ هذه الكلمات اليونانية عن وضعٍ مثالي: إما مقياس نزيه فشلنا في التوافق معه أو عن حدٍّ تعدَّيناه عن قصدٍ أو بغير قصد.

يدل الكتابُ المقدس على أن **الله** أسَّس هذا الوضعَ المثالي، وأن طبيعته المقدسة ذاتها هي هذا الوضع المثالي وليست قائمةً بمجموعةٍ من القواعد الخارجة عنه، ولأن **الله** خلق الإنسانَ على صورته، فيجب أن تكون مقاييسه الشخصية هي مقاييسنا البشرية نحن أيضًا. نقرأ عن ذلك في (رومية ٢: ١٥).

يعلِّمنا الكتاب المقدس عن الخطية ويؤكِّد دائمًا على خطورتها؛ حيث يوضِّح أن الخطية هي أن يفشل الإنسانُ في أن يحب **الله** من كل نفسه وأن يرفض طاعته والاعتراف به كخالق ورب.

الإنسان بصفته مخلوق يعتمد على **الله**، لذلك فإن الخطية هي فعل وتوجُّه مستقل عن **الله** أو معتمد على الذات، وهي تنطوي على عداوةٍ **لله** كخالقٍ ورب ودائمًا ما تتضمَّن عصيانًا فعَّالاً ضد شخصه.

تبدو معظم الأفعال الخاطئة وكأنها تضر فقط بالأشخاص الذين تؤثر عليهم، على سبيل المثال، ربما بدت خطية داود مع بثشبع في (٢ صموئيل ١١) موجَّهةً ضد أوريا وميكال، لكن الخطية تعبِّر في الأساس عن تمرُّدنا

الشخصي ضد **الله**، وهذه هي الحقيقة العميقة التي يوضِّحها اعترافُ داود في (مزمور ٥١: ٤).

ينمِّي الكتابُ المقدس فهمَنا لكون الخطية تؤثِّر على **الله** في الأساس، وذلك عندما يوضِّح أن الخطية هي:

- عامة في كل البشرية (رومية ١ – ٣).
- توجُّهات داخلية وأفعال خارجية (مرقس ٧: ٢١ – ٢٣) و(رومية ١: ٢٩ – ٣١ و٧: ٧ و١٣: ١٣) و(١ كورنثوس ٥: ١٠ – ١٣ و٦: ٩ – ١٠) و(٢ كورنثوس ١٢: ٢٠ – ٢١) و(غلاطية ٥: ١٩ – ٢١) و(أفسس ٤: ٣١ و٥: ٣ – ٥) و(كولوسي ٣: ٥ – ٨) و(١ تيموثاوس ١: ٩ – ١٠) و(٢ تيموثاوس ٣: ٢ – ٣) و(تيطس ٣: ٣).
- عبودية لإبليس عدو **الله** (١ يوحنا ٣: ٨ – ١٠).
- علاقة بين عبدٍ وسيد (رومية ٦: ١٦ – ١٧).
- تمرُّد ضد **الله** (لوقا ١٥: ١١ – ٣٢).
- انعزال عن **الله** (يوحنا ٧: ٧) و(رومية ٥: ١٠) و(يعقوب ٤: ٤) و(١ يوحنا ٢: ١٦).
- عدم إيمان **بالله** (يوحنا ٥: ٢٤ و ١٦: ٩).
- عمى وظلام تجاه **الله** (يوحنا ١: ٤ – ٩ و٨: ١٢) و(١ يوحنا ٢: ٨ – ٩).
- عصيان (رومية ٦: ١٩) و(٢ كورنثوس ٦: ١٤) و(١ يوحنا ٣: ٤).
- مديونية **لله** (متى ٦ :١٢) و(كولوسي ٢: ١٤).
- كذب بشأن **الله** (رومية ١: ١٨، ٢٥) و(أفسس ٤: ٢٥) و(٢ تسالونيكي ٢: ١١ – ١٢) و(١ تيموثاوس ٦: ٥).
- انحراف عن **الله** (رومية ٢: ٢٣).
- عدم طاعة **لله** (يوحنا ٣: ٣٦) و(رومية ١١: ٣٠) و(١أفسس ٢: ٢).
- تستوجب دينونةَ **الله** (متى ١٢: ٣٦) و(لوقا ١٢: ٤٧ – ٤٨) و(متى ١١: ٢٠ – ٢٤).

- تؤدِّي إلى الموت والانفصال الأبدي عن **الله** (رومية ٦: ٢١ – ٢٣ و٧: ١٣) و(٢ تسالونيكي ١: ٩).

يوضِّح الكتابُ المقدس أنه لا يوجد أي إنسان – باستثناء يسوع – على الحالة التي خُلِق كي يكون عليها. لا أحد يتوافق مع مقاييس **الله** المثالية. أجزاء متعددة من الكتاب المقدس تصف هذه الحقيقة بطرقٍ مختلفة إلى حدٍّ ما. لكن الصورة العامة التي ترسمها واضحة جدًّا: يولد البشر في حالة انعزال عن **الله**؛ حيث إن الإرادة الإنسانية الحرة تميل إلى الشر منذ الولادة.

لقد تمرَّدت البشرية ضد **الله** وعصت قوانينه وسمحت لنفسها أن تقع تحت نير الخطية الذي لا يمكن أن تفلت منه بجهودها الشخصية، ونتيجةً لذلك أعمِيت البشرية عن مستقبلها وأصبحت جاهلةً بالله. ينعكس هذا الوضع بصورةٍ واضحةٍ في رفض البشرية للإيمان بالمسيح الذي هو وحده القادر على إنقاذها من الخطية ومصالحتها مع **الله** واستعادتها لوضعها الشرعي.

المسؤولية

نقرأ في (تكوين ٣: ١ – ١٣) قصة الخطية الأولى. نرى في هذا الجزء كيف حاول كلٌّ من آدم وحواء تجنُّب المسؤولية الشخصية عن الخطية؛ حيث ألقى آدمُ اللومَ على حواء، وألقت حواءُ اللومَ على الحية.

دائمًا يحاول الناس – منذ جنة عدن – إلقاء لوم ارتكاب الخطية على شخصٍ أو شيءٍ آخر – الجينات والهرمونات والتنشئة والمجتمع والظروف وهكذا، وعلى الرغم من ذلك، جاء كل نظام قانوني قائمًا على فرضية أننا أحرار في الاختيار وأننا مسؤولون عن اختياراتنا.

يقول البعضُ إننا مجرد حيوانات واقعين تحت رحمة غرائزنا، ويقول البعض الآخر إننا مُبرمَجون جينيًّا لنتصرَّف ونستجيب بطرقٍ معيَّنة، أو إننا سجناء لظروفنا الاجتماعية والنفسية لا حول لنا ولا قوة.

لكن مع ذلك يعمل كلُّ وجهٍ من أوجه المجتمع البشري على أساس الاعتراف العام بأن كل إنسان هو شخص حر يتمتع بالاختيار والمسؤولية الشخصية. تفترض كل القناعات البشرية (السياسية والإعلانات والتعليم والتبشير وهكذا) وكل الإطراء البشري واللوم البشري وجودَ مبدأ الاختيار الشخصي والمسؤولية الشخصية.

يقول الكتاب المقدس بوجود علاقة صراعٍ وتوتُّر بين الضغوط التي تؤثر علينا وبين مسؤوليتنا عن أعمالنا وتوجُّهاتنا. كما يعلِّمنا أننا قد ورثنا طبيعةً خاطئةً من آدم، وأننا عبيد لهذه الطبيعة الخاطئة وللعالم وأفكاره، وكذلك للقوى الشريرة، لكنه مع ذلك يؤكد على مسؤوليتنا أمام **الله** عن اختياراتنا وأعمالنا.

يوضِّح الكتاب المقدس أن **الله** يعرف ما نحن عليه، ويفهم الضغوط الواقعة علينا، ونتيجةً لذلك يعاملنا بصبر ولطف لا بمقتضى خطايانا، كما يفرِّق بين الخطايا التي نرتكبها سهوًا وتلك التي نرتكبها عن عمد. نرى ذلك في (مزمور ١٠٣: ١٠ – ١٤) و(إشعياء ٤٢: ١ – ٣) و(متى ١٢: ١٥ – ٢١) و(لوقا ٢٣: ٣٤) و(أعمال ٣: ١٧) و(١ تيموثاوس ١: ١٣).

وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس يعترف أننا في ذواتنا لا نستطيع أن نقاوم الخطية، إلا أنه يوضِّح أننا مازلنا كائنات مسؤولة أخلاقيًّا. يؤكد الكتاب المقدس أننا نتمتع باختيارٍ أخلاقي حر، كما يحثنا على طاعة **الله** ويقوِّمنا عندما نعصاه. توضح نصوص مثل (تثنية ٣٠: ١٥ – ٢٠) و(يشوع ٢٤: ١٥) مسؤوليتنا الشخصية عن اختياراتنا.

يجمع الكتاب المقدس – في توتُّر خلاق – بين حقيقتين متوازيتين هما سلطان **الله** والمسؤولية البشرية. يعلن يسوعُ عن هاتين الحقيقتين بنفس القدر كما نرى على سبيل المثال في (يوحنا ٥: ٤٠ و ٦: ٤٤). ويجب علينا نحن أيضًا أن نفعل نفسَ الشيء. عندما نتساءل عن سبب تجاهل أحدهم لرسالة **الله** الثمينة عن الخلاص، علينا أن نتذكَّر ما يعلِّمه الكتاب المقدس

في هذا الشأن؛ حيث يقول إنهم "لن" يأتوا إلى المسيح و"لا يستطيعوا" أن يأتوا إليه. لا يتعلق السبب بأحد الأمرين فقط بل بكليهما معًا. نتناول هذه المفارقة المهمة في الجزء الثامن.

المسؤولية الشخصية هي عطية ثمينة من عطايا نعمة **الله** ذات السلطان. إنها عطية تجعل من كلٍّ منا إنسانًا بصورةٍ متفردةٍ. إنها في الواقع جوهر الإنسانية والتفسير الأساسي، بل والأساس المنطقي ليوم الدينونة، فإن لم نكن مسؤولين مسؤوليةً شخصيةً عن أفعالنا وتوجُّهاتنا، فلا يمكن أن تكون هناك دينونة ذات معنى.

وهذا يوضِّح أنه على الرغم من الطبيعة الساقطة التي ورثناها، وعلى الرغم من قوة إبليس وضغوط ظروف التنشئة والبيئة الاجتماعية والجينات، إلا أننا مسؤولون مسؤوليةً شخصيةً عن أفكارنا وأفعالنا الخاطئة وعن عصياننا وعجرفتنا وكل اختياراتنا وقراراتنا.

القداسة الإلهية

تناولنا في كتابي "معرفة الآب" و"معرفة الروح" التعاليم الكتابية عن قداسة **الله** المثلث الأقانيم، نرى ذلك في:

- (لوقا ١: ٤٩) و(يوحنا ١٧: ١١) و(١ بطرس ١: ١٥ – ١٦) و(رؤيا ٤: ٨ و٦: ١٠) (قداسة الآب).
- (لوقا ١: ٣٥) و(أعمال ٣: ١٤ و٤: ٢٧ – ٣٠) و(١ يوحنا ٢: ٢٠) (قداسة الابن).
- (٢ تيموثاوس ١: ١٤) و(تيطس ٣: ٥) و(٢ بطرس ١: ٢١) و(يهوذا ١: ٢٠) (قداسة الروح).

ترتبط كلمة "مقدس" في أذهان الكثيرين بأمورٍ أخلاقية؛ حيث يعتقد هؤلاء أن معنى القداسة هو أن يكون الشخص خيِّرًا وحسن السلوك. لكن كلمة "قدوش" العبرية وكلمة "hagios" اليونانية والمرادفتين لكلمة "قدوس"

هما كلمتان وظيفيتان تعنيان في الأساس "منفصل تمامًا من أجل هدف واحد" أو "مُكرَّس لقضية معيَّنة".

الله مثلث الأقانيم هو "مقدس"؛ بمعنى أنه منفصلٌ عن كل الخليقة بطبيعته المتعالية السرمدية اللامتناهية الروحية التي بلا خطية والكاملة أدبيًّا. إنه "آخر كلية" و"مُنزَّه كلية".

وهذا يعني أن قداسة **الله** هي نتيجةٌ لمجموع صفاته وليس لصفةٍ بعينها، وأنها هي التي تفصله عن كل الخليقة، نرى ذلك على سبيل المثال في (خروج ٣: ٥) و(لاويين ١٩: ٢) و(إشعياء ٦: ٢ – ٣ و٥٧: ١٥) و(١ يوحنا ١: ٥).

لكن الأقانيم الثلاثة – الآب والابن والروح – هم أيضًا مُقدَّسون؛ بمعنى أنهم مُكرَّسون لبعضهم البعض. يمكننا، على سبيل المثال، أن نقول إن يسوع يعلن قداسته من خلال تكريسه المُطلَق للآب، وأن الروح يعلن قداسته من خلال الطريقة التي يجلب بها المجدَ ليسوع. إن تكريس الأقانيم الثلاثة المُطلَق لبعضهم البعض هو قداستهم.

لا تتَّفق الخطيةُ مع طبيعة **الله** الكاملة وقداسته، وهي بذلك تفصلنا فعليًّا عن **الله**. يعلن الكتاب المقدس صراحةً أنه ما من أحد يستطيع أن يرى وجه **الله** ويحيا. حتى هؤلاء الذين رأوا لمحةً من مجده، لم يستطيعوا أن يحتملوا رؤيته، نرى ذلك على سبيل المثال في (خروج ٣: ٦) و(إشعياء ٦: ١ – ٥) و(أيوب ٤٢: ٥ – ٦) و(حزقيال ١: ٢٨) و(دانيال ١٠: ٩) و(لوقا ٥: ٨) و(رؤيا ١: ١٧).

إن رد فعل **الله** المقدَّس تجاه الخطية يُسمَّى "غضبه". وغضب **الله** لا يشبه الغضبَ البشري في شيء؛ حيث إنه هو عدم القدرة الإلهية على التعايش مع الخطية والإدانة المستمرة لها. قداسة **الله** بطبيعتها دائمًا تفضح الخطيةَ وتكشفها، وغضبه دائمًا يعارضها. الخطية لا تستطيع أن تقترب إلى **الله** و**الله** لا يمكن أن يتساهل مع الخطية.

يستخدم الكتابُ المقدس أربعة تعبيرات مجازية يؤكِّد بها على هذه الحقيقة، على سبيل المثال:

- غالبًا يشير الكتاب المقدس إلى **الله** بأنه "العلي"، يعبِّر هذا الاسم عن أن **الله** "مُتعالٍ" ويؤكِّد على كونه مُنزَّهًا عنا كليةً، نرى ذلك في (تكوين ١٤: ١٨ – ٢٢) و(مزمور ٧: ١٧ و٩: ٢ و٢١: ٧ و٤٦: ٤ و٤٧: ٢ و٥٧: ٢ و٨٣: ١٨ و٩٢: ٨ و٩٣: ٤ و١١٣: ٤) و(دانيال ٣: ٢٦ و٤: ٢ – ٣٤ و٥: ١٨ – ٢١ و٧: ١٨ – ٢٧) و(هوشع ٧: ١٦ و١١: ٧) و(ميخا ٦: ٦).
- غالبًا يحذِّر **اللهُ** الشعبَ من الاقتراب منه بدرجةٍ كبيرةٍ. يوضِّح ترتيب خيمة الاجتماع والهيكل أن **الله** كان وسط شعبه، لكن لم يكن أحد منهم يجرؤ على الاقتراب منه بدرجةٍ كبيرةٍ؛ حيث لا يمكن للخطاة أن يقتربوا من **الله** القدوس بحرِّيةٍ. نرى ذلك في (خروج ٣: ٥ و١٩: ٣ – ٢٥ و٢٠: ٢٤ و٢٩: ٤٥ – ٤٦) و(لاويين ١٦) و(عدد ١: ٥١ – ٥٣) و(يشوع ٣: ٤) و(١ صموئيل ٦: ١٩) و(٢ صموئيل ٦: ٦ – ٧) و(متى ٧: ٢٣ و٢٥: ٤١).
- في بعض الأحيان، يصف الكتابُ المقدس **اللهَ** بأنه نورٌ لا يُدنَى منه وأنه نارٌ آكلة، وذلك كما في (تثنية ٤: ٢٤) و(١ تيموثاوس ٦: ١٦) و(عبرانيين ١٠: ٢٧ – ٣١) و(١٢: ٢٩) و(١ يوحنا ١: ٥).
- غالبًا يُشبَّه رفضُ **الله** للشر برفض الجسم البشري للسُّم عن طريق التقيُّؤ. لا يستطيع **الله** أن يتساهل مع الخطية والرياء؛ فهما أمران منفران تمامًا بالنسبة له، ويجب أن يُطرَدا من محضره. نرى ذلك في (لاويين ١٨: ٢٥ – ٢٨ و٢٠: ٢٢ – ٢٣) و(رؤيا ٣: ١٦).

توضِّح هذه التعبيرات المجازية عدم التوافق التام بين القداسة والخطية. لا يمكن **لله** بسبب طبيعته الكاملة وقداسته أن يُوجَد حيث توجد الخطية. ولو اقتربت الخطية من **الله**، فهي إمَّا تُفنَى أو تُطرَد.

يجب أن يتضمَّن فهمُنا لشخص **الله** الإعلانَ عن كونه يكره الخطية ولا يطيقها، وأن الخطية تغضبه ولا يمكن أن يقبلها، كما يجب أن يتضمَّن فهمُنا للخلاص كلًّا من حقيقة ثقَل وكآبة الخطية ونور قداسة **الله** المجيدة.

إننا لن نقدِّر مدى احتياجنا للصليب لو قلَّلنا من شأن الخطية ونظرنا إليها على أنها زلات نادرة وليست تمرُّدًا مستمرًّا. كما سنحتار كثيرًا في أمر الصليب لو فكرنا في **الله** على أنه أب متساهل وليس خالقًا مستاءً من الشرِّ.

الغفران

عندما ندرك مدى خطورة خطيتنا ومدى مسؤوليتنا الشخصية عنها، يمكننا البدء في تقدير نعمة الغفران الرائعة، لكن عندما نفهم الجلال المهيب لقداسة **الله** والمدى الكامل لغضبه على الخطية، سنجد أنفسنا نفكِّر في ما إذا كان هناك حقًّا إمكانية لمغفرة الخطية.

ربما يبدو طبيعيًّا على المستوى السطحي أن نفكر في سبب عدم تصرف **الله** مثل الأب في مثل الابن الضال، لكن عندما نفكر بعمق، فسريعًا ما ندرك أن الغفران هو أصعب عمل يمكن لإلهٍ قدوس أن يقوم به؛ فهو أصعب من كل الأعمال البسيطة مثل الخليقة والقيامة.

الخطية البشرية والغضب الإلهي كلاهما يقف في طريق خلاصنا. **الله** يحترم أن الإنسان هو ذلك المخلوق المسؤول الذي خلقه على صورته، وهو في ذات الوقت، يجب أن يعمل بما يتوافق مع طبيعته كإلهٍ كامل القداسة. تتناول الأجزاء من الثالث إلى الثامن كيف تعامل **الله** مع مشكلة القداسة هذه متمِّمًا خلاصنا بنعمته من خلال المسيح على الصليب.

من المدهش أن الكتاب المقدس يَعِد بمغفرة كل جانب من جوانب الخطية؛ فهو يَعِدنا بمغفرة الـ (hamartia) في (كولوسي ١: ١٤) ومغفرة الـ (paraptoma) في (كولوسي ٢: ١٣) والـ (parabasis) في (عبرانيين

٩: ١٥) والـ (anomia) في (تيطس ٢: ١٤) وهكذا، كما يوضح الكتاب المقدس أن مغفرة الله لها أربعة عناصر متمايزة:

- يؤجِّل العقابَ الذي يحتِّمه وجود الخطية، كما يزيل الحاجزَ الذي يوجد بينه وبين كل إنسان. يمكننا أن نسمِّي هذا "خلاصًا من جزاء أو أجرة الخطية".
- يزيل التعدِّي ويمحوه من ذاكرته؛ فهو يغطي الأعمالَ التي ارتكبناها ويمحوها حتى لا يراها أو يتذكرها مرةً ثانيةً، هذا هو "الخلاص من ذنب الخطية".
- يدمِّر حياةَ قوة الخطية في عمليةٍ روحيةٍ تزيل الاضطرارَ الأخلاقي لعمل الشر، وهذا هو "الخلاص من قوة الخطية".
- يمحو الخطيةَ ويقتلعها من جذورها، مدمِّرًا كل تأثير لها علينا سواء كان أخلاقيًّا أو روحيًّا أو شعوريًّا أو اجتماعيًّا أو نفسيًّا. هذه هي الحرية من وجود الخطية والتي سنختبرها في الحياة المستقبلية.

الغفران البشري

الغفران البشري هو عملية فعَّالة في الحياة اليومية تحدث داخل عقل شخصٍ جُرح أو أُسيئ إليه. عندما نغفر لشخصٍ ما، نقوم بهدم الحاجز الذي يوجد بيننا وبين المذنب حتى نستطيع أن نتواصل معًا بشكلٍ ودِّي مرةً أخرى.

المغفرة البشرية الحقيقية أكثر بكثير من مجرد عدم الثأر من شخصٍ أساء إلينا، وأكثر بكثير من مجرد تجاهل الإساءة وعدم معاقبة من ارتكبها في حقنا.

المغفرة الحقيقية تتضمَّن تغيُّرًا يبدأ في أفكارنا، ويعبِّر عن نفسه من خلال أفعالنا، وأخيرًا يعيد تشكيل مشاعرنا. إننا نمحو الإساءة من فكرنا تمامًا

وننهي تأثيرها السلبي على أفعالنا ومشاعرنا حتى تغدو شيئًا غير ذي أهمية بالنسبة لنا.

قبل أن نغفر، تقيم الإساءةُ حاجزًا من السخط والغضب وعدم الثقة والكره وهكذا، لكن بعد أن تُمنَح المغفرة، يمكن لمن نفروا من بعضهم البعض أن يعيشوا معًا في سلام.

الغفران الإلهي

ليست المغفرة البشرية صورةً مصغرةً من غفران **الله** أو نسخةً مطابقةً له. يوضح الكتاب المقدس أن **الله** غفر للبشر بعمقٍ ومدى لا يمكن حتى لأعظم مثال للمغفرة البشرية أن يعطي ولو صورة باهتة له.

لكن الكتاب المقدس يكمل هذه الحقيقة بوصفه للطريقة التي يتحرك بها ضد الخطية بكل قوة غضبه، لذلك، فإن المغفرة الإلهية تتضمَّن أيضًا الإزالة العادلة للإثم نفسه.

بطريقةٍ ما، علينا أن نواجه إغراءَ التركيز على واحدةٍ فقط من هاتين الحقيقتين؛ فالغفران والعدالة يتواجدان إلى جانب بعضهما البعض وكلاهما يفقد معناه عندما يتم الفصل بينهما. سريعًا ما يتعلم الآباء أن المحبة والعدالة يجب أن تتواجدا إلى جانب بعضهما البعض من أجل تنشئة أطفالهم بالطريقة الصحيحة.

عندما يواجه **اللهُ** القدوس الشرَّ، فعليه أن يتَّخذ ردَّ فعلٍ ضده؛ وذلك لأن المحبة يجب أن تواجه الشرَّ بالطهارة كي تبقى محبةً. لن يكون **الله** أكثر محبةً لو لم يعاقب الخطيةَ في إطار مغفرته له؛ فهو لن يكون مُحبًّا أو عادلاً لو لم يفعل ذلك. كما سينطوي ذلك على إنكار لطبيعته كـ**الله**.

لكن على الرغم من وجود الخطية التي تشعل غضبَ **الله**، إلا أن الآب يخطو خطوةً رائعةً بالنعمة ويقبل الخطاة كأصدقاء له ويقيم علاقةً حميمةً معهم. ربما يبدو هذا الأمر سهلاً جدًّا على أن يكون حقيقيًّا، وخاصةً عندما ندرك

مدى قوة إدانة **الله** القدوس لشهواتنا الخاطئة وأفكارنا الأنانية، إلا أن هذا المزيج من الغفران والإدانة هو قلب الخلاص وهو يُرَى دائمًا في شخص يسوع. إن الغفران الإلهي يظهر بصورةٍ شخصيةٍ ويقترب منا في شخص يسوع.

الغفران الإلهي هو عطية لا يمكن تفسيرها من المحبة النقية المُقدَّمة لخطاةٍ غير مستحقين تحتوي على حلٍّ لأصعب وأعمق مشاكل البشرية. رأينا في كتاب "معرفة الآب" أن **الله** هو من يأخذ المبادرة. "أبونا ومخلصنا" هو من يخطو الخطوة الأولى. ديَّان كل الأرض يأتي بالخطاة المذنبين كي يتمتعوا بمحبة الآب بشرط أن يختاروا أن يأتي بهم وأن يقبلوا محبته بإرادتهم، لكن حتى هذه الإرادة هي عطية من عطايا نعمته.

نعمة الآب

يسمع مؤمنون كثيرون عن ثمن الغفران وكلفة الخلاص أكثر مما يسمعون عن النعمة المجَّانية الفيَّاضة التي يقدِّمها الآبُ الذي بذل ابنَه الوحيد محبةً كي يعود الخطاة إليه.

لا يتحتَّم علينا أن نفهم كلَّ شيءٍ عن الخلاص حتى نحصل عليه، وليس علينا أن نقدِّر كلفةَ المغفرة قبل أن نستفيد منها؛ حيث يمكننا أن نفهم هذا فيما بعد.

لكن الشرط الأساسي للحصول على الغفران والتمتُّع به هو أن نستجيب لنعمة الآب بأذرع ممدودة بتواضع وبقلب فرح شاكر. علينا مثل الابن في المَثَل أن نأتي إلى الآب ونثق في كلمة **الله**. وهذا عنصر حيوي آخر لفهم خلاص **الله** الذي هو بالنعمة.

إن لم نكن ننظر للآب ونعمته، وإن لم يكن هو مركز إيماننا وخلاصنا، فمن الممكن أن نقدِّم للناس رسالةً تجعلهم يعتقدون أن أفضل ما يمكن

أن يترجوه هو أن يتسامح الآب مع الخطاة على مضض عن طريق شخص يسوع.

ربما نعتقد أنه لازال على الأبناء والبنات العائدين أن يُبقوا بعضَ المسافة بينهم وبين الآب، وأن امتناننا يجب أن يكون موجَّهًا ليسوع لأنه بطريقةٍ ما ضغط على الآب كي يسمح لنا بالتواجد في الغرفة الخلفية من منزل العائلة باعتبارنا خدم حقراء.

مثل هذا التفكير غير الكتابي يقود إلى السلبية والخوف وإدانة الذات وضعف التوقُّعات وغياب الجراءة والتقيُّد بالناموس. ربما يكون هذا هو ما شعر به الابن الضال وهو في طريقه إلى المنزل. تدل الكلمات التي رتبها كي يقولها لأبيه عند عودته على أنه لم يكن قد تاب بالفعل وأنه كان لا يزال غير واثق في لطف أبيه، وبالتالي كان لا يزال ضالًّا منفصلاً عنه.

لكن مثل هذه المشاعر لا تعبِّر بأيِ حالٍ من الأحوال عن الأب في المثل أو عن الآب السماوي الذي أرسل ابنَه إلى الكورة البعيدة كي يُعدَّ الطريق للمنزل، والذي ينتظر الآن بشوق حتى نمثل في حضرته كأبناء وبنات له في نعمةٍ غير مشروطةٍ واحتفالٍ لا حدود له.

أن يصبح الشخصُ مؤمنًا يعني أن يدرك أن الآب قد حدَّد هويتنا على أساس الصليب، وأنه الآن يدعونا أبناءً له، وهو يدعونا إليه كي نأخذ الميراث – حلة البنوية وخاتم السلطان وحذاء الحرية.

إن هذه النعمة المجَّانية التي يقدِّمها الآبُ هي التي أرسلت الابنَ كي يُعِدَّ الخلاصَ لنا، وعندما دفع الثمن، فتح الآبُ ذراعيه ورحَّب بجموع أبنائه الذين أحضرهم الابنُ إلى المجد بواسطة الروح.

الجزء الثاني

الاتِّساق الذاتي

عندما يسأل الناس: "لماذا كان موت يسوع على الصليب ضروريًّا للخلاص؟" يجيب المسيحيون عادةً مستخدمين كلمة "إرضاء".

على الرغم من أن كلمة "رضي" أو "إرضاء" لا تَرِد في الكتاب المقدس مرتبطةً بالصليب، إلا أن قادة الكنيسة عبر كل القرون ومن كافة التوجُّهات أكَّدوا على أن نوعًا ما من "الإرضاء" كان ضروريًّا قبل أن يغفر **اللهُ** القدوس الخطيةَ، لكنهم اختلفوا دائمًا بشأن إرضاء من ولماذا وبشأن موضوع هذا الإرضاء.

إرضاء إبليس

أصر بعض القادة منذ عهد الكنيسة اليونانية في القرن الثاني الميلادي على أن موت المسيح على الصليب كان هو الثمن الذي طالب به إبليس حتى يطلق سراح أسراه، وأن المسيح احتمل الصليب كي يوفي الشيطان حقوقه.

لكن كما يتجاهل بعضُ المؤمنين إبليسَ أو يحقِّرون من قوته، هكذا تبالغ تلك الفكرة في تقدير قوة إبليس وسلطانه، وعلى الرغم من أن إبليس أسَر البشريةَ من عدن حتى الصليب وكان سيد الخطية والموت، وعلى الرغم من أن يسوع أتى ليحرِّرنا من قبضته، إلا أن إبليس كان دائمًا عاصيًا ومغتصبًا. ربما يكون قد اكتسب بعض "الحقوق" على البشرية من خلال الخطية، لكنه لم يكتسب أبدًا أية حقوق "احتاج" **الله** إلى "إرضائها".

نتناول في الجزء السابع الهزيمةَ الكاملة لإبليس في الجلجثة، وبينما علينا أن نتذكر أن يسوع انتصر نصرًا حاسمًا نهائيًّا مخلِّصًا إيانا من

عبودية إبليس، إلا أننا يجب ألا نعتقد أن إبليس كان له أي حق أُجبر **الله** على إرضائه والوفاء به.

إرضاء الناموس

منذ أيام أمبروس (وهو من آباء الكنيسة اللاتينية في القرن الرابع) كان بعض المسيحيين الذين يشرحون الصليب يصرُّون على أنه كان يجب إرضاء الناموس. يقول هؤلاء إن الخطية تتجاهل شريعة **الله** وتعصاها، وإن الخطاة يجلبون على أنفسهم ذنبًا تلقائيًّا عندما يكسرون الناموس.

كما يصرُّون على أنه كان يجب الحفاظ على الناموس وتسديد العقوبات التي ينص عليها؛ فلا يمكن ترك الخطاة يفلتون ببساطة هكذا، لذلك، كان الصليب ضروريًّا للوفاء بمطالب الناموس.

غالبًا يستخدم هؤلاء المؤمنون الأصحاح السادس من سفر دانيال لدعم رأيهم: على الرغم من أن الملك داريوس كان يحترم دانيال ويريد إنقاذه، إلا أنه كان يجب تطبيق قانون فارس وتنفيذ العقوبة التي ينص عليها، وبنفس الطريقة، يقولون إن **الله** يحب الخطاة ويشتاق إلى خلاصهم، لكنه لا يمكن أن يتغاضى عن الناموس الذي يديننا، ومن هنا كان الصليب ضروريًّا.

لكن **الله** ليس مثل داريوس واقعًا في شرك بعض التعقيدات التقنية والتي بسببها وجد نفسه مُجبَرًا على الصليب، كما أن الناموس ليس مجموعة قواعد قانونية جامدة ذات عقوبات تلقائية تحدِّد أعمال **الله**. الناموس ليس مجموعة قواعد مُطلَقة خارجة عن **الله** وعليه أن يوفيها. إن طبيعة **الله** وليس الناموس هي ما يجب إرضاؤه في النهاية.

هناك بعض الحق في التركيز على الناموس؛ لأن (غلاطية ٣: ١٠ – ١٣) يعلِّمنا صراحةً أن المسيح خلَّصنا من لعنة الناموس بأن صار لعنةً لأجلنا. لقد كان يجب الوفاء بعقوبة الناموس، لكن هذا القول يختلف عن ذلك التعليم القائل بوجوب إرضاء الناموس ذاته.

وكما أن خلاصنا من إبليس لا يعني أن لديه حقوقًا يجب إرضاؤها والوفاء بها، كذلك لا يعني خلاصنا من الناموس أن للناموس مطالب على **الله** أن يوفي بها. الخلاص والنصر هما نتيجتان ترتبتا على الصليب، لكنهما ليسا سببين رئيسيين له.

رأينا في كتاب "معرفة الابن" أن الخضوع كان في قلب بنوية المسيح. على مستوى معين يمكننا القول إن خضوع يسوع للناموس كان أمرًا لا غنى عنه لإنقاذنا من لعنته؛ وذلك لأنه بهذا الخضوع أتم مطالب الناموس وتحمَّل لعنته، لكن عندما ننظر إلى الأمر على مستوى أعمق، سنجد أن الحقيقة هي أن يسوع خضع لشخص الآب وليس لمبادئ الناموس، وأن خضوعه للناموس من ناحية إتمامه له وتحمُّله للعنته كان مجرد نتيجة لخضوعه الشخصي للآب.

وكما أن **الله** لا يدين لإبليس بشيء، هو أيضًا ليس سجينًا للناموس. **الله** هو واضع الناموس ومشرِّعه، والناموس يُدين الخطيةَ فقط؛ لأن **الله** القدوس هو مصدره.

نرى في كتابي "الإيمان الحي" و"الاستماع إلى **الله**" أن كل كلمة من **الله** إنما هي إعلان ذاتي عن **الله**، وهذا يعني أن الناموس المقدس يعلن **الله** القدوس: لا يمكن فصل مطالب الناموس – بما في ذلك إدانته ولعنته للخطية – عن طبيعة **الله** نفسه.

وهذا يعني أنه ربما نكون أكثر دقةً إن قلنا بوجوب إرضاء **الله** القدوس بصورةٍ شخصيةٍ وليس بوجوب الوفاء بمجموعةٍ مستقلةٍ من القواعد المُجرَّدة.

إرضاء كرامة وعدل اللّه

يؤمن الكثيرون من الإنجيليين اليوم أن **الله** لا يدين للشيطان بشيء سوى عقابه على تمرده، لكنهم يؤمنون أن البشرية تدين بشيء **لله**، وهذا الشيء

هو الدَّين الذي كان يجب أن يُدفَع أو يُوفى على الصليب. نتناول هذه الفكرة في الجزء الخامس.

يصور بعضُ القادة **اللهَ** على أنه ضحيةٌ للخطية، ويفسِّرون الصليب من منطلق أنه إرضاء لكرامة **الله**. بدأت هذه الفكرة مع أنسلم الذي كان أحد رؤساء أساقفة كانتربري في القرن الحادي عشر.

وهناك آخرون يصوِّرون **الله** على أنه ديَّان الخطية ويفسِّرون الصليبَ من منطلق أنه إرضاء لعدالة **الله**. بدأت هذه الفكرة في القرن الثالث عشر مع توما الأكويني ودونس سكوتس (Duns Scotus) ثم تطورت بعد ثورة الإصلاح على يد كالفن وكرانمر وتم إدراجها في اعتراف ويستمنستر عام ١٦٤٧م.

القادة الذين يؤكدون على كرامة **الله** يقولون إننا بخطيتنا (وبعدم اعترافنا **بالله** كرب وعدم خضوعنا الكامل له) قد سرقنا الكرامة التي هي من حق **الله**، ولأن **الله** قدوس، فلا يمكنه أن يتجاهل مثل هذه السرقة. وإن كان سيغفر لنا، فعلينا أن نرد الكرامة المسروقة أولاً، لكننا لا نستطيع في الواقع. إن طاعتنا الحالية لا تعوِّض عن خطايانا السابقة، وهذا التعويض مطلوب منا على أية حال ولا يستطيع أي خاطئ آخر أن يوفيه نيابةً عنا.

يقول هؤلاء القادة إن **الله** في نعمته أرسل يسوع الذي هو "**الله** كليةً" و"إنسان كليةً" كي يقدِّم حياته التي بلا خطية إرضاءً لكرامة **الله** المُساء إليها، والنتيجة التي يصلون إليها هي أن تقدمة يسوع الكريمة لكماله المُطلق أعادت كرامة **الله** التي سرقتها البشرية.

أما الذين يركِّزون على **الله** كالديان ويؤكِّدون على إرضاء عدله، فيقولون إن هناك عدم توافق أساسي وغير قابل للمصالحة بين بر **الله** وإثمنا.

يصر هؤلاء على وجوب تهدئة وإرضاء غضب **الله** المستمر ضد خطية كل العالم، ويقولون إن الآب أرسل الابنَ الذي هو "**الله** كليةً" و"إنسان كليةً" وبلا خطية كي يرضي مطالب عدل **الله** ضد الخطية ويجعل الغفران ممكنًا.

لا يلتزم معظم المسيحيين التزامًا صارمًا بفكرةٍ واحدةٍ دون سواها فيما يتعلق بالإرضاء؛ على سبيل المثال، يعلم الكثيرون أن مطالب ناموس **الله** قد وفيت بطاعة المسيح الكاملة في حياته وموته، وأن عدالة **الله** قد أُرضيت أيضًا بذبيحة المسيح الكاملة عن الخطية التي تستوجب عقاب الناموس وذلك من خلال موته.

اللّه ذاته

الحقيقة هي أن كل فكرةٍ من هذه الأفكار بمفردها هي تفسير غير وافٍ لفكرة الإرضاء. ليس الناموس ولا الكرامة الإلهية أو العدل الإلهي هو ما يجب إرضاؤه، **الله** نفسه هو من يجب إرضاؤه. إن **الله** ليس مجرد ضحية أُسيئ إليها من خلال الخطية، أو مجرد واضع للناموس تم تجاهله وعدم الاكتراث به أو مجرد قاض يتوجب عليه إدانة الخطية، لكنه كل هذا معًا بل وأكثر.

تكمن مشكلة الحديث عن إرضاء الناموس والكرامة والعدل وهكذا في أننا نجعل **الله** يبدو وكأن شيئًا خارجًا عنه مسيطر عليه. **الله** نفسه في كمال ملء (القداسة المطلقة) ذاته هو من يجب إرضاؤه وليس جانبًا معيَّنًا في شخصه أو مجموعة من القواعد أو شيئًا خارجًا عنه. الخطية في أساسها وجوهرها هي إساءة **لله**، وهذه الإساءة هي ما يجب التعامل معه؛ أي إرضاؤه. غالبًا ما يصف الكتابُ المقدس الخلاصَ باستخدام مصطلحاتٍ قضائيةٍ أو قانونيةٍ، لكن علينا أن نتذكر دائمًا أن الصليب قد حَدَث لإرضاء شخص **الله** وطبيعته كل جوانبها.

الاتساق الذاتي

يرفض بعضُ الناس فكرةَ الرضا الذاتي الإلهي؛ وذلك بسبب نقيضها البشري البغيض. يعتقد هؤلاء أن الذين يحاولون إرضاء ذواتهم هم

أشخاص لا يتمتعون بضبط النفس، وأن من يعبِّر عن الرضا الذاتي يفتقر إلى التواضع.

لكن **الله** كاملٌ؛ حيث يتصف بضبط النفس المُطلَق، كما يتَّصف بالتواضع اللامحدود، وهذا يعني أن الرضا الذاتي الإلهي يختلف تمامًا عن الرضا الذاتي البشري.

عندما نقول إن **الله** يجب أن يرضي ذاته، فإننا نقصد أنه يجب أن يكون ذاته، ويجب أن يكون متوافقًا مع طبيعته وأن يتصرَّف دائمًا وفقًا لكمال طبيعته.

يؤكِّد الكتابُ المقدس على أن **الله** لا يمكن أن ينكر نفسَه أو يناقض ذاته. **الله** لا يكذب، وهو لا يعمل عشوائيًّا بطريقةٍ لا يمكن التنبؤ بها أو وفقًا لنزوةٍ ما، لكنه دائمًا متوافقًا مع ذاته وطبيعته، إنه دائمًا "كل ذاته". نرى هذه الحقيقة على سبيل المثال في (تثنية ٣٢: ٤) و(مزمور ٨٩: ٣٣) و(٢ تيموثاوس ٢: ١٣) و(تيطس ١: ٢) و(عبرانيين ٦: ١٨).

يؤكِّد الكتاب المقدس على رضا **الله** الذاتي وعلى اتِّساقه الذاتي بأربع طرقٍ رئيسية توضِّح جميعها أن **الله** يدين الخطاة؛ لأنه ببساطة يجب أن يفعل ذلك – أن يكون ذاته وأن يتَّصف بالاتِّساق الذاتي الكامل.

١- إثارة غضب اللّه

يقول **الله** في العهد القديم إن زنا إسرائيل يمكن أن "يثير" غضبه وغيرته– وهي حقيقة كثيرًا ما يكرِّرها الأنبياء. "إثارة الغضب" تعني "الدعوة إلى اتِّخاذ رد فعل". الخطية تتطلب ردَّ فعل من **الله**، وهو في هذه الحالة غضب **الله**، وهذا يعني أن الغضب ليس صفةً متأصلةً في طبيعة **الله**، بل هو مجرد رد فعل تتَّخذه طبيعة **الله**، إنه رد فعله المستحق والمُبرَّر ضد الخطية. يجب أن تثير الخطيةُ غضبَ **الله**. الكلمة العبرية المُستَخدَمة بمعنى "يثير" هي "kaac" كَعَس وهي تنم عن أن الإنسان يمكنه أن يؤثر على قلب **الله**

لدرجة أنه يجعله يغضب ويتألم ويحزن بدرجاتٍ متفاوتةٍ. نرى ذلك على سبيل المثال في (تثنية ٣٢: ١٦ – ٢١) و(قضاة ٢: ١٢) و(١ ملوك ١٥: ٣٠ و٢١: ٢٢) و(٢ ملوك ١٧: ١٧ و٢٢: ١٧) و(مزمور ٧٨: ٥٨) و(إرميا ٣٢: ٣٠ – ٣٢) و(حزقيال ٨: ١٧) و(هوشع ١٢: ١٤).

لكن هذا لا يعني أن **الله** كان يُثَار غضبه بسبب سلوك شعب إسرائيل. اللغة الكتابية التي تعبِّر عن معنى الاستثارة تعبِّر فقط عن رد فعل **الله** الحتمي تجاه الخطية. هناك داخل **الله** غضب مقدس تجاه الخطية، خاصةً الزنا. الخطية دائمًا "تثير" غضبَ **الله** أينما وحينما تحدث.

وهذا الغضب لا يُثار دون سببٍ وجيه. الخطية وحدها هي ما تثير غضب **الله** ويجب حقًّا أن تثيره إن كان **الله هو الله** وإن كان يتصرَّف كالله. الأمر ببساطة هو لو أن **الله** لا يثير غضبه ما هو عكس طبيعته فلن يكون هو **الله**.

٢- الغضب المحرق

غالبًا تصف الأسفارُ المقدسةُ غضبَ **الله** باستخدام كلمات من قبيل "مُحرق" و "آكل" و"ثائر". نصوص مثل (يشوع ٧: ١ و٢٣: ١٦) و(قضاة ٣: ٨) و(٢ صموئيل ٢٤: ١) و(٢ ملوك ١٣: ٣ و٢٢: ١٣) و(هوشع ٨: ٥) تصف كيف يشتعل **الله** غضبًا عندما يرى شعبَه يعصون شريعته ويكسرون عهدَه.

يوضِّح العهدُ القديم أن **الله** "يشتعل" غضبًا عندما "تثيره" الخطية، نرى ذلك على سبيل المثال في (تثنية ٢٩: ٢٧ – ٢٨) و(٢ ملوك ٢٢: ١٧) و(مزمور ٧٩: ٥) و(إرميا ٤: ٤ و٢١: ١٢) و(حزقيال ٣٦: ٥ – ٦ و٣٨: ١٩) و(صفنيا ١: ١٨ و٣: ٨).

إن نار غضب **الله** هي رد فعل حتمي تجاه الشر، لكن هذا الغضب لا يخرج أبدًا عن نطاق السيطرة. يوضح (خروج ٣٢: ١٠) و(إرميا ٤٤: ٢٢) و(حزقيال ٢٤: ١٣ – ١٤) أن **الله** لا يمكن أن يتحمَّل العصيان. ويصف (مزمور ٧٨:

٣٨) و(إشعياء ٤٨: ٩) و(مراثي ٣: ٢٢) و(رومية ٢: ٤) و(٢ بطرس ٣: ٩) كيف يكبح **الله** غضبَه رحمةً.

لكن بمجرد أن "يشتعل" غضب **الله**، يكون من الصعب جدًّا إخماده، نرى ذلك على سبيل المثال في (٢ ملوك ٢٣: ٢٦، ٢٢: ١٧) و(٢ أخبار ٣٤: ٢٥) و(إرميا ٢١: ١٢). عندما يشتعل غضبُ **الله** ضد الناس يلتهمهم كما في (عدد ١١: ١) و(تثنية ٤: ٢٤ و٦: ١٥) و(مزمور ٥٩: ١٣) و(إشعياء ١٠: ١٧ و٣٠: ٢٧) و(مراثي ٢: ٣) و(حزقيال ٢٢: ٣١) و(صفنيا ١: ١٨). يستقر غضبُ **الله** فقط عندما يكمل القضاء أو يحدث تغيير ثوري، نرى ذلك على سبيل المثال في (هوشع ٧: ٢٦) و(إرميا ٤: ٤ و٢١: ١٢) و(حزقيال ٥: ١٣ و١٦: ٤٢ و٢١: ١٧).

يدل ذلك على أن هناك شيئًا ما في قداسة **الله** يثيره الشرُّ ويشعله، وهذا الشيء نسميه "غضبه": يشتعل هذا الغضب حتى يلتهم الشرَّ تمامًا وهكذا يتم "إرضاؤه".

٣- رضا اللّه الكامل

غالبًا تُستَخدَم الكلمة العبرية "كالاه" في العهد القديم بالارتباط بغضب **الله**. ومعنى "كالاه" هو نهاية شيء وهي تُترَجم إلى العديد من المقابلات منها "يكمل" أو "ينهي" أو "يستنفذ" أو "يتمِّم" أو "يستنزف" أو "يرضي".

تُستَخدَم هذه الكلمة في العهد القديم لتوضح أن الوقت والعمل والحياة جميعها تأتي إلى نهاية، وأن الدموع تكتمل بذرفها والعشب يذبل في الجفاف والقوة البشرية تُستَنزَف بالاستعمال وهكذا.

لكن الأنبياء يستخدمون "كالاه" لتوضيح أن **الله** سوف "يستنزف و"يرضي" و "يكمل" غضبه على شعبه، نرى ذلك على سبيل المثال في (حزقيال ٥: ١٣ و٦: ١٢ و٧: ٨ و١٣: ١٥ و٢٠: ٨، ٢١) و(مراثي ٤: ١١).

تنم هذه الكلمة عن أن غضب **الله** ينتهي فقط عندما يتم إرضاؤه. ليس ذلك

لأن **الله** طاغية ولكن لأن كل شيء بداخله يجب أن يُعبَّر عنه وما يُعبَّر عنه يجب أن يُكمَل أو يُنهَى.

عندما نضع هذه الصور الثلاث معًا، نرى أن الخطية "تثير" غضبَ **الله** وغيرته. وبمجرد أن يثير غضبه "يشتعل" حتى "يكتمل" أو "يتم إرضاؤه" و"تُلتَهَم" الخطية كليةً. وتدفُّق هذا الغضب [بسبب الخطية] هو أمر محتوم لا يمكن اجتنابه بسبب طبيعة **الله** وهو يعكس قداسته.

٤- اسم اللّه

الطريقة الكتابية الرابعة التي تعبِّر عن الاتِّساق الذاتي في شخص **الله** هي استخدام اسم **الله**. تناولنا "اسم **الله**" في كتاب "معرفة الآب" ورأينا أن الاسم يشير إلى **الله** نفسه ويدل على الإعلان الكامل لكل ما نعرفه عنه، على سبيل المثال:

- أُعلن "اسم الرب" لموسى عندما مر **الله** من أمامه وأعلن عن طبيعته (خروج ٣٤: ٥ – ٦).
- أن "يدعو الشخصُ باسم الرب" يعني أن يسجد **لله** نفسه (تكوين ٢١: ٣٣ و٢٦: ٢٥).
- أن "ينسى الشخصُ اسمَ الرب" يعني أن ينفصل عنه (إرميا ٢٣: ٢٧).
- أن "ينطق الشخصُ باسم الرب باطلاً" يعني أن يهين جلالَه الإلهي (خروج ٢٠: ٧).

يمكننا القول بأن عبارة "اسم **الله**" تلخِّص كلَّ طبيعة **الله** المجيدة، وتشير إلى إعلان **الله** الكامل لشعبه عن شخصه.

كان اسم **الله** في العهد القديم هو عربون كل ما وعد **الله** أن يفعله لشعب إسرائيل، نرى ذلك على سبيل المثال في (١ صموئيل ١٢: ٢٢) و(مزمور ٢٥: ١١).

كما يلخص تعبير "اسم الرب" أهم الحقائق التي اختبرها وعرفها شعبُ إسرائيل عن **الله**. إن **الله** كلي القوة صانع السماء والأرض هو إلههم، وقد

دعاهم كي يدخلوا في علاقة عهد نعمة معه، وكان إيمانهم أن **الله** لا ينكر وعده أو يرجع فيه يكمن في كل استخدام لتعبير "اسم الرب".

يوضح العهد القديم أن **الله** يعمل دائمًا وفقًا لاسمه بطريقة تتَّسق مع كل طبيعته – مع قداسته، نرى ذلك على سبيل المثال في (إرميا ١٤: ١ – ٢١) و(حزقيال ٢٠: ٤٤ و٣٦: ١ – ٢٣).

وعندما يعمل **الله** من أجل اسمه، فهو لا يحمي اسمه من سوء التعبير عنه، لكنه فقط يكون متَّسقًا مع ذاته. **الله** لا يهتم بصيته بقدر ما تفرض عليه طبيعته أن يكون متَّسقًا مع ذاته دائمًا – أن يرضي ذاته.

وهذا يعني أن **الله** هو **الله**. إنه لا يستطيع أن ينكر أيَّ جانب من جوانب طبيعته. لا يستطيع أن يناقض نفسه؛ لأنه دائمًا يعمل وفقًا لطبيعته ولا يحيد أبدًا عما يتَّصف به ذاته. رأينا في كتاب "معرفة الآب" أن هذه الحقيقة يعبِّر عنها اسم **الله** "يهوه" الذي أعلنه **الله** لموسى عندما أتى ليخلِّص شعبَه من أرض مصر ويتمِّم عهدَه. ومعنى يهوه هو "أكون من أكون". إن **الله** هو من هو. إنه قدوس ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

محبة اللّه العادلة

إن اتِّساق **الله** الذاتي يعني أنه يجب أن يغفر للخطاة ويصالحهم لنفسه بطريقة تتفق تمامًا مع طبيعته.

ولكي يكون الخلاص مؤثرًا، يجب أن ينتصر **الله** على الشيطان كي يأخذ أسراه منه ويجب أن يرضي عدله وكرامته وغضبه، لكن الأهم من ذلك كله أنه يجب أن يرضي نفسَه – يرضي كلَّ جانب من جوانب شخصه اللامحدود بما في ذك عدله ومحبته.

يشير (هوشع ١١: ١ – ١١) إلى الصراع الذي اختبره **الله** بين عدله ومحبته عندما أقدم على الخلاص. لقد استحق إسرائيل – ابن **اللهُ** – العقاب على زناه الروحي ورفضه المتعمَّد للتوبة، لكن كيف يمكن أن يدمر **الله** ابنَه؟

هذا هو الصراع بين ما يجب أن يفعله **الله** بسبب عدله وما لا يريد أن يفعله بسبب محبته؛ إنه ذلك الصراع الأبدي بين رحمة **الله** وغضبه.

صفات متوازية ومتداخلة

في كل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، في كلمات يسوع ورسائل بولس نجد محبة **الله** وغضبه مرتبطين معًا في توتُّر كامل فيما بينهما كي لا نفكر في إحدى الصفتين متجاهلين الأخرى، على سبيل المثال:

- **الله** رحيم وكريم لكنه لا يترك المذنب بلا عقاب (خروج ٣٤ : ٦ – ٧).
- الرحمة والحق يلتقيان فيه والبر والسلام يتلاثمان (مزمور ٨٥ : ١٠).
- إله عادل ومخلِّص (إشعياء ٤٥ : ٢١).
- هناك رحمة في غضبه (ميخا ٧: ١٨) و(حبقوق ٣: ٢).
- مملوء نعمة وحق (يوحنا ١: ١٤).
- بار ويبرِّر (رومية ٣: ٢٦).
- لطيف وصارم (رومية ١١: ٢٢).
- مملوء غضب وغنى في الرحمة (أفسس ٢: ٣ – ٤).
- أمين وعادل (١ يوحنا ١: ٩).

على سبيل المثال من الخطأ أن نعتقد أن **الله** محبة فقط، إنه حقًّا محبة لكن ليست هذه هي الحقيقة الكاملة، فلا توجد كلمة بشرية واحدة يمكنها أن تصف طبيعة **الله** اللامحدودة وصفًا كاملاً. إن محبة **الله** صادقة لا محدودة ونقية، إنها دائمًا محبة عادلة.

قلنا إن الكتاب المقدس يستخدم تعبير "الاسم" كي يشير إلى كل طبيعة **الله**، وإن "قداسة" **الله** أو "انعزاله التام" هو نتيجة لكل مجموع صفاته. من

الخطر أن نركِّز على صفةٍ واحدةٍ من صفات **الله**؛ لأنه يتصف بصفات تبدو متناقضةً لكنها في الواقع متوازنة تمامًا ومتداخلة.

يعالج الكتاب المقدس هذه الحقيقة عندما يتحدث – على سبيل المثال– عن محبة **الله** وغضبه، عن صلاحه وبره، عن رحمته وعدله، عن كونه مُنزَّهًا عنا وقريبًا منا وهكذا باعتبارها حقائق متوازية متداخلة تبدو لنا متناقضة لكنها تتَّحد في لامحدودية **الله** المجيدة.

علينا ألا نحاول خلط هذه الصفات المتناقضة ظاهريًّا في خليطٍ لاهوتي واحد؛ لأن هذا من شأنه أن يدمر الإعلان الإلهي عن **الله** والذي يؤكد دائمًا على الظهور المستمر المتزامن لكل الجوانب المتوازية في طبيعة **الله**.

نتناول في الجزء السادس من هذا الكتاب عمل إعلان **الله** على الصليب ونرى كيف أظهر **الله** غضبه ومحبته في حدثٍ واحد. إن الصليب هو أسمى إعلان عن محبة **الله** اللامحدودة، وغضبه الذي هو كنارٍ آكلةٍ، وبره الذي لا يعرف التهاونَ، ورحمته الكريمة وهكذا.

يوضح الصليب أن هذه الصفات ليست متضاربةً وليست في صراع مع بعضها البعض، لكنها في الواقع تُظهِر بعضها البعض بوضوح؛ حيث نفهم عظمة محبة **الله** على الصليب فقط عندما نقدِّر المدى الكامل لغضبه هناك.

الله ليس في تناقض مع ذاته وليس هناك أي صراع داخله، كما أنه ليس بغير واثق فيما يتعلق بأفعاله أو مُشوَّشًا بشأن خططه. **الله** يوجد في توازن أبدي. إنه إله السلام الكامل، لكنه سلام يحفظ صفاته المرتبطة معًا في صراع خلَّاق رائع.

لو أردنا أن نفهم الخلاص بصورةٍ دقيقة وصحيحة، فيجب أن تكون لدينا صورة كتابية عن **الله** – لذلك جاء كتاب "معرفة الاب" قبل هذا الكتاب في سلسلة "سيف الروح".

الله ليس "أبًا" متساهلاً يتنازل عن قداسته كي يعفو عنا ويدللنا، كما أنه ليس "طاغية" مُحبًّا للانتقام يمنع محبته كي يسحقنا ويدمِّرنا، لكنه خالق

السماء والأرض الذي يتَّصف بالأبوة والسلطان. لا يتصَّرف ملك الكون أبدًا بطغيان لأنه أب، كما أن القاضي العادل يتصرف دائمًا بالرحمة لأن أبوته المُحبَّة تشكِّل ما يفعله.

يتعلق كل إيماننا المسيحي بمعرفتنا بالله، وكل قصد الخلاص هو أن نعرف الآبَ بصورةٍ أدق وأكثر حميمية، صورة شخصية وأبدية.

كيف إذًا يمكن لله أن يرضي عدلَه وغضبَه دون أن تلتهمنا نيرانه؟ وكيف يمكن أن يرضي محبته دون أن يتعاضى عن خطايانا؟ كيف يمكن له أن يخلِّصنا ويرضي ذاته في نفس الوقت؟ كيف يمكن أن يتَّسم بالاتِّساق الذاتي الكامل؟ هذه هي الأسئلة الصعبة التي تكمن في قلب الصليب – المكان الذي أخذ فيه اللهُ مكانَ كل البشرية وقدَّم نفسَه ذبيحةً كي يخلِّصها.

الجزء الثالث

البدلية والذبيحة

رضا **الله** الذاتي والاِّتساق الذاتي لشخصه يعنيان أنه دائمًا يعمل وفقًا لكل ما يتَّصف به؛ فهو لا يتصرف في موقفٍ ما طبقًا لصفة معيَّنه ثم يأتي في موقف آخر ويتصرف طبقًا لصفةٍ أخرى. **الله** لا يُظهر أبدًا صفةً ما من صفاته على حساب أخرى؛ لأن كل صفاته مرتبطة ومتداخلة معًا. إنه يعبِّر دائمًا عن كمال وملء شخصه.

رأينا فيما سبق كيف أن السؤال الصعب الذي يتعلَّق بالغفران إنما هو: "كيف يمكن أن يتصرف **الله** وفقًا لكل صفاته معًا؟ كيف يمكنه أن يعبِّر عن كلٍّ من غضبه المقدس في إدانة الخطية وأيضًا محبته الرحيمة في العفو والشفقة؟

دائمًا ما تمثَّلت الإجابة المسيحية على مثل هذا السؤال منذ أيام الكنيسة الأولى في قولها بأن **الله** أرضى ذاته (بمعنى أن ما عمله كان يتَّسم بالاتِّساق الذاتي؛ حيث أرضى كلًّا من عدله وغضبه المقدس) وذلك عن طريق بذل "بديل" عن الخطاة، وبهذه الطريقة، تحمَّل البديلُ الدينونةَ والحكمَ بينما تمتَّع الخطاةُ بالعفو والحنو.

لقد شاء **الله** في رحمته اللامتناهية أن يغفر لنا ويسامحنا، أراد أن يغفر لنا بعدل دون أن يتجاهل خطايانا أو يتغاضى عنها، وهذا ما يُسمَّى "التكفير عن الخطية بتوقيع الجزاء على بديل". لقد تصرَّف **الله** باتِّساقٍ ذاتي حين صبَّ ملءَ غضبه العادل على بديل أوجده لنا في رحمته (وهذا البديل هو ذاته في شخص ابنه الوحيد) وصبَّ في ذات الوقت ملءَ رحمته المُحبَّة علينا نحن الخطاة غير المستحقين.

رأينا كيف صارعت التقاليدُ الكنسيةُ المختلفة عبر العصور مع الكتاب المقدس كي تفهم من وماذا أُرضي على الصليب، كما صارعت مع فهم بدلية **الله** وطبيعة البديل؛ لأن الكتاب المقدس لا يعلن عن هذه الحقائق بطريقةٍ سهلة واضحة. يعلم الكتاب المقدس عن هذه الأفكار بوضوح، لكنه لا يعرضها بصورة مرتَّبة منتظمة، بل يترك المفسِّر يجمِّع أجزاء الصورة معًا.

لذلك إن أردنا أن نفهم موضوعَ البدلية، فعلينا أن ندرس التعاليم الكتابية بدقة، علينا أولاً أن نتأمل في ذبائح العهد القديم التي تمهِّد الطريقَ إلى ذبيحة **الله** البدلية في المسيح على الصليب.

ذبائح العهد القديم

من المستحيل أن نقرأ العهد الجديد دون أن ندرك أن كُتَّابَه قد نظروا إلى موت المسيح على أنه ذبيحة، نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٢٠: ٢٨) و(يوحنا ٣: ١٦ و١٠: ١٧ – ١٨) و(رومية ٣: ٢٥ و٤: ٢٥ و٨: ٣، ٣٢) و(١ كورنثوس ٥: ٧ – ٨) و(٢ كورنثوس ٥: ١٨ – ٢١) و(غلاطية ١: ٤ و٢: ٢٠) و(أفسس ٥: ٢، ٢٥) و(١ تيموثاوس ٢: ٦) و(تيطس ٢: ١٤) و(عبرانيين ٩: ١٤، ٢٦) و(١ بطرس ٣: ١٨) و(١ يوحنا ٤: ٩ – ١٠).

يقع نظام الذبائح في العهد القديم خلف فكر العهد الجديد عن موت المسيح، نرى ذلك بوضوح في رسالة العبرانيين التي تؤكد على أن ذبيحة يسوع هي الحقيقة النهائية التي تشير إليها كل "ظلال" نظام العهد القديم.

الذبيحة الأولى

يعلِّمنا الكتابُ المقدس أن الذبيحة بدأت **بالله**؛ حيث إنه هو الذي صنع أول ذبيحة وأراق أول دماء وعانى من أول خسارة. في (تكوين ٣: ١٦ – ٢١) أسَّس **اللهُ** نموذجَ تقديم الذبائح المستقبلية والمبادئَ التي تقوم عليها ومهَّد بذلك الطريقَ نحو الصليب.

منح **الله** في رحمته أقمصةً من جلد للبشر المدانين – آدم وحواء – كي يغطيا بها خطيتهما، وألبسهما إياها كي يؤدِّيا مهمتهما الجديدة خارج عدن. من البديهي أن تكون بعض الحيوانات قد ذُبِحت كي تعطي البشر أقمصة النعمة هذه، وقد قام **الله** نفسه بذبح وسلخ بعض الحيوانات الرائعة التي كان قد خلقها وباركها لتوِّه.

تمثِّل هذه الحادثةُ أساسَ بقية تعاليم العهد القديم عن الذبائح وتشير بوضوح إلى ذبيحة **الله** الكاملة النهائية، نرى على سبيل المثال أن:

- هؤلاء الذين استفادوا من الذبيحة كانوا غير مستحقين بالمرة.
- الذين عانوا وتألموا كانوا بلا أي لوم إطلاقًا.
- الذبيحة كانت دائمةً.
- هناك دم سُفِك.
- الذبيحة كانت في حالة مثالية كاملة – الأفضل فقط هو الذي يؤدي الغرض.
- الكلفة كانت غاليةً جدًّا بالنسبة لكلٍّ من "مُقدِّم الذبيحة" و"الذبيحة" – أي المعطي والعطية.
- النعمة والمحبة والرحمة كانت هي المشاعر المحركة والمحفِّزة لتقديم الذبيحة.
- الذبيحة كانت محيِّرةً بكل تأكيد، وخاصةً لأنه كان هناك المزيد من أوراق التين في الجوار – حتى ولو كانت بلا فائدة في الأيام الباردة.
- ذبيحة البشر الأولى.

الذبائح الأولى للإنسان

يصف (تكوين ٤: ٣ – ٥) الذبيحةَ الأولى التي قدَّمها البشرُ **لله**، حين قام

كلٌّ من قايين وهابيل بتقديم ذبيحةٍ **لله**. يشرح كلٌّ من (لوقا ١١: ٥٠ – ٥١) و(عبرانيين ١١: ٤) لماذا نظر **الله** إلى ذبيحة هابيل [بينما لم ينظر إلى ذبيحة قايين]؛ كان هابيل نبيًّا وقد قدَّم **لله** ذبيحةً من أبكار غنمه. اتسم فعل هابيل بالإيمان والطاعة للنموذج الذي وضعه **الله** للذبائح الدموية.

لا يدل أي شيء في سياق (تكوين ٤: ٣ – ٥) على أن هذه الذبيحة الدموية الأولى قُدِّمت فقط للحصول على رضى **الله** واستعطافه؛ فلقد كان هناك عامل حقيقي من الإيمان والشكر ارتبط بها.

قدم نوح الذبيحةَ الثانية: يوضح (تكوين ٨: ٢٠) أن نوح قام ببناء مذبح بعد انتهاء الطوفان وأصعد عليه محرقات **لله** من الطيور والحيوانات شكرًا **لله** على خلاصه هو وعائلته. لقد كان تقديم هذه الذبائح هو المثال الرابع على طاعة نوح (تكوين ٦: ٢٢ و٧: ٥ و٨: ١٥ – ١٨، ٢٠) وكان **الله** مسرورًا جدًّا من ذبيحة نوح التي تدل على طاعته، فكافأه في (تكوين ٨: ٢١ – ٩: ١٧) بأن وعده ببركةٍ عظيمة.

لابد وأن إبراهيم كان معتادًا على تقديم الذبائح **لله**، سواء كان ذلك غنمًا ممَّا يملك وإلا ما كان إسحاق سأله عن خروف المحرقة في (تكوين ٢٢: ٧). طلب **الله** في هذا الأصحاح لأول مرة تقديم ذبيحة له وقد أراد أفضل ذبيحة.

أمر **اللهُ** إبراهيمَ أن يقدِّم له إسحاق ابنه محرقةً على جبل المريا – وهو المكان الذي بُني عليه هيكل أورشليم فيما بعد. كان إسحاق البالغ من العمر ثلاثين عامًا حينها (حيث كان عمره ٣٧ عامًا حين ماتت سارة في أصحاح ٢٣) مُجهَّزًا كي يكون الضحية، وكان أبوه المسن مستعدًّا كي يقدِّم ابنَه وحيده ذبيحةً، لكن كم كان الموت سيكون محيِّرًا لكليهما وخاصةً بعد كل وعود **الله** عبر السنين!

رأينا أن الإيمان والذبيحة قد ارتبطا معًا لأول مرة في الإشارة إلى ذبيحة هابيل؛ فبالإيمان أمسك إبراهيمُ السكينَ واستعد كي يغمدها في ابنه. دائمًا

ما ينتهي الفكر البشري إلى عدم ضرورة الذبيحة، لكن إبراهيم آمن أن **الله** يعرف الأفضل.

لم يفهم إبراهيمُ لماذا أراد **الله** منه أن يقدِّم ابنه ذبيحةً له، وعلى الرغم من أنه نطق بنبوةٍ مهمةٍ في (تكوين ٢٢: ١٤) إلا أنه لم يكن يعرف أن **الله** سيمر بآلام مماثلة بل وأقوى على نفس الجبل بعد ٢٠٠٠ سنة. لقد تصرف إبراهيمُ بإيمان وكان مستعدًّا لطاعة **الله**.

يصف (تكوين ٢٢: ١٥ – ١٨) كيف كافأ **اللهُ** استعدادَ إبراهيم للتضحية بابنه الوحيد بأن أقسم له ووعده ببركةٍ عظيمة. كان إبراهيم وإسحاق على استعدادٍ للموت دون مكافأة؛ حيث كانت الطاعة والمحبة هي دافعهما الوحيد، لكن نعمة **الله** تدخلت وأوجدت بديلاً للضحية، ثم بعد ذلك كافأت الذبيحة بالبركة. يتكرر هذا الربط بين الذبيحة والبركة في (تكوين ٤٦: ١ – ٤).

الفصح

تحمَّل المصريون الضربات لأن فرعون لم يسمح للإسرائيليين بالذهاب إلى البرية للسجود **لله** وتقديم الذبائح له. يوضح (خروج ١٠: ٢٤ – ٢٦) مبدأين أساسيين عن ذبيحة العهد القديم.

أولاً: كان على الشعب أن يدع **الله** يوجِّهه فيما يقدم من ذبائح. ثانيًا: كان بإمكان الشعب أن يقدم فقط الحيوانات والطيور الطاهرة والتي كان يمتلكها بالفعل؛ حيث كان لابد أن يكون هناك إنكار للذات حقيقي ومكلف.

الضربة العاشرة كانت عملاً فوقيًّا من القضاء المقدس على مصر، وكانت في ذات الوقت عمل رحمة للخلاص بالنسبة لشعب إسرائيل. لقد كان الفصح (خروج ١١ – ١٣) دليلاً متزامنًا على محبة **الله** وعدله من ناحية ونعمته وقداسته من ناحيةٍ أخرى.

وكما كان الحال مع آدم وحواء في جنة عدن، كان على كل أسرةٍ أن تأخذ عطيةَ **الله** بصفةٍ شخصيةٍ؛ فقد كان تقديم أفضل حيواناتها ذبيحة ورش دمها على عتبة الباب العليا وقائمتيه هو استجابة يملأها الإيمان على نعمة **الله**. ومرة أخرى كافأ **الله** ذبائح الطاعة بالبركة، وجاءت البركة هذه المرة في صورة خلاصٍ شخصي من الموت وخلاص قومي من العبودية.

يوضِّح (خروج ١٢: ٢) أن ذبيحة الفصح الأصلية كانت بداية حياة إسرائيل القومية المشتركة، لذلك يعرِّف العهدُ الجديد موتَ المسيح كحدثٍ وقع في يوم الفصح وكتتميم للفصح وكبداية للمجتمع المُخلَّص الجديد. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦ و١٣: ١ و١٨: ٢٨ و١٩: ١٤) و(١ كورنثوس ٥: ٧ – ٨) و(رؤيا ٥: ٦، ٩، ١٢ و١٢: ١١).

أظهر الله من خلال الفصح أنه:

قاضٍ – غضب **الله** المقدس "عَبر" في كل مصر وأوقع الدينونة على كل بِكْر ذَكَر. لم يكن هناك أي تمييز بين المخلوقات والطبقات الاجتماعية، وكانت هناك طريقة واحدة فقط للنجاة وهي عطية **الله** الكريمة.

- مُخلِّص – محبة **الله** الكريمة "عَبَرت" على كل بيتٍ عليه علامة الدم وقامت بحمايته من غضب **الله**.
- صاحب عهد وحافظ له – خلَّص **اللهُ** الإسرائيليين كي يجعل منهم شعبًا خاصًّا له. كان الإسرائيليون ينتمون **لله**؛ لأنه اشتراهم بالدم، وبالتالي كانوا مخصَّصين لخدمته. نتناول هذه النقطة بتفصيل أكثر في الجزأين الرابع والثامن.

يجب أن يكون واضحًا لنا أن هذه الحقائق "المنذرة" ظهرت بكمالها على صليب الجلجثة، ومن المهم أن ندرك أن القاضي والمخلِّص هما نفس الشخص الإلهي. **الله** الذي عَبَر بغضبه على مصر كان هو نفسه **الله** الذي عَبَر عن المنازل المرشوشة بالدم.

نؤكِّد في كتاب "معرفة الآب" على أننا لا يجب أن نصف الآب بالقاضي والابن بالمخلص؛ لأن **الله** الواحد – من خلال المسيح – هو من أدان الخطية وخلَّص البشرية.

كذلك يعلِّمنا الفصحُ أن:

- الخلاص هو بالبدلية – الأبكار الذكور الذين أفلتوا من الموت هم من كانوا في المنازل التي قَدَّمت ذبيحةً من أبكار الأغنام كي تموت بدلاً عنهم.
- الخلاص يأتي عن طريق تخصيص يملأه الإيمان – كان يجب تخصيص الدم بعد سفكه للرش على الأعتاب العليا للأبواب وقوائمها.

الذبائح الطقسية

بعد الفصح، وبينما كان شعب إسرائيل يسير في البرية، أعطى **اللهُ** موسى تعليمات واضحة بشأن الذبائح. يمكننا قراءة ملخص عام لهذه التعليمات في (خروج ٢٠: ٢٤ – ٢٦ و٢٢: ٢٩ – ٣٠ و٢٣: ١٤ – ١٩ و٢٩) و(لاويين ١٧: ٢٣) و(عدد ١٥) و(تثنية ١٢ و١٦). أما الوصف الكامل لها فيرد في (لاويين ١ – ٧) الذي ينص على خمس ذبائح طقسية أساسية هي:

- ذبيحة المحرقة
- تقدمة الدقيق
- ذبيحة السلامة
- ذبيحة الخطية
- ذبيحة الإثم

يمكننا أن نقول الآتي:

- تقدمة الدقيق وذبيحة السلامة كانتا تساعدان الشعب على التعبير عن مشاعرهم المتعلقة بكونهم ينتمون إلى **الله**.
- ذبيحة المحرقة كانت تعبِّر عن تكريس الشعب لكلٍّ ما يملكه ولكلِّ ما هو عليه **لله** وعن قبول **الله** لهذا التكريس.
- أكل الشعب والكهنة معًا من ذبيحة السلامة كان يذكِّرهم بعلاقتهم الحيوية مع **الله**.
- ذبيحتا الخطية والإثم مكَّنتا الشعبَ من التعبير عن شعورهم البشري بالانفصال عن **الله** القدوس بسبب خطيتهم وإثمهم ومن الصراخ **لله** كي يغطي خطاياهم وآثامهم هذه.

على الرغم من هذه الفوارق بين الذبائح المختلفة، فإن جميعها تؤكد على مبادرة **الله** الكريمة وعلى اعتماد الشعب الكامل على شخصه وعلى نعمته.

الأفضل فقط هو الذي يصلح في كل أنواع الذبائح المختلفة. رأينا كيف أن الساجدين كان عليهم أن يقدموا ذبائحهم بطريقةٍ تستنزف مصادرهم الشخصية، لكن (تثنية ٢٣: ١٨) يوضح أنه حتى هذا يكون غير مقبول إن كان صاحب الثروة قد حصل عليها بطريقة غير شرعية.

كان يُفضَّل ذكور الحيوانات على إناثها، وكانت الأبكار البالغة أفضل الكل، كما كان يجب أن تكون الذبيحة المُقدَّمة بلا عيب وكاملةً: الحيوان المُقدَّم كذبيحةٍ يجب أن يكون هو أكثر من أحسن قطيع مالكه.

كذلك اقتضى عدلُ **الله** ألا يُعاقَب الفقراء جراء هذه المطالب. يوضح (لاويين ٥: ٧ – ١٣) أن الذين لا يمكنهم تقديم ذبيحة من الغنم أو الماعز يمكنهم أن يقدِّموا يمامتين أو فرخي حمام بدلاً من ذلك، وإن لم يستطيعوا ذلك أيضًا، يمكنهم تقديم أيفة من دقيق وستكون كافيةً.

كانت الذبائح الطقسية تُقدَّم بصورةٍ شخصيةٍ وقوميةٍ، تُقدَّم سرًّا وعلنًا، تُقدَّم بانتظام وكلما اقتضت الحاجة الخاصة. ينص (سفر العدد ٢٨ – ٢٩)

على الذبائح العامة اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية. أما (خروج ١٢) فيوضح كيفية احتفال الأسرة بالفصح.

كلما كان الإسرائيليون يتوجَّهون إلى **الله**، كان من المُفتَرَض أن يعبدوه بتقديم الذبائح. يوضِّح الكتاب المقدس أن الذبائح الطقسية كانت تُقدَّم:

- عند الوفاء بنذر (٢ صموئيل ١٥: ٧ – ٩).
- إعفاء شخصٍ ما من نذر (عدد ٦).
- كفعلٍ تلقائيٍ في السجود (قضاة ١٣: ١٧ – ٢٣).
- لتطهير الأبرص بعد شفائه وبعد أن تلد المرأة (لاويين ١٢ و١٤).
- عند تكريس الكهنة واللاويين (لاويين ٨) و(عدد ٨).
- في أوقات التوبة القومية (١ صموئيل ٧).
- في حالة اقتراب حرب ما (١ صموئيل ١٣: ٨ – ١٢).
- عند التتويج الملكي (١ ملوك ١: ٩).
- عند تكريس البيت المقدس (١ ملوك ٨: ١ – ١٣).

كان لتقديم الذبائح الطقسية في العهد القديم ست مراحل، وكل مرحلة لها أهميتها كالمراحل الأخرى:

- كان كل عابدٍ يختار ذبيحتَه أو يشتريها ثم يحضرها إلى المكان المُخصَّص للذبائح.
- لو كانت الذبيحة حيوانًا، يقوم مقدِّمها بوضع يديه عليها تعبيرًا عن أن هذه الذبيحة تمثِّله أو أنها بديل عنه، ولو كانت الذبيحة المُقدَّمة هي ذبيحة خطية أو ذبيحة إثم، كان مقدِّمها يعترف بخطاياه كي تنتقل عقوبته القانونية بصورةٍ رمزيةٍ إلى الذبيحة.
- يقوم العابدُ بذبح الحيوان الذي يقدِّمه بنفسه.
- يقوم الكهنة بجمع الدم في حوض، ويصبونه على زاويتين متقابلتين من المذبح حتى تُرش كل جهاته الأربع بالدم.

- كان الشحم يُحرَق، ولو كانت الذبيحة المُقدَّمة هي ذبيحة محرقة، يُحرَق كل شيء فيها ماعدا الجلد.
- كان الكهنة يأكلون ما يتبقى من الذبيحة، أما إن كانت الذبيحة المُقدَّمة هي ذبيحة سلامة، فالباقي من الذبيحة يأكله الكهنة والشعب معًا.

كانت ذبائح المحرقة والسلامة تُستَخدَم للاحتفال والشكر وتكريس الأشخاص والأشياء للخدمة المقدسة وكذلك لإزالة النجاسة الطقسية.

لكن الذبائح الأخرى كان لها قصد أعمق؛ حيث كان اللاويون يصرِّحون باستمرار أن ذبائح الإثم وذبائح الخطية التي يقدمها كل شخص "سوف تُقبَل كذبائح فعَّالة في أمر كفارتهم". الكلمة العبرية التي تُترجَم إلى "كفارة" هي "كافار" وهي في الأصل تعني "يغطي"، وهذا يعني أن ذبائح الخطية وذبائح الإثم تغطي خطايا العابدين وتعوِّض عن ذنوبهم.

وكما أن الذبيحة الأولى قُدِّمت بيد **الله** الملطخة بالدم كغطاء لخطية آدم وكساء من أجل عمله الجديد، هكذا أعطى **اللهُ** شعبَه – من خلال الذبائح الطقسية – عددًا من الذبائح التي يمكنها أن تغطي خطيتهم وتمكِّنهم من خدمته.

ترانيم العبد

بمرور الوقت، أُسيئ استخدام هذا النظام الطقسي، كذلك ظهر أن هذا النظام ليس هو الحل النهائي، لذا بدأ الأنبياء في طلب نوع آخر من الذبائح يتعلَّق بالأفعال العملية كما يتعلق بالإشارات الرمزية، ذبيحة تربط بين الأخلاقيات الشخصية والشريعة الطقسية.

يوضح كلٌّ من (مزمور ٥٠: ٨ – ٢٣ و٥١: ١٦ – ١٩) و(أمثال ١٥: ٨ و٢١: ٢٧) و(إشعياء ١: ١١ – ٢٠ و٥٨: ١ – ١٤ و٦٦: ١ – ٤، ١٨ – ٢١) و(إرميا

٦: ٢٠ و٧: ٢١ – ٢٨) و(هوشع ٨: ١١ – ١٣) و(عاموس ٥: ٢١ – ٢٤) و(ميخا ٦: ٦ – ٨) هذا التطورَ الحاسم في معرفة الأنبياء بمشيئة **الله**.

هذا الفهم الجديد للذبيحة كطقسٍ يشير "للتكفير" الشخصي، وكطريقةٍ مستمرةٍ للعيش في قداسة وصل لذروته في العهد القديم في أربع ترانيم عن عبد الرب مُسجَّلة في (إشعياء ٤٢: ١ – ٩ و٤٩: ١ – ٦ و٥٠: ٤ – ١١ و٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢). تتحدث هذه الترانيم عن شخصٍ كفَّر موته عن الآخرين الذين حلَّ محلَّهم، شخص تميَّزت حياته بالمحبةٍ والعدالة والتواضع والألم والتضحية بالذات.

تعلن الترانيم الثلاث الأولى عن أن هذا العبد الغامض هو شخص جبله **الله** ودعاه، وهو لا يزال في رحم أمه. إنه تلميذ ممتلئ بروح **الله**، وهو يؤسِّس العدلَ على الأرض حتى يرشد البشريةَ ويحكم علينا بكلمته. يعمل هذا العبد سرًّا برقةٍ وهدوء، يبدو ظاهريًّا أنه يفشل، وهو يقبل الغضبَ والاحتقارَ من الآخرين، لكنه لا يستسلم لأن يهوه ذاته يعضِّده.

أما الترنيمة الرابعة فتصف الآلامَ المرعبةَ التي يختبرها هذا العبدُ الذي على الرغم من كونه بريئًا يُعامَل كخاطئ يعاقبه **الله** ويحكم عليه بالموت موتًا مخزيًا، كما توضِّح أن كل هذه الآلام إنما هي تقدمة العبد التطوُّعية للخطاة الذين أخذ خطيتهم وإثمهم ووضعها عليها والذين يتشفع من أجلهم، كذلك تعلن الترنيمة أن **الله** – عن طريق عمل قوة غير مُتخيَّل صنع سابقًا – قبل ذبيحة العبد الكفارية وأعطى الخلاص لكل البشرية.

تشير كل هذه الترانيم النبوية الرائعة إلى يسوع؛ إن كل ذبائح العهد القديم إنما تشير إلى شخص يسوع؛ لأنها تعبِّر عن حاجةٍ هو وحده الذي يفي بها، وعن إيمان هو وحده الذي يسوغه، وتطالب بأسلوب حياة هو وحده من يجعله ممكنًا. كانت الذبيحة التي تُقدَّم بمثابة بديل عن مقدِّمها، لكن كان على الساجدين أن ينكروا أنفسَهم دائمًا بطريقةٍ ما أمام **الله**.

هذان المبدآن مهمان جدًّا للخلاص بالنعمة. لقد مات المسيح مكاننا كي يكفِّر عن خطايانا ويغطيها ويوحِّدنا معًا ويحضرنا إلى **الله**، لكن لازال إنكار الذات هو "الطقس" الذي يطالب به من يملك على حياتهم.

حمل الخطية

تعلِّمنا بعضُ أجزاء العهد الجديد مثل (١ بطرس ٢: ٢٤) و(عبرانيين ٩: ٢٨) أن يسوع "حمل خطايانا" على الصليب. فهم المسيحيون في كل العصور ومن كافة التقاليد الكنسية هذه الحقيقة بمعنى أن يسوع كان هو البديل البريء الذي أوجده **الله** كي يأخذ مكان البشرية المذنبة ويتحمَّل القصاصَ الذي توجبه خطيتها.

لكن جاء معلمون كثيرون في القرن العشرين وتحدوا هذا الفهم التقليدي لحقيقة "القصاص البدلي"؛ قال بعضهم إن يسوع تحمَّل ألمَ أو ثقلَ خطايانا وليس عقوبتها المُستَحَقَّة، وقال آخرون إن يسوع أخذ مكاننا فقط لأنه قدم اعترافًا كاملاً بخطايانا، ومجموعة ثالثة منهم تقول إن القصاص البدلي إنما يصور **الله** على أنه "شخص مسيء للطفل إلى أبعد حد" – أب منتقم يعاقب ابنه على جريمةٍ لم يقترفها، وبالتالي لا يمكن أن يكون هذا وضعًا صحيحًا.

علينا أن نستمر في التأكيد على الفهم التقليدي للكنيسة لمبدأ القصاص البدلي؛ وذلك لأن يسوع تحمَّل بالفعل القضاء الإلهي المدمِّر (المُستَحَق علينا نحن) واستنزفه كي يعطي لنا الخلاصَ الأبدي، لكن علينا أيضًا أن ندرك أن "التحمُّل البدلي للألم" و "التوبة البدلية" يمثِّلان جزءًا من الصورة الكتابية للخلاص. يمكننا أن نرى ذلك بوضوح في الطقس المرتبط بيوم الكفارة اليهودي.

يسوع على الصليب – باعتباره البديل – حمل ما لم تستطع البشرية أن تحمله – أي العقاب العادل للخطية وهذا أمر أساسي للخلاص، لكنه أيضًا

قدَّم ما لم تَستَطِع البشريةُ أن تقدِّمه – أي اعتراف كامل بخطاياها (وإن لم يكن هذا أمرًا أساسيًّا)، وتحمَّل ما لم تَستَطِع البشرية أن تتحمَّله – أي الألم الكامل لكل فعلٍ وفكرٍ شرير منذ جنة عدن.

يوم الكفارة

يوجد مبدأ "حمل الخطية" في تلك الأجزاء من العهد القديم التي تصف حيوانات بريئة أو أشخاصًا أبرياء يتحمَّلون معاناة النتائج المترتبة على إثم شخص آخر، نرى ذلك على سبيل المثال في (لاويين ١٧: ١١) و(خروج ١٢: ٢٣).

تُستَخدَم نفس لغة "حمل الخطية" هذه عندما يقدِّم **اللهُ** نفسه البديلَ، وذلك كما نقرأ في (لاويين ١٠: ١٧) و(حزقيال ٤: ٤ – ٥). تتَّضح هذه الفكرة المهمة بصورة خاصة في الطقس المرتبط بيوم الكفارة السنوي المنصوص عليه في (لاويين ١٦).

يوم الكفارة هو حدث سنوي تُقدَّم فيه ذبيحة خطية جماعية أو قومية، وذلك على عكس ذبائح الخطية الشخصية المعتادة. كان هذا اليوم هو أهم يوم في السنة اليهودية، والمناسبة الوحيدة التي يدخل فيها رئيس الكهنة إلى "قدس الأقداس" (كان رئيس الكهنة هو الوحيد المسموح له بدخول قدس الأقداس وكان يدخله في هذه المناسبة فقط).

في ذلك اليوم، يأخذ رئيس الكهنة تيسين ويقدِّمهما كفارةً عن (لتغطية) كل خطايا شعب إسرائيل. يقوم رئيس الكهنة بذبح أحد التيسين ويرش دمه على المذبح بالطريقة المعتادة، ثم يضع يده على رأس التيس الآخر ويعترف بكل خطايا وشرور وعصيان شعب **الله**، وبعدها يطلق ذلك التيس في الصحراء في إشارةٍ رمزيةٍ إلى "حمل"، خطايا الشعب بعيدًا.

يوضح (لاويين ١٦: ٥) أن التيسين كانا ذبيحة واحدةً: فقد كان كلٌّ منهما يمثل جانبًا مختلفًا من جوانب الذبيحة الواحدة. يعطينا يوم الكفارة إعلانًا

عظيمًا دائمًا، هو أن المصالحة ممكنة فقط من خلال ذبيحة بديلة واحدة تتضمَّن "حمل الخطية" فيما تتضمن.

تضمَّنت عملية الكفارة:

- اعترافًا بدليًّا من قبَل رئيس الكهنة.
- تحمُّلاً بدليًّا للألم من قِبَل تيس قرعة عزازيل.
- قصاصًا بدليًّا من قبل التيس الذي يذبحه رئيس الكهنة.

تتحدث رسالة العبرانيين عن يسوع باعتباره رئيس الكهنة وكذلك باعتباره يمثل التيسين، نرى ذلك في (عبرانيين ٢: ١٧ و٩: ٧، ١٢، ٢٨). وهذا يؤكِّد على رحابة فهم مبدأ البدلية الذي أشرنا إليه.

(إشعياء ٥٣)

على الرغم من أن كلا التيسين قد لعبا دورًا في حمل الخطية، إلا أنه كان واضحًا للكثيرين من اليهود أن الحيوان ليس بديلاً مناسبًا للإنسان. رأينا فيما سبق كيف أن ترانيم إشعياء الأربع عن عبد الرب حدَّثت الشعبَ عن عبدٍ وديع لله يتألم حاملاً الخطية ويموت من أجل البشر.

تُوصَف آلام وموت هذا العبد في (إشعياء ٥٣). ليس هناك أي جزء من أجزاء العهد القديم أكثر أهميةً للعهد الجديد من هذا الأصحاح.

يشير كلٌّ من (يوحنا ١٢: ٣٨) و(متى ٨: ١٧) و(١ بطرس ٢: ٢٢ – ٢٥) و(أعمال ٨: ٣٠ – ٣٥) إلى الأعداد ١، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١ من هذا الأصحاح بصورةٍ مباشرة. وكل عدد من أعداد هذا الأصحاح فيما عدا عدد ٢ يُشَار إليه في موضع ما من العهد الجديد، على سبيل المثال:

عدد ٣ (مرقس ٩: ١٢). عدد ٧ (مرقس ١٤: ٦١ و١٥ : ٥) و(لوقا ٢٣: ٩) و(يوحنا ١٩: ٩). عدد ٨ (مرقس ٢: ٢٠). عدد ٩ (مرقس ١٤: ٨). عدد ١٠

(يوحنا ١٠ : ١١، ١٥، ١٧). عدد ١١ (متى ٣: ١٥). عدد ١٢ (لوقا ١١: ٢٢ و٢٢: ٣٧ و٢٣: ٣٤).

ممَّا لا شك فيه أن (إشعياء ٥٣) هو أصحاح أساسي جدًّا في فهم العهد الجديد لشخص يسوع وكذلك لفهم يسوع لنفسه. تشير كلمات يسوع في (مرقس ١٠: ٤٥ و١٤: ٢٤) بصورةٍ مباشرةٍ إلى (إشعياء ٥٣: ١٢) وتوضح أنه قد فهم موته كموت يحمل الخطية.

يدور كل ما في (إشعياء ٥٣) عن مبدأي البدلية والذبيحة. يوضح هذا الأصحاح أن العبد المتألم:

- حمل أحزاننا (عدد ٤)
- تحمَّل أوجاعنا (عدد ٤).
- جُرح لأجل معاصينا (عدد ٥)
- سُحق لأجل آثامنا (عدد ٥).
- أُدب من أجل سلامنا (عدد ٥).
- شفينا بحبره (عدد ٥).
- تحمَّل آثامنا (عدد ٦).
- ضُرب من أجل ذنبنا (عدد ٨).
- حمل آثامنا (عدد ١١).
- حمل خطيتنا (عدد ١٢).

إن (إشعياء ٥٣: ٤ – ٦) هو دليل مقنع على أن عبد الرب هو بديل تضمَّنت ذبيحته حَمْلَ كلٍّ من "قصاص" الخطية و"ألم" الخطية. بمجرد أن يتم اقتلاع جذر الخطية، يتم أيضًا القضاء على الألم وكل الثمار أو النتائج الأخرى للخطية مثل الفقر والمرض والموت نفسه. نتحدث عن هذا الارتباط بين التكفير والشفاء في كتاب "الخدمة المُنقادة بالروح" من سلسلة "سيف الروح".

يسوع مات عنا

تمهِّد تعاليم العهد القديم عن الذبائح والبدائل الطريق لتعاليم العهد الجديد عن موت يسوع عن الجنس البشري وتساعدنا على فهمها بصورةٍ صحيحة، نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٢٠: ٢٨) و(مرقس ١٠: ٤٥) و(رومية ٥: ٦ – ٨ و١٤: ١٥) و(١ كورنثوس ٨: ١١ و١٥: ٣) و(٢ كورنثوس ٥: ١٤ – ١٥) و(١ تسالونيكي ٥: ١٠) و(١ تيموثاوس ٢: ٦).

هناك أكثر من ٤٠ حرف جر في اللغة اليونانية يمكن ترجمتها إلى كلمةٍ إنجليزيةٍ واحدة هي حرف الجر "for" أي "عن". يؤكد بعضُ دارسي الكتاب المقدس على الفروق الدقيقة بين اثنين من هذه الأربعين وهما "hyper" و"anti". الحرف الأول يعني "عن" بمعناها الواسع أي "نيابةً عن" والثاني يعني "عن" بمعناها الضيق أي "بدلاً من".

تستخدم الكثير من النصوص التي تتحدث عن موت يسوع عنا حرف الجر "hyper" (فيما عدا متى ٢٠: ٢٨ ومرقس ١٠: ٤٥ اللذان يستخدمان "anti"). يستخدم بعضُ المعلِّمين هذه الحقيقة لتأييد معتقدهم بأن موت المسيح كان موتًا نيابيًّا وليس موتًا بدليًّا.

لكن هذه الفكرة تتجاهل التعليم الكتابي الأوسع عن الذبائح البدلية وتتجاهل حقيقة أن المعنى الأوسع لحرف الجر"hyper" يتضمَّن المعنى الأضيق لحرف الجر "anti". غالبًا يستخدم كُتَّابُ العهد الجديد في الواقع لحرف الجر"hyper" في سياق معناه الواضح هو "بدلاً من" وذلك كما نرى في (٢ كورنثوس ٥: ٢٠) و(فليمون ١: ١٣) على سبيل المثال.

يُستَخدَم حرف الجر"hyper" في أقوى ثلاثة تصريحات عن موت المسيح في العهد الجديد وهي (٢ كورنثوس ٥: ٢١) و(غلاطية ٣: ١٣) و(١ تيموثاوس ٢: ٦). يشرح بولسُ في هذه الأعداد أن موت المسيح كان بقصد نفعنا نحن – وهو بهذا المعنى يقصد موته "نيابةً عنا". لكن (٢ كورنثوس ٥: ٢١) يعني أيضًا أن يسوع تحمَّل قصاصَ الخطية "بدلاً منا" و(غلاطية

٣: ١٣) يعني أن لعنة الناموس التي كانت مستقرةً علينا انتقلت إليه حتى يحملها "بدلاً منا".

توضِّح هذه الأعداد أن تبادلاً غامضًا قد تم عندما اتَّحدنا بالمسيح؛ هو أخذ لعنتنا حتى نستطيع نحن أن نأخذ بركته، وأصبح خطيةً بسبب خطايانا حتى نتبَّرر نحن ببره.

يصف الرسول بولس هذا التبادل بأنه "احتساب شيءٍ ما لشخصٍ ما" كما نقرأ في (رومية ٤: ٦) و(١ كورنثوس ١: ٣٠) و(فيلبي ٣: ٩). منَ المهم أن نفهم أن هذا الاحتساب يتضمَّن قبولَ النتائج القانونية وليس نقل الصفات الأخلاقية (على الرغم من أن هذه الصفات تنمو بداخلنا بواسطة عمل الروح القدس).

لم تُنقَل حالتنا كخطاة في دواخلنا إلى يسوع كي تجعل منه خاطئًا بشكل شخصي، كما لم يُنقَل كماله الأخلاقي إلينا كي يجعلنا كاملين بصورةٍ شخصية، لكن ما حدث هو أن يسوع على الصليب قَبِلَ طوعًا باعتباره البديل المسؤولية القانونية أو النتائج المترتِّبة على خطايانا – وهذا هو ما يقصده الكتاب المقدس بتعبيرات مثل "صار خطيةً" و "صار لعنةً".

وبالمثل "بر **الله**" الذي يُحتَسَب لنا عندما نكون في المسيح ليس هو ذلك البر الفوري للشخصية والسلوك، لكنه بر مكانتنا أمام **الله**، وهذا ليس برًّا ممنوحًا، بل برًّا مُحتَسَبًا. إنه "بر أجنبي عنا" بحسب تعبير مارتن لوثر – أي بر يأتي من خارج أنفسنا. إننا نأخذ برَّ المسيح حتى نستطيع أن نقف بحصانةٍ وفرح أمام **الله**. لا يمكن المغالاة في التأكيد على أهمية هذا النظرة الشرعية أو القانونية لهذا الأمر.

البديل:

تناولنا في كتابي "معرفة الآب" و"معرفة الروح" أهمية فهم طبيعة **الله** مثلث الأقانيم فهمًا صحيحًا، كما تناولنا طبيعة يسوع ببعض التفصيل في

كتاب "معرفة الابن". إننا لن نستطيع أن نفهم الصليبَ بصورةٍ صحيحةٍ إن لم نفهم طبيعة الآب وطبيعة الابن وطبيعة الروح.

تتأسَّس معظم الاعتراضات العلمانية على الصليب على بعض الأفكار الخاطئة عن **الله** والمسيح، كما تنبع معظم أفكار المسيحيين الخاطئة عن الخلاص من الفهم غير الدقيق للعلاقة بين الآب والابن.

تعتمد فكرة البدلية على هوية البديل، والكل يعرف أن المسيح هو البديل، لكننا نحتاج إلى معرفة من هو بالتحديد المسيح الذي مات على الصليب.

يسوع مستقل

يعتقد معظم غير المؤمنين أن الشخص الذي مات على الصليب كان مجرد إنسان، وعلى الرغم من أن معظم المسيحيين يرفضون هذه الفكرة للأسباب التي أوردناها في كتاب "معرفة الابن"، إلا أن مؤمنين كثيرين يعتقدون أن الابن كان شخصًا منفصلاً عن **الله** إلى حدٍّ ما – أي كان طرفًا ثالثًا مستقلاً في عملية الخلاص.

وهذا يعني أنهم ينظرون إلى الصليب على أنه إما محاولة من يسوع لتهدئة وإرضاء إله غاضب والحصول منه على خلاصٍ يضن به، أو على أنه قتل إله ظالم ليسوع البريء بدلاً من المجرمين الحقيقيين.

نوضح في كتاب "معرفة الآب" أن مثل هذا التفكير إنما هو تعبير خاطئ جدًّا عن شخص الآب. لم يكن الآب راغبًا عن بذل نفسه أو عن الغفران للبشرية، كما أنه ليس بطاغيةٍ متجبِّر يجب إرضاء غضبه وتهدئته والتغلُّب على بغضه للبشر عن طريق شخص آخر خارج عنه أي عن طريق طرف ثالث.

نظرية "الطرف الثالث" هذه تضع الابنَ في مواجهة الآب مع أنه ليس هناك ولم يكن هناك أبدًا أي اختلاف أو صراع بينهما. إن كل ما حدث على الصليب إنما كان بمشيئة وقبول الآب والابن معًا.

العبارة الثانية في (إشعياء ٥٣: ١٠) صعبة الترجمة جدًّا؛ حيث لا يتضح من النص العبري إن كان **الله** أو العبد هو الذي قدم الذبيحة. من الممكن أن يكون المعنى هو "لكن **الله** قدم عبده ذبيحة إثم" أو "قدم العبد نفسه ذبيحة إثم".

سيبدو لنا من النظرة الأولى أن العهد الجديد يحتمل المعنيين أيضًا. يؤكد كلٌّ من (مرقس ١٤: ٢٧) و(يوحنا ٣: ١٦) و(رومية ٣: ٢٥ و٤: ٢٥ و٨: ٣، ٣٢) و(٢ كورنثوس ٥: ٢١). على أن **الله** أرسل الابن كي يكون ذبيحةً. لكن (متى ٢٠: ٢٨) و(غلاطية ٢: ٢٠) و(أفسس ٥: ٢، ٢٥) و(١ تيموثاوس ٢: ٦) و(تيطس ٢: ١٤) و(عبرانيين ٩: ١٤، ٢٦) تؤكد كلها على أن الابن هو الذي قدَّم نفسَه.

الحقيقة في هذا الشأن أيضًا متوازية ومتداخلة؛ الآبُ بذل الابنَ والابنُ بذل نفسَه طوعًا. لم يجعل الآبُ الابنَ يحمل ثقلاً كان غير راغبٍ في حمله، كما لم يفاجئ الابنُ الآبَ برغبته المضحية هذه. يتحدث كلٌّ من (غلاطية ١: ٤) و(يوحنا ١٠: ١٧ – ١٨) على هذه المفارقة بوضوح.

تُعتَبَر قصة إبراهيم وإسحاق على جبل المريا إشارةً واضحةً لقصة الصليب؛ حيث نرى فيها أبًا مستعدًّا للتضحية بابنه الوحيد ابن الموعد، كما نرى الابن وقد استعد بإرادته كي يكون الضحية، لكن إن نظرنا إلى قصة إبراهيم وإسحاق من زاوية أخرى، سنجد أنها صورة غير دقيقة لقصة الصليب؛ لأن إبراهيم وإسحاق هما شخصان منفصلان ومستقلان عن بعضهما البعض.

رأينا في كل سلسلة "سيف الروح" أن **الله** غير منقسم إلى ثلاثة. **الله** واحد، لكنه أكثر من واحد في ذات الوقت. الآب والابن والروح القدس ليسوا ثلاثة أقانيم منفصلة، لكنهم ثلاثة أوجه شخصية لجوهر واحد، وهم يعلنون عن وحدتهم معًا من خلال تنوُّع ثلاثي في الوظائف والصفات.

لو أسأنا فهم هذه الوحدة الثلاثية، فسنقع في خطأ عند النظر إلى الصليب. لو فكرنا في الآب والابن والروح القدس على أنهم ثلاثة كيانات منفصلة، فسننظر إلى أحداث صليب الجلجثة على أنها إما عقاب من **الله** ليسوع البريء (الإساءة الكونية لمعاملة الأطفال)، أو محاولة من يسوع لإرضاء إله غاضب (كما في الوثنية).

لكن (٢ كورنثوس ٥: ١٨ – ١٩) توضِّح أن الذبيحة لم يقدِّمها المسيحُ فقط أو **الله** فقط، لكن الذبيحة قدمها **الله** عاملاً في ومن خلال المسيح بموافقته الكاملة. لقد عملا معًا في تناغم. ربما كان عمل كلٍّ منهما مختلفًا لكن إرادتهما كانت واحدةً؛ لقد كانا معتمدين على بعضهما البعض وليسا مستقلين عن بعضهما البعض.

اللّه ذاته

وحدانية **الله** قادت بعض الناس (ويُطلَق عليهم "الموحِّدون") إلى الاعتقاد بأن **الله** وحده كان هو البديل وأنه هو من أخذ مكاننا ومات لأجلنا.

يقول هؤلاء إن (١ كورنثوس ٢: ٨) يوضح أن رب المجد هو من صُلِب، كما يعلن سفر الرؤيا أن الحمل الذي مات هو في مركز عرش **الله**. ويضيفون أن (عبرانيين ٩: ١٧) يعلِّمنا أنه ليس بإمكاننا أن نستفيد من وعود في وصيةٍ إلا بعد موت الموصِّي، ويعلن (أعمال ٢٠: ٢٨) أن **الله** اشترى الكنيسة بدمه.

لكن ما ينادون به هو أفكار خاطئة؛ حيث لا يعلن أيٌّ من هذه الأعداد الكتابية أن **الله** بصفةٍ خاصة هو من مات على الصليب، كما سيتضح خطأ هذه الأفكار عندما ندرك أن **الله** لا يمكن أن يموت لأنه أزلي أبدي.

المنطق وحده كافٍ لإقناعنا أن **الله** كان عليه أن يصبح إنسانًا (دون أن يتوقف عن كونه **الله** ودون أن يصبح هذا الإنسان مستقلاً عن **الله**) إن أراد أن يموت كبديل عنا ويكون القاضي والضحية البريء في ذات الوقت. يوضح (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٨) و(فيلبي ٢: ٦ – ٨) هذه الحقيقة.

رأينا في كتاب "معرفة الآب" أن العهد الجديد عادةً ما يقصد الأقنوم الأول **لله** أي الآب عندما يذكر **الله**، وهذا سبب آخر وراء تلك الفكرة الخاطئة بأن **الله** مات على الصليب. لكن الابن كلي الناسوت وكلي اللاهوت هو من مات على الصليب وليس الآب كلي اللاهوت.

لو بالغنا في التأكيد على آلام **الله** على الصليب فسوف نقع في خطأ الخلط بين الأقانيم الثلاثة وإنكار التمايز الأزلي الأبدي للابن وإنكار ناسوت يسوع الكامل.

تؤكد نصوص مثل (رومية ٥: ١٢ – ١٩) و(غلاطية ٤: ٤) و(فيلبي ٢: ٧ – ٨) و(عبرانيين ٥: ٨) على وحدانية الأقانيم الثلاثة والتمايز الوظيفي بينهم وذلك عن طريق التأكيد على خضوع الابن للآب طوعًا. نرى في كتاب "معرفة الابن" أن هذه الطاعة هي أساس بنوية يسوع.

اللّه في المسيح

البديل الذي أخذ مكاننا وقدَّم اعترافًا كاملاً بخطايانا وتحمَّل آلام كل خطايانا والقصاص الذي يقتضيه عصياننا وتمردنا لم يكن هو المسيح وحده (لأنه في هذه الحالة سيكون مجرد طرف ثالث خارجي)، كما لم يكن هو **الله** وحده (لأن في هذا نفيًا للتجسد).

لكن البديل على الصليب كان هو **الله** في المسيح – إنسانًا كاملاً وإلهًا كاملاً، وبذلك كان مؤهَّلاً بصورةٍ متفردةٍ ليمثل كلًّا من **الله** والبشرية ويتوسط بينهما.

عندما نفكر في الصليب مركزين على آلام وموت المسيح، نكون متجاهلين لمبادرة الآب الكريمة، لكن عندما نفكر فيه مركزين على آلام وموت **الله**، نكون متجاهلين لواسطة الابن الكريمة.

يؤكد العهد الجديد دائمًا – على عكس هاتين النظريتين الجزئيتين – على أن الآب اشترك في الخلاص في ومن خلال المسيح بموافقته الكاملة. نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ١: ١ – ٢٣) و(مرقس ١٤: ٣٦) و(لوقا ٢: ١١) و(يوحنا ٤: ٣٤ و٦: ٣٨ – ٣٩ و٨: ٢٩ و١٠: ١٨، ٣٠ و١٤: ١١ و١٥: ١٠ و١٧: ٤، ٢١ – ٢٣ و١٩: ٣٠) و(٢ كورنثوس ٥: ١٧ – ١٩) و(كولوسي ١: ١٩ – ٢٠ و٢: ٩) و(عبرانيين ١٠: ٧).

إن من يستطيع أن يكفِّر عن خطايا البشرية يجب أن يكون إنسانًا (لأن البشر هم من أخطأوا). كما أن **الله** وحده هو من يستطيع أن يصنع التكفير اللازم (لأنه هو من يطالب به بعدل ولأن البشر لا يمكنهم أن يكفروا عن أنفسهم).

لذلك فإن يسوع المسيح هو البديل الوحيد لأنه الوحيد الذي اجتمع في شخصه ما يجب وما يمكن عمله لأنه إنسان كامل وإله كامل.

الصليب

هذه الأفكار عن "الوحدانية الإلهية" وعن "**الله** في المسيح" تعني أمرين: أولاً: هناك طرفان فقط في دراما الصليب وليس ثلاثة أطراف، وهما البشرية و**الله**. ثانيًا: كل ما تم كان هو عمل النعمة.

عندما بذل **اللهُ** ابنَه، بذل هو نفسَه من أجلنا، وعندما أرسل ابنَه، جاء هو إلينا. لقد تدخل القاضي بالنعمة وتحمَّل هو نفسه القصاص الذي أقره علينا. ولكي يخلِّص البشريةَ الخاطئةَ بطريقةٍ تتوافق تمام الاتفاق مع طبيعته المقدسة، أبدلنا "**الله** في المسيح" بنفسه.

يجب أن يقنعنا كلُّ ما تناولناه في الجزأين الثاني والثالث بأن "الاِّتساق الذاتي الإلهي من خلال البدلية الإلهية" هو التفسير الممكن الوحيد للصليب. قبل أن ننتقل إلى الحديث عمَّا تم على الصليب وما هي نتائجه بالنسبة لنا،

علينا أن نكون واضحين تمامًا بشأن ما هو الصليب وما ليس هو الصليب. الصليب، على سبيل المثال، ليس:

- صفقةً مع الشيطان.
- أمرًا تتطلَّبه مجموعة من القوانين أو الشرائع.
- عقابًا ليسوع البريء من قبل آب ظالم.
- وسيلةً لانتزاع الخلاص من آب يبخل به علينا.
- عملاً للآب لم تتدخل فيه واسطة المسيح.

لكن **الله** المحب والعادل وضع نفسَه كي يصبح إنسانًا في ومن خلال ابنه الوحيد حتى يتحمَّل النتائجَ المريعةَ للخطية البشرية، وقد كان كريمًا جدًّا حين صنع ذلك كي يخلِّصنا دون أن يتنازل عن صفات شخصه القدوس.

إن البدلية من عدة أوجه تقع في مركز الخطية والخلاص. يمكننا القول بأن أساس الخطية هو إبدال البشرية **لله** بنفسها بينما أساس الخلاص هو إبدال **الله** للبشرية بنفسه.

لقد وضعنا أنفسَنا من خلال الخطية حيث يجب أن يكون **الله** وحده. و**الله** بنعمته الرائعة، وضع نفسَه حيث نستحق نحن أن نكون. إن خلاصنا هو حقًّا بالنعمة.

الجزء الرابع

عهود النعمة

أثناء "العشاء الأخير" بينما كان يسوع ورسله مجتمعين معًا لتناول عشاء الفصح، أخذ يسوعُ رغيفَ خبز وباركه ثم قسمه وأعطاه لتلاميذه كي يأكلوا منه قائلاً الكلمات الواردة في (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٨) و(مرقس ١٤: ٢٢ – ٢٤) و(لوقا ٢٢: ١٧ – ١٩) و(١ كورنثوس ١١: ٢٣ – ٢٥).

وبنفس الطريقة، أخذ يسوعُ كأسًا من النبيذ بعد العشاء وباركها وأعطاها لتلاميذه ليشربوا منها، قائلاً لهم: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي" و"هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا".

نتناول عشاء الشركة الذي أسَّسه يسوع في كتاب "المجد في الكنيسة" كما نتحدَّث عن جذوره في احتفال العائلة بعيد الفصح، لكننا نحتاج في هذا الكتاب إلى فهم أهمية تأكيد يسوع على أن الله – من خلال سفك دمه بموته – أخذ مبادرة تأسيس "عهد جديد" أو "اتفاقية جديدة ملزمة" مع شعبه الذي وعده بالمغفرة.

كلمة "عهد" هي كلمة مهمة علينا أن نفهمها. تشير هذه الكلمة إلى اتِّفاق أو عقد بين طرفين. الكلمة العبرية التي تعطي هذا المعنى هي "berit" وهي على الأرجح مُشتقَّة من الكلمة الأكادية "biritu" التي تعني "يشبك أو يقيد" مما يجعل الكلمة تنطوي على معنى "اتفاقية ملزمة" بين طرفين. عادةً يميِّز دارسو الكتاب المقدس بين نوعين من العهود: العهد غير المشروط والعهد المشروط (أو العهد الأحادي والعهد الثنائي). العهد الأحادي هو عهد

من جانب واحد يُلزم فيه **اللهُ** نفسَه أمام الطرف الآخر. يختلف هذا العهد عن العهد الثنائي الذي يصبح لاغيًا إن أخل أحد طرفيه بشروطه المُحدَّدة.

مبدأ العهد هو مبدأ أساسي ومهم لكلٍّ من العهدين القديم والجديد. قلنا فيما سبق إن **الله** أسس "عهدًا جديدًا" من خلال يسوع على الصليب، لكن لو أردنا أن نفهم هذا العهد الجديد بشكل صحيح، فعلينا أن نتأمل أولاً في "العهود القديمة" التي سبقت موت يسوع على الصليب والتي كانت تشير إلى هذا الموت.

العهود القديمة

يسجل (تكوين ٦: ١٨) أول ذِكْر واضح للعهد، ويُرسِي أهم المبادئ الكتابية عنه. هنا أخذ **اللهُ** المبادرةَ وصنع اتفاقيةً ملزمةً مع نوح وعده بمقتضاها بالخلاص بالنعمة. لم تكن هذه الاتفاقية عقدًا بين **الله** ونوح يستفيد منه كلا الطرفين، لكنها كانت اتفاقيةً كلها بالنعمة وكلها من **الله** وكلها لأجل مصلحة وخلاص نوح وعائلته في وقت القضاء.

أعلن **الله** لنوح أنه سيؤسِّس عهده معه. كان هذا عهد **الله**، أسَّسه من جانب واحد وبلا شروط وبمقتضاه أُعفِي نوح [من القضاء]. كان هذا إعفاءً من **الله** وبسلطانه كي يخلِّص بالنعمة نوحَ وعائلته.

وعلى الرغم من أن العهد كان عهد نعمة، إلا أن نوح وعائلته كان عليهم الاستجابة له بالدخول إلى الفلك كي يستطيعوا اختبارَ فوائد عهد الخلاص. يمكننا القول إن العهد كان كله عهد نعمة لكن كان على نوح وعائلته أن يقدِّروا الوعدَ عن طريق طاعة ملؤها الإيمان. ومع ذلك كان خلاصهم بالإيمان، وليس بالأعمال؛ حيث كان العمل هو مجرد تصديق **الله** وائتمان أنفسهم في الفلك الذي هو صورة للمسيح.

العهد مع نوح

بعد أن انحسر الطوفان، كرر **اللهُ** عهَده مع نوح وعائلته. يصف (تكوين ٩: ٩ – ١٧) ما حدث ويعلن بصورةٍ أوضح عن الطبيعة الجوهرية لعهود **الله**.

لم يكن هناك اتفاق ثنائي هذه المرة أيضًا بل نعمة **الله** ومبادرة **الله** وعمل **الله** من أجل منفعة نوح وعائلته. يمكننا القول بأن هذا العهد القديم كان بمشيئة **الله** نفسه وبمبادرةٍ منه وكان هو مؤسِّسه، كما كان العهد عالميًّا في مداه؛ حيث لم يشمل نوح فقط بل كل نسله وكل مخلوق حي على الأرض، وهذا يثبت أن عطية النعمة:

- بإرادة ومبادرة وعمل **الله** بالكامل.
- ذا نظرةٍ كونيةٍ – لم يكن يشمل نوح فقط بل أيضًا نسلَه وكلَّ من يعيش على سطح الأرض – وهذا يثبت أنَّ تقديم النعمة لا يتوقف على الاستجابة الجيدة لمَن توهَب لهم.
- غير مشروطة؛ حيث لم يكن هناك أي شروط مسبقة أو مطالب. لم يكن هناك في الواقع أي التزامات مستمرة ممَّا يدل على أن العهد لم يكن من الممكن أن يُكسَر.
- مرتبطة بعلامة تأكيد؛ حيث لا يمكن للبشرية أن تتحكم في قوس قزح أو تتلاعب به. إنه ضمان **الله** لأمانته.
- دائمة؛ حيث لا يوجد هناك أي شك بشأن وعد غير مشروط.

العهد مع إبراهيم

تحدث **الله** مع إبراهيم في (تكوين ١٢: ١ – ٣) واستجاب إبراهيم لحديث **الله** بالإيمان تاركًا حاران إلى أرض كنعان.

وبعد ذلك بعدة سنوات أكد **الله** كلمته لإبراهيم كما نقرأ في (تكوين ١٥: ١). لكن هذه المرة سأل إبراهيمُ **اللهَ** عن الطريقة التي سيحقق بها وعده (تكوين

١٥: ٢ – ٣)، أجاب **اللهُ** إبراهيمُ في عددي ٤ – ٥. من خلال رؤية النجوم في السماء "رأى" إبراهيمُ وعدَ **الله** له وآمن به، وهذا نموذج لمبدأ "التبرير بالإيمان وحده".

نقرأ في (تك ١٥: ٦) أن إبراهيم آمن بـ**الله** فحُسب له هذا برًّا. ومع ذلك أراد إبراهيم أن يتأكد مائة بالمائة من أن وعد **الله** له سيتحقق، لذلك نجده في (تك ١٥: ٨) يطلب من **الله** أن يعطيه ضمانًا أو علامةً تؤكد على كلامه معه.

لقد كان في الواقع يطلب من **الله** أن يدخل معه في اتفاقيةٍ ملزمة. استجاب **الله** لطلب إبراهيم وأسَّس معه العهد الذي نقرأ عنه في الأعداد ٩ – ٢١. تشبه طريقة قطع هذا العهد طقوس قطع العهود القديمة التي يصفها (إرميا ٣٤: ١٨)؛ حيث كان طرفا العهد يسيران بين أجزاء الحيوانات المذبوحة ويدعوان على أنفسهما بمصير هذه الحيوانات إن هما خانا العهد.

لكن **الله** وحده هو الذي مر بين أجزاء الحيوانات كي يوضح أن عهوده هي دائمًا عهود أحادية وأنها بكاملها مبادرة نعمة إلهية خالصة. كان لهيب النار هو يهوه نفسه كما في (خروج ٣: ٢ و١٣: ٢١ و١٩: ١٨). أما العتمة والوقت الذي مر فيه فيشيران إلى الجلجثة؛ حيث قطع **اللهُ** عهدًا مماثلاً لكن أعظم بما لا يُقَاس من خلال الدم الذي سال من جسد يسوع.

في عهد الدم الذي قطعه **اللهُ** مع إبراهيم، كان **الله** يقول: "لأكن مثل هذه القطع المذبوحة إن فشلت في الوفاء بكلمتي لك". مهَّد هذا العهدُ الطريقَ للقَسَم الذي أقسمه **الله** لإبراهيم في (تكوين ٢٢: ١٦ – ١٧) عند اكتمال إيمان إبراهيم.

يساعدنا هذا العهد القديم على فهم أن دم المسيح على الصليب هو تعهد مقدس من قبل **الله** بأنه سيحفظ عهده الجديد بالغفران لنا.

الدم هو تأكيد للإيمان من قِبَل **الله** – ذلك التأكيد الذي نحتاج إليه بسبب عدم قدرتنا على حفظ العهد وعلى اعتمادنا الكامل على غفران **الله**. علينا

أيضًا أن نرى أن الدم يشير إلى قَسَم **الله** لنا – قوس قزح في حياتنا – الذي هو العهد الجديد عهد الروح.

العهد مع إسرائيل

تعتقد بعض التقاليد الكنسية أن هذا العهد مختلف عن بقية العهود؛ حيث هو عهد "أعمال" وليس عهد "نعمة"، لكن بعض الأجزاء الكتابية مثل (خروج ٢: ٢٤ و٣: ١٦ و٦: ٤ – ٨) و(مزمور ١٠٥: ٨ – ١٢، ٤٢ – ٤٥ و١٠٦: ٤٥) توضح أن كل معاملات **الله** مع إسرائيل إنما هي قائمة على اتفاقه الملزم مع إبراهيم.

وكما أعلن **الله** عهديه مع نوح وإبراهيم على مراحل، هكذا صنع عهده مع شعبه من خلال موسى على عدة مراحل. ربما تختلف التفاصيل في كل مرحلة، لكن مبدأي النعمة والوعد يغلِّفانها جميعًا.

يجب أن نفهم أن:

- **عهد الله** في (خروج ١٩: ٥ و٢٤: ١ – ١٨ و٣٤: ١ – ٣٥) و(تثنية ٢٩: ١ – ٢٩) هو عهد صنعه مع شعب كان بالفعل مختارًا ومُخلَّصًا ومخلوقًا ومُتَبَنًّى من قِبَل نعمة **الله** ذات السلطان.

نرى ذلك في (خروج ٢: ٢٥ و٤: ٢٢ – ٢٣ و٦: ٦ – ٨ و١٥: ١٣ و٢٠: ٢) و(تثنية ٤: ٣٧ و٧: ٦ – ٨ و٨: ٥، ١٧ – ١٨ و٩: ٤ – ٦، ٢٦ و١٣: ٥ و١٤: ١ – ٢ و٢١: ٨ و٣٢: ٦) و(١ أخبار ٢٩: ١٠) و(إشعياء ٦٣: ١٦ و٦٤: ٨) و(إرميا ٣: ١٩ و٣١: ٩) و(هوشع ٩: ١ و١٣: ٥) و(عاموس ٣: ٢) و(ملاخي ١: ٦ و٢: ١٠).

- العلاقة الروحية التي كانت في قلب العهد مع نوح والعهد مع إبراهيم هي نفس العلاقة التي كانت في مركز العهد مع إسرائيل، نرى ذلك في (خروج ٦: ٧) و(تثنية ٢٩: ١٠ – ١٣).

- مبادرة **الله** الكريمة ذات السلطان كانت متصدرةً للعهد كما نرى في (خروج ١٩: ٥ – ٨ و٢٤: ٣ – ٤) و(تثنية ٤: ١٣ – ١٤).

غالبًا ما يُسمَّى عهد **الله** مع إسرائيل عهد "ناموس" أو "أعمال"؛ وذلك بسبب التركيز الكتابي على طاعة إسرائيل للناموس، والتي كانت إضافةً لعهد **الله** الأساسي مع إبراهيم. سيبارك **اللهُ** شعبَه حينما يطيعون الناموسَ وسيُنزِل عليهم اللعنةَ إن هم عصوا الناموس.

لكن الإلزام بطاعة الناموس كان في جوهره مشابهًا للأمور الملزمة التي أعطاها **الله** في (تكوين ٦: ١٨ – ٢٢ و١٧: ٩ – ١٤ و١٨: ١٨ – ١٩). لم تكن أيٌّ من هذه الأمور شرطًا مسبقًا لما يختص بها من عهود، لكنها كانت مجرد وسيلة لتقدير بركات العهد والتمتُّع بها.

بالنعمة أوجدت عهود **الله** المتتالية لشعبه فرصةً لهم كي يعيشوا في علاقة عهد معه. ولأن **الله** قدوس، فهؤلاء الذين يدخلون في عهدٍ معه مدعوون للعيش في قداسته ومع قداسته، نرى ذلك في (تثنية ٦: ٤ – ١٥) و(لاويين ١١: ٤٤ – ٤٥ و١٩: ٢ و٢٠: ٧، ٢٦ و٢١: ٨) وفي (١ بطرس ١: ١٥) و(عبرانيين ١٢: ١٤).

يفسِّر بعض المؤمنين ما ورد في (خروج ١٩: ٥ – ٦ و٢٤: ٧ – ٨) بمعنى أن العهد مع إسرائيل لم يبدأ حتى تعهد الشعب بطاعة الناموس، لكن العهد مع إسرائيل بدأ بإبراهيم وكان الناموس مجرد إضافة لهذا العهد الموجود مسبقًا. ومع ذلك نجد أن "العهد" يُذكَر في مقابل "الناموس" في (رومية ٤).

كان الشعب يعلم أن **الله** هو الإله حافظ العهد؛ لأنه خلصهم من أرض مصر، كما كانوا يعرفون أن العهد كان ساريًا بالفعل، وأن النعمة قد مُنحت وأُخذت وأن الاتفاقية بين **الله** ونسل إبراهيم قائمة بالفعل، لكن الناموس قد أُضيف الآن إلى العهد.

وهذا يعني أن وعد اليهود بالطاعة في (خروج ٢٤: ٧) لم يكن هو مدخلهم إلى العهد، لكنه كان تعبيرًا عن التزامهم بالحياة في العهد من خلال الناموس. لقد كان وعدهم بالطاعة هو استجابتهم لنعمة **الله**.

نؤكد في كل سلسلة "سيف الروح" على أننا مدعوون – باعتبارنا مؤمني العهد الجديد – إلى "طاعة البشارة" التي هي "على وجه الخصوص، لتمكين طاعة حكم **الله** الشخصي". وعلى الرغم من أن هذا النوع من الطاعة في العهد الجديد يختلف بصورةٍ رائعة عن "الطاعة الناموسية" في العهد القديم، فإننا يجب أن ندرك أن الإلزام بالطاعة في العهد الجديد هو في جوهره نفي الإلزام الظاهر في كل عهود **الله**.

سنرى في الأجزاء من الخامس إلى الثامن أنه على الرغم من أن كل جانب من جوانب العهد الجديد هو حقيقة تامة، فإننا لا نستمتع بالبركات الكاملة للعهد على الأرض دون المثابرة والطاعة والمحبة.

العهد المسياني

لا ترد كلمة "عهد" في (٢ صموئيل ٧: ١٢ – ١٧)، لكن يتضح من نصوص مثل (مزمور ٨٩: ٣ – ٤، ٢٦ – ٣٧ و١٣٢: ١١ – ١٨) أن هذا اتفاق مُلزِم صنعه **الله** مع داود.

يتَّضح هنا مرةً أخرى أن هذا العهد هو بكامله عمل النعمة التي تلزم **الله** بعهده الذي قطعه من جانب واحد وتضمن تحقُّق العهد للمستفيد منه، نرى ذلك على سبيل المثال في (مزمور ٨٩: ٣) و(٢ صموئيل ٢٣: ٥).

كان الإعلان "الأخير" عن عهد قديم هو أوضح إشارة إلى العهد الجديد في ومن خلال يسوع؛ لأنه يشير صراحةً إلى المسيا، نرى ذلك على سبيل المثال في (إشعياء ٤٢: ١ – ٦ و٤٩: ٨ و٥٥: ٣ – ٤) و(ملاخي ٣: ١) و(لوقا ١: ٣٢ – ٣٣) و(أعمال ٢: ٣٠ – ٣٦).

توضح الأجزاء الكتابية من سفر إشعياء أن "العبد" (الذي تحدثنا عنه في الجزء الثالث) هو نفسه "العهد"؛ لأن بركات وعطايا عهد **الله** مع شعبه مرتبطة معًا في المسيا لدرجة تجعل منه في الواقع تجسيدًا لبركات وحضور **الله** التي يؤكد العهد عليها.

هذه النظرة الكتابية على العهود القديمة لابد وأن تكون كافيةً لإقناعنا بأن **الله** يتعامل مع شعبه من خلال العهود ومن خلال:

- غنى نعمة عهوده.
- يقينية عطايا عهوده.
- يقينية وعوده المؤسَّسة على العهد.

العهد الجديد (The new covenant)

عندما نقرأ إعلانَ يسوع عن أن دمه هو دم العهد المسفوك من أجل غفران الخطايا، وأن كأس العشاء الأخير هي كأس العهد الجديد بدمه، يمكننا أن نفهم هذا الإعلان بصورةٍ صحيحةٍ فقط في إطار العهود الكتابية.

يمكننا أن نخمن – دون أن نقرأ ولو صفحة واحدة من أسفار العهد الجديد (The New Testament) – أن هذا العهد الجديد (the new covenant) الذي يتحدث عنه يسوع سيكون بكامله عملاً للنعمة وستُمنَح بمقتضاه بركات قيِّمة وسيضمن كذلك تحقق وعود مهمة ويؤسِّس علاقةً مقدسةً بين **الله** وشعبه مطالبًا بطاعةٍ ما. كل هذه أمور منصوص عليها بالفعل في العهد القديم كما نقرأ في (إرميا ٣١) على سبيل المثال.

تعلمنا أسفار العهد الجديد أن هذا العهد الجديد يتمِّم العهودَ القديمة ويجني ثمارها. النعمة التي أُعلنت جزئيًّا في العهود القديمة ظهرت بكاملها وأُعطيت. العلاقة مع **الله** التي كان التمتع بها جزئيًّا في العهود القديمة

أصبحت على أعظم قدرٍ ممكن من الحميمية. بركات العهود القديمة تطورت وزادت وتقوَّت وأُكمِلت وهكذا.

نرى هذه الحقيقة في (غلاطية ٣: ١٥ – ٢٢)؛ حيث يؤكد الرسول بولس على أن العهد مع إسرائيل لم ينسخ العهدَ مع إبراهيم، ثم يشرح بعد ذلك أنه كان إضافةً وليس إبطالاً له، وأن هذه الإضافة خدمت العلاقة التي وعد بها. كما يوضِّح أن كلا العهدين مُؤسَّس على نفس مبدأ الوعد بالنعمة والإيمان البشري.

وحيث إن العهود اللاحقة تضيف إلى العهود السابقة، تتحدث (غلاطية ٣: ١٥ – ١٦) عن المسيح بصفته إتمام العهد الذي صنعه **الله** مع إبراهيم، كذلك يعلن (لوقا ١: ٧٢) عن نبوة زكريا التي يقول فيها إن عمل المسيح الخلاصي سيتمِّم عهدَ **الله** مع إبراهيم.

نعلم أن العهد الجديد يشير بصفةٍ أساسيةٍ إلى العلاقة الجديدة التي تأسَّست من خلال جسد يسوع المكسور على الصليب، لكنه مع ذلك يحتوي على كل النعمة المُخلِّصة والبركة والحق والوعد في كل العهود القديمة.

هناك بالفعل انقطاع واستمرارية بين العهود القديمة والعهود الجديدة. العهود القديمة ركَّزت على أمورٍ خارجية وقليلون نسبيًّا هم من عرفوا **الله** بصورةٍ شخصيةٍ وحميمةٍ من خلال الروح القدس، لكن العهود الجديدة تركِّز على أمور داخلية وإمكانية معرفة **الله** أصبحت متاحةً للجميع (إرميا ٣١: ٣٤) و(عبرانيين ٨: ١١)، ولذلك، فإن العهود الجديدة تبطل القديمة؛ حيث تعطي علاقتنا بـ**الله** بعدًا فعَّالًا جديدًا تمامًا، لكن العهود الجديدة تتمم القديمة في ذات الوقت.

يصف (٢ كورنثوس ٣: ٦ – ١٨) بعض المكاسب الجديدة التي حقَّقها العهدُ الجديد: خدمة البر والحرية وحياة الروح، وبداية عملية (طاعة البشارة) نتغير من خلالها إلى صورة **الله** المقدسة بواسطة روح الرب القدوس.

رأينا أن عهود **الله** مع شعبه هي دائمًا اتفاقيات أحادية مُلزِمة تقوم على النعمة والوعد وتُصنَع دائمًا في – وحول – إطار الخلاص والفداء.

دائمًا يمنح **اللهُ** نعمتَه المخلِّصة وبعضًا من بركاته في صورة عهود، وذلك منذ أيام نوح وحتى اليوم، ويأتي كلٌّ من هذه العهود المتلاحقة ليكشف المزيدَ عن مشيئة وقصد **الله** للفداء والخلاص، ولم يَجِد أيٌّ منها أبدًا عن الصفات المركزية التي تحكم طبيعة العهد.

كان كل عهد من هذه العهود المتلاحقة إضافةً غنيةً لما كان موجودًا دائمًا. نعرف أن الجلجثة هي ذروة النعمة والوعد والفداء والإعلان، لكن علينا ألا ننسى أن وعد العهد الأبدي "سأكون لكم إلهًا وستكونون لي شعبًا" هو في مركز الصليب. جعل العهدُ الجديدُ هذه العلاقةَ – من خلال دم المسيح – في أعلى مستوى ممكن. الأمر ببساطة هو أنه لا يمكن أن يكون هناك وعد أعظم أو علاقة أكثر حميميةً من الوعد والعلاقة الممنوحين لنا بكَرَمٍ في العهد الجديد.

عهود الدم

يتحدث العهد الجديد – وبصفة خاصة في (غلاطية ٣) – عن عهد الدم الذي قطعه **اللهُ** مع إبراهيم كأساسٍ للإيمان المسيحي، كما يؤسَّس عهدُ الصليب الجديد على عهد إبراهيم الذي هو عهد نعمة وإيمان.

أكَّد عهدُ الدم الذي قطعه **الله** مع إبراهيم في (تكوين ١٥: ١٧ – ١٨) على النعمة التي كان قد أعلن عنها بالفعل في العهد مع نوح. لم يطالب **اللهُ** إبراهيمَ بأي شيء، كما لم يقدم إبراهيمُ **لله** أيَّ تعهدٍ. وردت هذه المطالبة فيما بعد في (تكوين ١٧: ١ و٢٢: ١٢) عندما دعا **اللهُ** إبراهيمَ للدخول في علاقةٍ أعمق معه، لكن عهد الدم كان حدثًا خاصًّا ونعمةً خالصةً.

لم يذكر **اللهُ** زلات إبراهيم وشكوكه، كما لم تمنع هذه الزلاتُ **اللهَ** من إقامة العهد مع إبراهيم. قطع **اللهُ** العهدَ مع إبراهيم عندما أظهر إبراهيمُ إيمانَه وقبل أن يطالبه بالطاعة ويمتحن طاعته ويثبته. عمل **الله** بنفس مبدأ النعمة هذا على صليب الجلجثة.

يتحدث (١ كورنثوس ١١: ٢٥) و(عبرانيين ٨: ٦ – ١٠) عن الصليب باعتباره عهدًا جديدًا، وهذا يعني أن "الدم" هو قَسَم **الله** للبشرية. لم يكسر **اللهُ** وعدَه الذي أعطاه لإبراهيم في (تكوين ١٥)، ومع ذلك سمح أن يلاقي هو نفسه مصيرَ حيوانات العهد على صليب الجلجثة.

على الصليب، لم تكن هناك أية مطالبة بالطاعة بل فقط عَرْض بالغفران. لم تعوق زلاتُنا وشكوكُنا تنفيذَ العهد؛ لأن الصليب كان أيضًا عملَ نعمةٍ خالصةٍ.

منذ عهد دم الصليب، لم يعد هناك شيء آخر أمام **الله** ليفعله؛ لقد أعطى وعدَه الأبدي غير المشروط وشهد دمه على أمانته وصدقه. والدم الآن يلزم **الله** أن يحفظ كلمته إلى الأبد.

دم المسيح

تركز بعض فروع الكنيسة على دم المسيح، وكثيرًا ما تستخدم تعبيرات من قبيل "مغسولين بالدم" و"مغطين بالدم" و"لنا الوعد بواسطة الدم" و"مضمونين بالدم".

كذلك يستخدم معظم المؤمنين تعبير "الدم" كاختصارٍ يدل على موت المسيح الكفاري، لكن الكلمة تشير حرفيًّا إلى الدم الذي سفكه يسوع على الصليب. يمكننا أيضًا أن نقول إن "الدم" يمثل العمل الكلي لموت المسيح وهو عربون عهد **الله** الجديد.

تحتوي رسالة بولس إلى أهل رومية على أوضح التعاليم الكتابية وأكثرها تفصيلاً عن الخلاص. يستخدم بولسُ العديدَ من الكلمات المصورة

المعاصرة مثل "التبرير" و"الفداء" و"الاسترضاء" كي يصف نتائج موت المسيح. نتناول هذه النقطة في الجزء الخامس.

يبدأ بولس بفكرته العظيمة عن التبرير بالإيمان ويشرح أن المسيح قد مات مكاننا. ثم يوضح بعد ذلك أن الهدف العظيم من هذا الموت البدلي هو مصالحتنا مع **الله**.

نرى في كتاب "الوصول للتائهين" أن المصالحة ليست جانبًا من جوانب الخلاص لكنها الهدف العظيم الذي يشكِّل إطارَ الخلاص. لقد افتُدينا وتبررنا وغُفر لنا حتى نُصالَح مع **الله**. دم المسيح الذي سفكه في موته البدلي الذي ملؤه الإيمان هو الذي أتم هذه المصالحة وشهد عنها.

يعلمنا العهد الجديد أن دم يسوع قد حقَّق بالفعل ما كانت الذبائح الطقسية في العهد القديم ترمز إليه وما كانت العهود القديمة تشير إليه؛ أي الغفران الأبدي للخطية.

دم الذبيحة

رأينا أن دم ذبيحة الفصح – شاة ذكر من الخرفان أو الماعز – كان يُرَش بالإيمان على الأعتاب العليا وقوائم أبواب المنازل اليهودية كعلامةٍ على أنهم شعب عهد **الله**.

عندما كان **الله** يرى الدم، كان يَعبُر عن المنزل ولا يُميت البِكرَ حين حل غضبه على مصر، لذلك يُسمَّى يسوعُ "خروف الفصح"؛ لأنه من خلال إيماننا بدم عهده يَعبُر **الله** عنا ولا يعاقبنا على خطيتنا.

رأينا أيضًا أن رئيس الكهنة في يوم الكفارة كان يقدم ثورًا ذبيحةً عن خطاياه وخطايا بيته ويقدم تيسين عن آثام وخطايا الشعب، ثم كان رئيس الكهنة يقوم برش دم الثور ودم التيس المذبوح على وأمام كرسي الرحمة والمذبح تكفيرًا عن نجاسة وعصيان شعب إسرائيل. يصف (عبرانيين ٩:

١٢) اللحظة التي دخل فيها يسوع المسيح رئيس كهنتنا الأعظم إلى السماء بدم نفسه بعد أن حصل لنا على الخلاص الأبدي.

يصف العهدُ الجديد موتَ المسيح بأنه في الأساس ذبيحة عن الخطية الإنسانية، نرى ذلك على سبيل المثال في (١ كورنثوس ٥: ٧) و(٢ كورنثوس ٥: ١٤) و(غلاطية ٢: ٢٠) و(أفسس ٥: ٢) و(عبرانيين ٥ – ١٠) و(١ بطرس ٣: ١٨) و(١ يوحنا ٢: ٢).

وهذا يعني أن الدم هو دليل وتأكيد موت الذبيحة، وأنه ضمان عهد **الله**. يذكر العهد الجديد عشر طرق يؤكد بها الدم لنا على عهد **الله** الجديد معنا. يمكننا أن نقول بكل ثقة إن الدم يضمن لنا:

- الغفران (أفسس ١: ٧).
- التطهير (١ يوحنا ١: ٧).
- البر (رومية ٥: ٩).
- الفداء (أفسس ١: ٧).
- التقديس (عبرانيين ١٠: ١٠ و١٣: ١٢).
- الشراء (١ كورنثوس ٦: ١٩ – ٢٠).
- الخلاص من لعنة الناموس (غلاطية ٣: ١٣).
- وعد الميراث (عبرانيين ٩: ١٥ – ١٨).
- الحرية من العبودية الموروثة (١ بطرس ١: ١٨ – ١٩).
- النصرة على الشيطان (كولوسي ٢: ١٥) و(عبرانيين ٢: ١٤) و(يوحنا ١٢: ٣١ – ٣٣).

إن عبارة "دم المسيح" تلخص كلَّ هذه الوعود وتشير إليها ضمنيًّا. إن دم المسيح هو الضمان المرئي لكل هذه الإنجازات التي تحققت، وهذا يعني أننا يجب أن نؤمن بإله الذبيحة الدموية وعهود الدم، كما يعني أنه علينا أن

ننظر إلى "الدم" على أنه ليس فقط مركز الكتاب المقدس بل أساس طبيعة عهد الله أيضًا.

نرى ذلك في (رومية ٣: ٢٤ – ٢٦ و٥: ٨). ويمكننا أن نقول إن "الدم" هو الضمان الأَسْمَى لطبيعة الله كلِّي النعمة وللإيمان بالله الذي أعلن من خلال دمه رحمتَه غير المتناهية.

علامة المحبة.

دائمًا ما يُعرِّف العهدُ الجديد محبةَ الله من منطلق ذبيحة الله على الصليب كما نرى في (رومية ٥: ٨) و(١ يوحنا ٣: ١٥ – ٢٠ و٤: ٧ – ٢١) على سبيل المثال.

على الصليب أعطى اللهُ كلَّ شيء بسبب محبته لهؤلاء الذين لا يستحقون أي شيء سوى دينونته العادلة. الآبُ بذل الابنَ من أجل هؤلاء الذين يفضِّلون عبادةَ آلهة أخرى، والابنُ بذل نفسَه من أجل هؤلاء الذين يتجاهلونه بإصرارٍ، وكلاهما ضحَّيَا بعلاقتهما معًا بسبب محبتهما لنا التي تفوق العقلَ.

منذ دم ذبيحة الجلجثة، لا يستطيع أي شخص أن ينظر إلى الصليب ويشكِّك في محبة الله؛ لأنه ما من شيء يعلن محبة الله بوضوح أكثر من "الدم". الدم يثبت في كل الأبدية أن الله يحبنا وأنه قد قبلنا كشعب عهده،

وهذا يعنى أنه بإمكاننا أن نقول إن دم المسيح هو ضمان:

- من هو الله.
- ما فعله الله لأجلنا في الخلاص.
- كل بركات عهده.

علامة الضمان

رأينا في كتاب "الإيمان الحي" أننا قد أُعطِينا ضمانًا مزدوجًا لإيماننا؛

كلمة **الله** ودم العهد الجديد، كما قلنا في هذا الكتاب إن كل وعود العهد موثَّقة في دم العهد الجديد.

وهذا يعني أن وعود **الله** لنا محفوظة الآن في عهدٍ تم في دم المسيح وبه. نقرأ عن ذلك في (عبرانيين ٩: ٢٠) و(رومية ٨: ٣٢). (يساعدنا سياق هذين النصَّين على أن نفهم أن الدم يعالج نتائجَ فشلنا ويضعنا في موقع المنتصرين على العدو. نتناول هذه الحقيقة في الجزء السابع).

يوضح (عبرانيين ٩: ٢٧ – ٢٨) أن دم المسيح يعالج كلَّ شيء – خطايانا وذنوبنا وشكوكنا وضعفاتنا وسقطاتنا. يرتبط مجيء المسيح الأول ارتباطًا مباشرًا بقضية الخطية، كما نقرأ في (رومية ٨: ٣) و(٢ كورنثوس ٥: ٢١). أما مجيء المسيح الثاني فلا علاقة له بالخطية؛ لأن الخلاص بالدم قد تم "أُكمل" كما قال المسيح على الصليب. هذا هو إيماننا في المسيح.

ربما يكون ما ورد في (رومية ٨: ٣٤ – ٣٩) هو ذروة العهد الجديد؛ يوضِّح هذا المقطع أن دم المسيح وموته يضمنان لنا النصرةَ على الموت وعلى الشياطين، على الحاضر والمستقبل، وعلى كل القوى السماوية، وهذا يعني أن دم عهد المسيح يضمن لنا علاقتنا بـ**الله** في إطار هذا العهد: لا شيء يمكن أن يفصلنا عن محبة **الله** التي نعرفها في شخص يسوع. هذه هي علاقة العهد الجديد السامية التي لنا بالنعمة.

دم عهد المسيح هو أعظم ضمان لإيماننا؛ إنه ضمان لمن هو يهوه، وضمان لحقيقة أنه أصبح على الصليب ما نحن في حاجةٍ إليه كي يرضي شخصه الذي يتَّصف بالاتِّساق الذاتي، ويصالحنا معه إلى الأبد.

بمجرد أن ندرك أن خطايانا قد تم تطهيرها بالدم وذنوبنا أزالها الدم، نصبح آمنين إلى الأبد؛ لأن عهده لا يمكن أن يُكسر. الشرط الوحيد هو أن نؤمن – أن نضع ثقتنا في الدم.

الجزء الخامس

الخلاص والكفَّارة

رأينا أن العهدين القديم والجديد يتَّحدان في تسجيلهما المُشتَرك لمبادرة **الله** القائمة على النعمة لخلاص شعبٍ خاص به وفقًا لعهود غير قابلةٍ للكسر. ومن سفر التكوين إلى سفر الرؤيا نجد الأفكار الثلاث الكتابية الرئيسية التي هي "**شعب الله**" و"**خلاص الله**" و"**نصرة الله**" منسوجةً ومتداخلةً معًا.

الخلاص في كلا العهدين:

- بدأه **الله** وتمَّمه بالنعمة وحدها.
- بالإيمان.
- يعمل بموضوعيةٍ في التاريخ وفي الحياة البشرية.
- مكلِّف **لله**.
- يتضمَّن إنقاذًا من الأعداء.
- يعطي الكمالَ للجسد والروح.
- يعطي النصرةَ الروحيةَ.
- يعلن محبةَ **الله**.
- يصون الإيمانَ البشري.

لكن كلا العهدين ليسا نفس الشيء؛ لأن العهد القديم يتطلع دائمًا إلى المستقبل ويمهِّد الطريقَ إلى الجديد. يتطلع العهد القديم إلى مستقبلٍ يُعيد فيه **اللهُ** صُنعَ أعمال قضائه ونعمته الماضية العظيمة.

على سبيل المثال، يتطلَّع العهدُ القديم إلى داود وموسى وإيليا وملكي صادق أكثر عظمة ومجدًا، كما يتطلع إلى خروجٍ خلاصه أعظم وفصح أكثر

روعة وهيكل أفضل وخليقة جديدة وعهد نهائي وهكذا. أما العهد الجديد فيعلن أن كل ما تطلَّع إليه العهدُ القديم قد تحقَّق في شخص المسيح.

خلاص العهد الجديد

تتفق معظم تعاليم العهد الجديد عن الخلاص مع فهم العهد القديم له، وكل ما بينهما من اختلاف إنما يظهر حين تكون الأفكار أكثر عمقًا وروحانيةً وذاتيةً في موت المسيح الكفاري. في الحقيقة يمكننا أن نقول إن العهد الجديد يوسِّع من تجربة العهد القديم للخلاص دون أن يناقضها.

يتمثَّل واحدٌ من الاختلافات بين العهدين القديم والجديد في تعليم العهد الجديد بأن العدو الذي نخلُص منه هو عدو روحي وليس ماديًّا. إننا لا نخلص الآن من أمم وثنية بل من العصر القديم (الخطية والشريعة والمرض والغضب والموت) والحالة القديمة (التوافق مع عالمٍ بلا إله) والمخاوف القديمة (اليأس والحزن والخوف) والعادات القديمة (التوافق مع أمور دنيويةٍ خاطئةٍ) والعدو القديم (إبليس نفسه).

لكن أهم فرق بين العهدين القديم والجديد هو أن العهد الجديد يجمع كلَّ عناصر الخلاص في حدثٍ واحدٍ غيَّر العالمَ هو موت يسوع المسيح البدلي على صليب الجلجثة.

على الرغم من أن الصليب هو – من عدة أوجه – النتيجة الطبيعية لكل معاملات **الله** بالنعمة والقضاء منذ جنة عدن وإتمام لها، إلا أنه من المستحيل أن نبالغ بشأن عظمة التغيُّرات التي أحدثها نيابةً عن **الله** ونيابةً عنا، وخاصةً فيما يتعلق بعلاقتنا مع **الله**. في الواقع يمكننا أن نقول إن فجر عصر جديد تمامًا قد بزغ عندما مات المسيحُ وعندما قام من بين الأموات.

يصف (٢ كورنثوس ٦: ٢) هذا العصرَ الجديد بأنه "يوم خلاص". بركات العهد الرائعة لهذا الخلاص العظيم متعددة جدًّا لدرجة أنه لا يمكن وصفها بدقة.

نرى في كتاب "المجد في الكنيسة" أن العهد الجديد يستخدم عددًا كبيرًا من الصور المجازية ليصف سرَّ الكنيسة، وهذه الصور "متوازية" لكنها "مكمِّلة" لبعضها البعض. من الصعب أن نرى كيف يمكن أن تكون الكنيسة جسد المسيح وعروس المسيح في ذات الوقت، إلا أننا نعرف أن هذه الصور تجتمع معًا في حقيقة أن **الله** يدعو ويجمع شعبًا لنفسه.

ينطبق نفس الأمر إلى حدٍّ كبير على الخلاص؛ حيث يستخدم العهد الجديد كذلك العديد من الأفكار والصور المجازية المختلفة بشأنه كي يساعدنا على فهم ملء الصليب وعظمة إنجازاته، ومن المهم جدًّا ألا نفصل هذه الأفكار والصور المجازية عن بعضها البعض بل ننظر إليها معًا.

الحقيقة الواحدة التي تربط كلَّ هذه الأفكار والصور معًا هي أن **الله** في نعمته أرسل ابنَه كي يكون بديلاً عنا يحمل خطايانا ويموت موتنا بهدف أن يرضي **الله** وما يتَّصف به من اتِّساق ذاتي حتى يخلِّصنا من الخطية والموت ويصالحنا مع شخصه إلى الأبد.

إرسالية يسوع المتفرِّدة

نتناول في كتاب "معرفة الابن" إرساليةَ يسوع المتفرِّدة، ونتعلم لماذا أرسل الآبُ يسوعَ إلى العالم.

نرى في ذلك الكتاب أن يسوع قد أُرسِل كي يكسر قوةَ الشر والموت؛ حيث إن السلطان على كل الأرض كان قد أصبح لإبليس وكان كل العالم واقعًا تحت سيطرته، لذلك جاء الابنُ إلى العالم لكي يؤسِّس ملكوتَ السماوات ويجرِّد قوى الظلام الشريرة وينتصر عليها بصورةٍ حاسمةٍ.

لكن يمكننا أيضًا أن نقول إن الآب أرسل الابنَ في مهمةٍ، وهي أن يطلب ويخلِّص الهالكين. لقد جاء يسوع لكي ينقذ المحتاجين الذين بلا قوةٍ لإنقاذ أنفسهم. لقد جاء الابن – متحملاً تضحيةً شخصيةً عظيمةً – كي يكفِّر عن

الخطية ولكي يكون بديلاً عن كل شخص في البشرية، ولكي يتحمَّل قصاصَ **الله** العادل ضد الخطية ويصالح البشرَ مع بعضهم البعض ومع **الله**.

كذلك أرسل الآبُ الابنَ ليعلن حياةً بشريةً كاملة التكريس والقداسة. لقد جاء كي يكون نموذجًا أو مثالاً لكل شخص في كل العصور ومن كل الأجناس. لقد جاء يسوع كي يوضِّح للبشر من خلال موته اليومي عن الذات وشهوات الجسد كيف عليهم أن يحيوا ويموتوا.

أُرسل يسوعُ لكي يوضِّح للعالم من هو **الله** ويعلن عن طبيعة **الله** المجيدة. لقد جاء لكي يكون كلمة **الله** الحية والإعلان الفريد الكامل عن **الله** غير المرئي ولكي يوجِد الطبيعة الإلهية في البشرية.

كل هذه الجوانب لإرسالية يسوع تمت في الجلجثة. كان الصليب حدثًا بسيطًا أتمَّ هدفًا واحدًا هو خلاصنا، لكنه كان أيضًا حدثًا مُعقَّدًا عندما أتت الأبدية في الزمان، وعندما اجتمعت حاجة البشرية وإرسالية المسيح وكل الجوانب المتوازية والمتداخلة في طبيعة **الله** معًا.

عادة ما نحاول أثناء كرازتنا بالبشارة أن نشرح لماذا مات يسوعُ وماذا حدث على الصليب، لكن من السهل أن نقع هنا في خطأ التركيز على جانبٍ واحدٍ فقط من جوانب موته أو أمر واحد فقط من الأمور التي حقَّقها هذا الموت، وهكذا نعطي صورةً غير متوازنة عن الخلاص. علينا أن نعمل بجد في فهم وإعلان الصورة الكاملة للخلاص بكل مجدها.

عندما نلقي نظرةً عامة على العهد الجديد، نرى أن يسوع مات من أجل عدة أسباب متوازية أتمت المقاصد المتكاملة لتجسُّده وإرساليته المسياوية. يجب أن يتضمَّن فهمُنا للخلاص كلَّ هذه الأمور معًا في ذات الوقت.

النصر

مات يسوع كي ينقذ البشريةَ من قبضة الموت وقبضة إبليس. قضى يسوعُ– من خلال موته – على ذلك الذي له سلطان الموت وحرَّر أسرى

الخوف من الموت. عاد يسوعُ إلى الأرض منتصرًا في قيامته وصعد إلى السماء ومعه "مفاتيح الهاوية والموت". نرى ذلك في (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٥) و(رؤيا ١: ١٨).

مات يسوع وقام "كالمنتصر" الذي قضى على سلاح إبليس الأخير، مؤسِّسًا ملكوت **الله** ومحرِّرًا البشرَ ومتمِّمًا لكل جانبٍ من جوانب ذبيحة الإثم في العهد القديم. هذا هو الخلاص من إبليس والذي يمكِّننا من أن نحيا في انتصار وحرية المسيح.

التكفير

مات يسوعُ أيضًا كي يكفِّر عن خطايا البشرية. على الصليب، أرضى يسوعُ غضبَ الآب وخلَّصنا من الخطية، وذلك عندما قبل أن يحملَ اللومَ ويتحمَّل ألمَ الانفصال عن **الله** حاملاً آثام الكثيرين عليه، وهكذا حقَّق المصالحةَ الأبدية.

دفع يسوعُ بموته كلفةَ غفران **الله**، وتمَّم كلَّ جانبٍ من جوانب ذبيحة الخطية في العهد القديم، وتمَّم كذلك كلَّ النبوات التي تشير إلى الموت البدلي لعبد الرب باعتباره الأمر الوحيد المقبول الذي يرضي به **الله** ذاتَه ويطهِّر ويبرِّر به الخطاة. هذا هو الخلاص من الخطية ومن غضب **الله** الذي يمكِّننا من امتلاك بر المسيح والوقوف أمام **الله**.

الإعلان

أعلن يسوعُ – في ومن خلال موته الكفاري – المجدَ الكاملَ لطبيعة **الله** المقدسة؛ صلاحه ورحمته ونعمته وحقه وأناته وغفرانه وبره وسلامه وضبطه للنفس ولطفه و إنكاره لذاته وأمانته وإيمانه وعدله ومحبته.

أعلن اللهُ على الصليب عدالته الكاملة وذلك بإدانته لكل الخطايا وتحمُّله لعقابه العادل للشر، كما أظهر محبةً باذلةً لا قياس لها، محبةً لا تنضب وتسمو فوق معرفة البشر.

في ذات الوقت، أعلن يسوعُ السلوكَ البشري المثالي عندما قام بتعزية اللص وتشجيعه، وعندما طلب من الله أن يغفر للذين قاموا بتعذيبه، مستودعًا نفسه في يدي الله، وهكذا أعطى مثالاً لكمال الطاعة الخاضعة. بهذه الطريقة، أتم يسوعُ كلَّ تفاصيل ذبيحة المحرقة في العهد القديم. هذا هو الخلاص من الانفصال والانعزال والذي يمكِّننا من أن نحيا في علاقةٍ مع الله.

الحياة الجديدة

مات يسوعُ كذلك متحمِّلاً ألمًا شديدًا من أجل ميلاد الخليقة الجديدة. وبعد ست ساعات قاسية من المخاض الروحي، كان مثل الإيَّل في (مزمور ٤٢: ١ – ٢) يعاني عطشًا روحيًّا شديدًا. مات يسوعُ وهو "يلد" [الخليقة الجديدة] لذلك استطاع أن يصرخ قائلاً: "انتهى الأمر. قد أكمل. ها أنا قد أتممته" لأنه مثل العبد في (إشعياء ٥٣: ١٠) رأى نسله.

ذهب يسوعُ إلى الصليب لكي يعاني آلامَ مخاض ولادة الخليقة الجديدة التي ستعكس الطبيعةَ الإلهية وتتمِّم كلَّ جانبٍ من جوانب ذبيحة السلامة في العهد القديم. هذا هو الخلاص من الموت الأبدي والذي يمكِّننا من أن نحيا إلى الأبد بحياة الله الجديدة.

خلاص كامل

من المؤسف أن الكنيسة ككل نادرًا ما اعتنقت وأعلنت كلَّ جوانب الخلاص التي هي جميعها كتابية وجميعها بالنعمة.

على سبيل المثال، تركز طوائف عديدة على انتصار يسوع على الصليب وتؤكِّد على سلطانه على إبليس، بينما تركِّز طوائف أخرى على كفَّارة يسوع وغفرانه للخطية، ومجموعة ثالثة تركِّز على إعلانه للبشرية المثالية، بينما يركِّز القليلون على إعلانه لمجد الله.

نحتاج بالطبع إلى تقدير نقاط التركيز المتمايزة التي تؤكد عليها الطوائف المسيحية الأخرى وأن نساندها في عبادتها وإعلانها، لكن من الأفضل بالتأكيد أن تقدِّر كلُّ طائفةٍ ملءَ وكمالَ الخلاص حتى تفهم وتختبر وتعلن كمالَ مجد الصليب الذي غيَّر العالم.

نتناول فيما يلي من أجزاء في هذا الكتاب كلَّ جانب من جوانب الخلاص تباعًا، لكننا سنتناول الخلاص من حيث كونه تكفيرًا فيما تبقى من هذا الجزء. في الجزء السادس، سنناقش الخلاص كإعلان، وفي الجزء السابع، سنناقشه كانتصار، وفي الجزء الثامن، سنناقشه كحياةٍ جديدةٍ.

التكفير (Atonement)

الكثير من المصطلحات التقنية اللاهوتية مُشتَقَّة من جذور لاتينية ويونانية، لكن كلمتي "Atonement" (تكفير) و"Gospel" (بشارة) في الإنجليزية هما الكلمتان الوحيدتان المهمتان المُشتقَّتان من الإنجليزية القديمة "الأنجلو ساكسونية". نرى في كتاب "الوصول للتائهين" أن كلمة "gospel" تعني في الأصل "good speak" أي "حديث جيد"، لكنها أصبحت بعد ذلك تُستَخدَم استخدامات مختلفة. ينطبق نفس الأمر على كلمة "atonement". كثيرون من القادة يستخدمون هذه الكلمة كمرادفٍ للمغفرة، لكن هذا ليس صحيحًا؛ فكلمة "atonement" مُشتَقَّة من الكلمة الإنجليزية القديمة "one" (واحد) التي طالت بعد ذلك وأصبحت "onement" والتي تعني ما نسميه اليوم "unity" (وحدة)، وهذا

يعني أن كلمة "unification" (وحدانية) هي أقرب كلمة حديثة للمعنى الأصلي لكلمة "atonement".

يقول البعضُ إن كلمة "atonement" يجب أن تُنطَق هكذا "at–one– ment" حتى يكون معناها الصحيح واضحًا. ربما يكون هذا مفيدًا لكن البادئة "at" ليست حقًّا حرف جر، بل جاءت فقط من خلال خلط الكلمة الإنجليزية القديمة "onement" مع الكلمة اللاتينية "adunamentum" التي تعني "towards oneness" أي "نحو الوحدانية".

باختصار، فإن كلمة "atonement" تعني "يجعله واحدًا" وهي تشير إلى العملية الكاملة التي من خلالها يصبح هؤلاء الغرباء عن بعضهم البعض في حالةٍ من الوحدة أو الاتِّحاد. تتضمَّن عملية التكفير فيما يتعلق بكل موضوع الخلاص والغفران والاسترضاء والفداء والتبرير والشفاعة والتبني والمصالحة.

توضِّح هذه المصطلحات التقنية جوانبَ عملية التكفير، لكنها ليست مرادفات لبعضها البعض، وهي ليست عمليات منفصلة عن بعضها البعض.

رأينا أن بعض مترجمي الكتاب المقدس يصيغون الكلمة العبرية "كافار" بمعنى "يكفِّر" في حين أن "يغطِّي" هي الأكثر دقة. لكن يوم الكفارة يكشف عن معنى التكفير بوضوح شديد لأنه يشير إلى كل عملية الخلاص – اعتراف كامل بالخطية، ذبيحة بدلية عن الموت والخطية، وإبعاد للخطية (قوتها وذكراها)، وخدمة وسيط بين **الله** وشعبه ومصالحة بينهما يدل عليها دخول رئيس الكهنة الآمن إلى قدس الأقداس، نرى هذه العملية الكاملة في (لاويين ١٦: ١١ – ١٥).

يسوع المكفِّر

يعلن (عبرانيين ٩: ١ – ١٠: ٣٩) أن طقس يوم الكفارة إنما يشير بوضوح إلى عمل المسيح الكفَّاري، على سبيل المثال:

- يسوع هو رئيس كهنتنا العظيم، وقد أنهى دمُ ذبيحته دمَ التيوس والعجول، لكن على عكس رئيس الكهنة في العهد القديم، لم يكن يسوع الذي بلا خطية في حاجةٍ إلى تقديم أي ذبيحة عن أي خطية ارتكبها.
- كما كان رئيس الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس بدم الذبيحة التي يقدمها، هكذا دخل يسوعُ إلى السماء بدم ذبيحة نفسه كي يظهر أمام الآب نيابةً عن شعبه.
- كان على رئيس الكهنة أن يقدِّم ذبائحَ الخطية كلَّ عام، وكان هذا التكرار السنوي يذكِّر الشعبَ بأن التكفير الكامل لم يحدث بعد، لكن يسوع صالحنا بدمه مع الآب إلى الأبد.
- كان باستطاعة ذبائح الخطية أن تطهِّر الخاطئ طقسيًّا وخارجيًّا لكن ليس داخليًّا، أما يسوع فاستطاع عن طريق ذبيحة نفسه الفُضلَى أن يطهر ضمائرنا من هذه الأعمال الميِّتة.
- كانت خيمة الاجتماع مُصمَّمةً بحيث تعلِّم شعبَ إسرائيل أن الخطية تعوق التواجد في محضر **الله**. رئيس الكهنة وحده كان باستطاعته– مرة كل عام ومن خلال التشبُّث بدم الذبيحة – أن يدخل إلى قدس الأقداس، أما يسوع فقد دخل إلى السماء من خلال "طريق جديد حي". ليس علينا الآن أن نقف بعيدًا عن **الله**؛ فإننا بواسطة المسيح نستطيع أن نتقابل معه وجهًا لوجه.
- في يوم الكفَّارة، كان جسد الخطية يُحرَق خارج محلة إسرائيل. يسوع أيضًا تحمَّل الألمَ خارج أبواب أورشليم كي يُنهِي خطايا شعبه ويوحِّدهم مع **الله**.

كلمات مُصوَّرة

يستخدم العهدُ الجديد بعضَ الكلمات الخاصة ليصف أربعةَ جوانب لعملية التكفير. يعتقد معظم المؤمنين أن هذه كلمات تقنية تشير إلى عقائد منفصلة، لكن هذه الكلمات هي في الواقع تعبيرات مجازية مُلهِمة استخدمها الكُتَّابُ كي يشرحوا أجزاءَ عملية التكفير، وهي كلمات مأخوذة من سياق الحياة اليومية لعالم العهد الجديد.

علينا أن نستوعب هذه الحقيقة جيدًا؛ لأننا مُعرَّضون للتشويش أو الخطأ إن حمَّلنا أيًّا من هذه التعبيرات المجازية أكثر ممَّا يحتمل، أو إن اعتقدنا أن أيًّا منها قياسًا مباشرًا.

١- الاسترضاء

تستخدم كلٌّ من (رومية ٣: ٢٥) و(١ يوحنا ٢: ٢ و٤: ١٠) الكلمةَ اليونانيةَ "hilasterion / hilasmos" كصورةٍ مجازية تعبِّر عن عمل المسيح. عادةً تُترجَم هذه الكلمة المُصوَّرة إلى "استرضاء" وهي مأخوذة من الحياة الدينية اليونانية، وتصف العمليةَ التي كان اليونانيون يسترضون بها آلهتهم الوثنية حتى يحصلون على رضاهم.

كلمة استرضاء هنا – كما هو واضح – ليست قياسًا مباشرًا؛ حيث إن أيًّا من العهدين لا يتحدَّث عن **الله** باعتباره إله غاضب يجب شراء عطفه، إله يمكن أن يُرشَى حتى يغيِّر رأيه، لكن صورة الاسترضاء هنا تشير إلى غضب **الله** العادل ضد الخطية وإلى إيجاد **الله** لبديل قبل طوعًا أن "يستنزف" أو "يرضي" غضبَ **الله**.

كان على اليونانيين أن يرضوا آلهتهم الغاضبة بتقديم عطايا لم يفعل الآلهة شيئًا لمنحهم إياها، لكن **الله** الحي شاء في نعمته أن يبادر ويعطي ويتمِّم كلَّ شيء لنا، وذلك تماشيًا مع اتِّصافه بالاتِّساق الذاتي ولكي يكون مُحبًّا وعادلاً في ذات الوقت.

يؤكد (لاويين ١٧: ١١) و(رومية ٣: ٢٥) و(١ يوحنا ٤: ١٠) على نعمة **الله** فيما يتعلق بجانب الاسترضاء في الكفارة، ونتيجة لذلك، يمكننا القول بأن **الله** في غضبه المقدس كان يجب أن يُسترضَى، وإن **الله** في محبته المقدسة بادر بالاسترضاء اللازم، وإن **الله** في المسيح مات ككفَّارة الاسترضاء عن خطايانا.

من المهم أن نلاحظ أن هناك جدالاً بشأن ما إذا كان يجب ترجمة "hilasterion / hilasmos" إلى "استرضاء" أم إلى "تعويض عن الخطأ" وبالتالي، إن كان يجب اعتبار موت المسيح الكفاري أيًّا منهما. إن التعويض يشير إلى ما فعله دمُ المسيح لأجلنا؛ حيث محا خطايانا وعوَّض عن أعمالنا الخاطئة، أما الاسترضاء فيشير إلى ما فعله دمُ المسيح لأجل **الله**، حيث أرضى عدالةَ **الله** ونحَّى غضبَه المقدس جانبًا. من الواضح الآن أن كلا الجانبين ضروري؛ فلقد نتج عن موت المسيح تعويضٌ عن الخطأ – بمعنى أنه دفع ثمن خطايانا – واسترضاءٌ – بمعنى تفادي غضب **الله** تجاهنا.

٢- الفداء

الكلمة اليونانية المصوَّرة "apolutrosis" مأخوذة من حياة التجارة اليونانية؛ حيث تصف عمليةَ شراء بضائع أو ممتلكات بسعرٍ ثابت، كما كانت شائعة الاستخدام لوصف عملية شراء و/أو تحرير العبيد و"الفدية" التي تُدفَع لإطلاق سراح أسرى الحرب.

تُستَخدَم فكرة الفداء على نطاقٍ واسعٍ في العهد القديم لتصفَ شراءَ الممتلكات والحيوانات والأشخاص والأمَّة اليهودية، نرى ذلك على سبيل المثال في (خروج ١٣: ١٣ و٣٠: ١٢ – ١٦ و٣٤: ٢٠) و(لاويين ٢٥: ٢٥ – ٢٨ و٢٧) و(عدد ٣: ٤٠ – ٥١ و١٨: ١٤ – ١٧) و(راعوث ٣ – ٤) و(٢ صموئيل ٧: ٢٣) و(إشعياء ٤٣: ١ – ٤) و(إرميا ٣٢: ٦ – ٨).

كان دفع ثمنٍ ما في العهد القديم هو دائمًا أساس الفداء بواسطة الإنسان، لكن عندما يُوصَف **الله** بأنه الفادي، فإن الثمن يشير دائمًا إلى عملٍ مكلِّف يقوم به، نرى ذلك على سبيل المثال في (خروج ٦: ٦) و(تثنية ٩: ٢٦) و(نحميا ١: ١٠) و(مزمور ٧٧: ١٥).

"الفداء" في العهد الجديد هو صورة مجازية تشير إلى المحنة التي افتُدِينا منها وإلى الثمن الذي افتُدِينا به، وإلى حقوق ملكية المُفتدِي.

تصف بعض الأجزاء الكتابية مثل (غلاطية ٣: ١٣ و٤: ٥) و(أفسس ١: ٧) و(كولوسي ١: ١٣ – ١٤) و(تيطس ٢: ١٤) و(عبرانيين ٩: ١٥) و(١ بطرس ١: ١٨) المحنةَ التي افتُدِيت البشريةُ منها. أسلم المسيحُ نفسَه كي يفتدينا من كل النتائج التي ترتبت على السقوط، واستطعنا نحن أن نختبر فداءَه منذ الجلجثة، لكننا لازلنا ننتظر "يوم الفداء" النهائي حين نصبح كاملين، وحين تتحرَّر كلُّ الخليقة من عبوديتها للفساد. إلى ذلك الحين، الروح القدس هو عربون فدائنا النهائي وأول ثماره، نرى ذلك في (لوقا ٢١: ٢٨) و(أفسس ١: ١٤ و٤: ٣٠) و(رومية ٨: ١٨ – ٢٣).

يوضح العهدُ الجديد أن المسيح نفسه – وبصفةٍ خاصة دمه – هو الثمن الذي دُفِع (لكن الكتاب المقدس لا يذهب بهذه الصورة المجازية إلى أبعد من ذلك ويتساءل عن الشخص الذي دُفِع له هذا الثمن)، نرى ذلك في (مرقس ١٠: ٤٥) و(رومية ٣: ٢٤ – ٢٥) و(غلاطية ٣: ١٣ و٤: ٤ – ٥) و(أفسس ١: ٧) و(١ تيموثاوس ٢: ٥ – ٦) و(تيطس ٢: ١٤) و(١ بطرس ١: ١٨ – ١٩).

كما يستخدم الكتابُ المقدس صورةَ الفداء لكي يؤكِّد على أن المُفتدِي له حقوق ملكية على ما اشتراه.

إن ربوبية يسوع على كلٍّ من الكنيسة والأفراد المؤمنين هي حق له؛ حيث اشترانا بدمه، نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال ٢٠: ٢٨) و(١ كورنثوس ٦: ١٨ – ٢٠ و٧: ٢٣) و(٢ بطرس ٢: ١) و(رؤيا ١: ٥ – ٦ و٥: ٩ و١٤: ٣ – ٤).

٣- التبرير

الصورة الثالثة هي صورة مأخوذة من المحاكم اليونانية الشرعية؛ حيث كان "dikaiosune" أي التبرير هو عكس الإدانة. كان القضاة من اليونان والرومان يحكمون على المتَّهَم إما بأنه "مذنب" أو "غير مذنب"، وبالتالي إما أن "يدان" أو "يُبرَّر". يستخدم بولسُ هذه الكلمةَ كصورةٍ مجازيةٍ في (رومية ٥: ١٨ و٨: ٣٤).

يوضح مصطلحُ "التبرير" عملَ **الله** في إعلان الخطاة بلا لوم على أساس بدلية ابنه الذي احتمل دينونتهم ونسب برَّه إليهم حتى يتمكَّنوا من الوقوف أمام **الله** بِبِرِّ المسيح.

"التبرير" هو باختصار صورة من القرن الأول توضِّح إعلانَ **الله** الرسمي للبر على أساس عفوه القانوني الموضوعي. "التبرير" هو كلمة مُصوَّرة تعبِّر عن التغيير في الوضع القانوني، لكنها لا تلقي الضوء على أو تشير إلى أي تغيُّرٍ في الطبيعة. **الله** بالطبع يغيِّر الطبيعةَ البشريةَ من خلال الولادة الثانية والتقديس، لكن التبرير كصورةٍ مجازيةٍ لا يشير إلى هذه الجوانب من عملية الخلاص.

يطوِّر بولسُ هذه الصورةَ ويوضِّح أننا تبرَّرنا:

- بنعمة **الله** وحدها – التبرير هو بكامله مبادرة وعمل **الله** (رومية ٣: ١٠، ٢٠، ٢٤ و٨: ٣٣).
- بدم المسيح وحده – التبرير هو عمل عدالة (رومية ٥: ٩). عندما يبرر **الله** الخطاة، فهو لا يعلن أناسًا أشرارًا على أنهم صالحون أو يقول إنهم ليسوا خطاة؛ لأنه هو في المسيح حمل قصاصَ كسرِهم للناموس.
- بالإيمان وحده – علينا أن نقبل ما تقدِّمه نعمةُ **الله** ونعتمد بالكامل على ما فعله **اللهُ** لأجلنا في المسيح (رومية ٣: ٢٨ و٥: ١) و(غلاطية ٢: ١٦) و(فيلبي ٣: ٩). تلخص صيغةُ ثورة الإصلاح القديمة التعليمَ

الكتابي عن التبرير في عبارة "بالإيمان وحده، عن طريق شخص المسيح وحده وبالإيمان وحده".

- معًا في المسيح – التبرير هو أيضًا عمل جماعي لا يعرف أيَّ حواجز عرقية أو قومية أو جنسية (غلاطية ٢: ١٧ و٣: ٢٦ – ٢٩) و(رومية ٨: ١) و(٢ كورنثوس ٥: ٢١) و(أفسس ١: ٦).

٤- المصالحة

الصورة الرابعة هي المصالحة "katallasso" وهي مأخوذة من لغة الحياة اليونانية اليومية؛ حيث تُستَخدَم لوصف معالجة حالة الاغتراب والبعد بين طرفين، وهي تشير إلى عودة أصدقاء أو أقارب إلى بعضهم البعض بعد مجادلةٍ أو مشاجرةٍ.

تشير هذه الصورة إلى القصد العظيم للتكفير وإلى الغرض الإلهي من وراء كل عملية الخلاص. لقد حصلنا على المغفرة والله أُرضي، وافتُدينا وتبرَّرنا وتحرَّرنا من إبليس، وأعلن **اللهُ** ذاتَه حتى يصالحنا معه لنعيش معه في علاقةٍ أبديةٍ من الشراكة الكاملة التي أرادها لنا في عدن.

لكن من المهم أن ندرك أن هذه الصورة تُستخدَم دائمًا للتعبير عن تصالحنا مع **الله** وليس تصالَح **الله** معنا. **الله** يجب أن يُستَرضَى لا أن يُصالَح، ونحن نحتاج إلى أن نُصالح لا أن نُستَرضَي.

هذه العلاقة مهمة جدًّا وأساسية جدًّا لدرجة أن صورةً مجازيةً واحدةً لا تكفي للتعبير عنها. يستخدم العهدُ الجديد أيضًا صورةَ "التبنِّي" في عائلة **الله** و"السلام" مع **الله** و"الدخول" إلى محضر **الله** في محاولةٍ لوصف تلك العلاقة الفائقة الوصف المؤسَّسة على الصليب، نرى هذه الصور المجازية في (يوحنا ١: ١٢ – ١٣) و(١ يوحنا ٣: ١ – ١٠) و(رومية ٥: ١ – ٢ و٨:

١٤ – ١٧) و(غلاطية ٢: ٢٦ – ٢٩ و٤: ١ – ٧) و(أفسس ٢: ١٧ – ١٨ و٣: ١٢) و(عبرانيين ١٠: ١٩ – ٢٢) و(١ بطرس ٣: ١٨).

المصالحة هي كلمة مصوَّرة عن العلاقة مع **الله** التي هي قصد وثمر الخلاص، لكن لن يكون لنا الدخول السالم إلى محضر **الله** كأولاده المتبنين– أي لن نتمتَّع بالمصالحة – إلا عندما نحصل على المغفرة والفداء والتبرير.

لكن المصالحة الكتابية لا تتعلَّق فقط بالعلاقة المتجدِّدة مع **الله**، فهي تتعلَّق أيضًا بعلاقةٍ جديدةٍ مع الآخرين في ومن خلال المسيح. يركز (أفسس ٢: ١١ – ٢٢) على هذا الجانب من المصالحة. وهي تتعلَّق كذلك بمصالحةٍ كونيةٍ يتحدث عنها (كولوسي ١: ١٥ – ٢٠) وهذا هو الجانب العالمي للخلاص الذي أكَّدنا عليه في كتابي "معرفة الآب" و"الوصول للتائهين".

يعلن (٢ كورنثوس ٥: ١٨ – ٢١) الكثير عن المصالحة، حيث يؤكِّد أن:

- **الله** هو صاحب مبادرة المصالحة العظيم، كلِّي النعمة. هو شاء به وهو نفَّذه.
- المسيح هو أداة المصالحة – تمَّم **الله** كلَّ شيء في ومن خلال الابن.
- نحن سفراء المصالحة – علينا أن نقدِّرها ونعيشها ونكرز بها ونمارسها.

التكفير

هذه الكلمات المصوَّرة الأربع المُستَمدَّة من الحياة في القرن الأول هي توضيحات "عامية" لعناصر متداخلة للتكفير. لا يمكن أن نضع هذه العناصر معًا في نظريةٍ مُحكَمة عن التكفير، لكنها تعطينا مجرد نظرات متعمِّقة في سر وليس عقيدةً كاملةً.

ومع ذلك، تؤكد كلُّ صورةٍ مجازيةٍ على ثلاثة مبادئ رئيسية عن التكفير وعن عملية **الله** لإنهاء غربتنا عنه:

- لدى البشرية احتياج عظيم – يشير الاسترضاءُ إلى غضب **الله** ضد الخطية، ويشير الفداءُ إلى عبوديتنا للخطية، والتبرير إلى ذنبنا أمام **الله**، والمصالحة إلى انفصالنا عن **الله**.
- **الله** كلِّي النعمة – فهو الذي في محبته أخذ زمامَ المبادرة وأرضى غضبه، ودفع ثمن فدائنا من العبودية وتحمَّل العقابَ الذي أقرَّه كي يبرِّرنا ويصالحنا مع نفسه.
- تم التكفير عن طريق دم ذبيحة المسيح البدلية وحدها – نرى ذلك في (رومية ٣: ٢٥ و٥: ٩) و(أفسس ١: ٧ و٢: ٢٣) و(كولوسي ١: ٢٠).

إن موت يسوع على الصليب كالبديل كان ذبيحة تكفير قُدِّمت مرةً واحدةً وإلى الأبد وبسببه رفع **اللهُ** غضبَه عنا، كما كان هذا الموتُ البدلي هو ثمنَ فديتنا وبه افتُدينا. وكان كذلك إدانةً للبرَّيء تبرر من خلالها المذنبُ حتى نكون واحدًا مع **الله** وواحدًا مع بعضنا البعض وواحدًا مع الخليقة إلى الأبد.

هذه هي روعة عظمة جانب واحد فقط من جوانب الخلاص، ولازال لدينا ثلاثة عناصر أخرى مكمِّلة لنناقشها.

الجزء السادس

الخلاص والإعلان

أكَّدنا في كل سلسلة سيف الروح على أن كلمات **الله** وأعماله إنما هي في الأساس إعلانٌ ذاتي عن شخصه، ولأن **الله** يتَّصف بالاتِّساق الذاتي الكامل، فإن كلَّ أعماله وكلماته وأفكاره وتوجُّهاته يجب أن تتَّفق مع بعضها البعض ومع مجموع صفات شخصه القدوس.

وهذا يعني أن خلاص العالم على الصليب – الذي هو أَسْمَى أعمال **الله**– يجب أن يكون أَسْمَى إعلان ذاتي عن شخص **الله** للعالم وذلك من خلال موت ابنه الحبيب.

مجد اللّه

رأينا في كتاب "المجد في الكنيسة" أن كلمة "كابود" العبرية التي تعني "مجدًا" يستخدمها العهدُ القديم من آنٍ لآخر كي يصف الرخاءَ المادي والجمال الجسدي أو السمعة الحسنة لشخصٍ ما، لكن الكلمة بصفةٍ عامة تأتي مقتصرةً على **الله** نفسه.

يستخدم العهد القديم تعبير "مجد **الله**" كتعبيرٍ مرادفٍ لعبارة "اسم **الله**" التي تشير إلى شخص **الله** المُعلَن، وكإعلانٍ مرئي لحضور **الله** وسط شعبه، وهذا يعني أن مجد **الله** يوضِّح للشعب مكانَ **الله** وكيف يبدو. إنه إعلان مرئي متمركز عن قداسته المطلقة.

كان مجد **الله** في العهد القديم يظهر:

- في العالم المخلوق – يقول (مزمور ١٩: ١ و٢٩: ٩) و(إشعياء ٦: ٣) إن السماءَ والأرضَ يمتلئان بمجد **الله**.
- لشعب **الله** المُخلَّص – يصف (عدد ١٤: ٢٢) و(مزمور ٩٧: ٢ – ٦) و(إشعياء ٣٥: ٢ و٤٠: ٥) و(خروج ٣٣: ١٨ – ٣٤: ٧) كيف أعلن **اللهُ** مجدَه من خلال خلاص شعب إسرائيل من مصر وبابل.
- ساعة تقديم الذبيحة – يوضح (خروج ٢٤) و(لاويين ٩: ٦ – ٢٤) و(١ ملوك ٨: ١ – ١١) كيف أن **الله** يعلن عن مجده ردًّا على ذبائح شعبه التي تعبِّر عن شكرهم له.

أما الكلمة اليونانية التي تعني مجدًا فهي "doxa"، وهي عادة تُستَخدم في العهد الجديد لتصف إعلانَ يسوع عن حضور **الله** وطبيعته بالنعمة والأعمال العظيمة. يوضح مجدُ **الله** الذي ينعكس في شخص يسوع أن **الله** حاضرٌ بشخصه كما يعلن المدى الكامل لسلطانه المَلَكي، وكذلك طبيعته المتواضعة والباذلة للذات.

يوضح (عبرانيين ١: ٣) أن يسوع كان هو دائمًا بهاء مجد **الله**، لكن موته لى الصليب كان أَسْمَى لحظة (وهذا جانب من المجيء الثاني) أعلن فيها عن مجد **الله**، نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ٧: ٣٩ و١٢: ٢٣ – ٢٨ و١٣: ٣١ و١٧: ٥) و(عبرانيين ٢: ٩).

يوضح (لوقا ٩: ٣٢) و(يوحنا ٢: ١ – ١١ و١١: ١ – ٤٤) أن مجد **الله** (حضوره المركزي وطبيعته) ظهر في عرس قانا الجليل، وفي مقبرة بيت عنيا وعند التجلِّي، لكن مجده (حضوره المركزي وطبيعته) كان في قمة ظهوره على صليب الجلجثة؛ حيث ظهر هناك إعلان **الله** الكامل عن ذاته. لقد كان الصليب هو أعظم إظهارٍ ممكن لنعمة **الله** ومحبته وقمة توضيح قداسته المُطلَقة وحضوره وقوته وطبيعته الباذلة للذات.

إن الصليب – حتى الآن – هو أوضح إعلان عن حضور **الله** في العالم وأوضح إعلان عن طبيعته المقدسة للعالم. لقد كان الصليب هو جوهر المجد.

تظهر حقيقة "مجد **الله** الذي يُرَى في شخص يسوع المسيح" (أي إعلان حضور **الله** المركزي وطبيعته الخاصة من خلال شخص يسوع) بقوةٍ خاصة في بشارة يوحنا؛ توضح البشارة أن حضور **الله** وطبيعته قد ظهرا في معجزات يسوع التي تسمِّيها "آيات"، وتؤكِّد أيضًا على أن مجد **الله** قد ظهر في ضعف يسوع الإرادي وبذله لنفسه طوعًا من خلال تجسُّده، نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ١: ١٤).

مجد خيمة الاجتماع

يحتوي (يوحنا ١: ١٤) على أهم إشارة إلى العهد القديم. تُترجَم الكلمة اليونانية "eskenosen" في بعض ترجمات الكتاب المقدس إلى "سكن" أو "حل" في حين أن معناها الحرفي هو "نصب خيمته" وفي هذا إشارة واضحة إلى خيمة الاجتماع في العهد القديم.

يوضح (يوحنا ١: ١٤) أنه على الرغم من أن الكلمة صار جسدًا بشريًّا، إلا أنه لم يتوقف عن كونه **الله** القدوس، لكن ما حدث هو أن **الله** "نصب خيمته" في جسدٍ بشري حتى يستطيع أن يعيش بين شعبه لفترةٍ ما. علينا أن نتذكَّر أن هذا لا ينفي أن يسوع أصبح إنسانًا كليةً وبصفةٍ دائمة.

يوضح استخدام كلمة "eskenosen" في (يوحنا ١: ١٤) أن التجسُّد هو إتمام لما يشير إليه (خروج ٢٥: ٨ – ٩) حين أمر **اللهُ** شعبَ إسرائيل أن يبني خيمةً أو قُدْسًا (خيمة الاجتماع) حتى يحل فيها بين شعبه. كانت الخيمة – وبعد ذلك الهيكل – هي المكان المركزي لحضور **الله** على الأرض. يتطلَّع كلٌّ من (حزقيال ٤٣: ٧) و(يوئيل ٣: ١٧) و(زكريا ٢: ١٠) إلى يوم ينصب فيه **اللهُ** خيمتَه مرةً أخرى في صهيون. يقول (يوحنا ١: ١٤) بصورةٍ ضمنيةٍ إن تجسُّد يسوع هو إتمام لهذا الوعد النبوي.

كان مجد **الله** مرتبطًا بخيمة الاجتماع والهيكل، كما نرى في (خروج ٢٤: ٩ – ٢٥: ٩ و٤٠: ٣٤) و(١ ملوك ٨: ١٠ – ١١) و(حزقيال ١١: ٢٣ و٤٤: ٤). إنه تطور طبيعي إذًا أن يتحدث (يوحنا ١: ١٤) عن يسوع باعتباره خيمة الاجتماع الجديدة المملوء بمجد **الله** وحضوره الشخصي وطبيعته بصورةٍ دائمةٍ (وليس بين الحين والآخر).

(من الجميل أن نلاحظ أن مرقس ٩: ٢ – ٨ يسجِّل اقتراحَ التلاميذ بأن عليهم أن يصنعوا خيمةً أو خيمة اجتماع؛ لأنهم رأوا مجد **الله**).

نعلم أن المجد يعلن عن حضور **الله** وطبيعته، لذلك كما يسجل (خروج ٣٤: ٥ – ٨) أن **الله** أظهر حضورَه المرئي وأعلن أنه رحيم ورءوف وكثير الإحسان والوفاء، هكذا يعلق (يوحنا ١: ١٤) بأن مجد **الله** الذي ظهر في يسوع مملوء نعمةً وحقًّا.

كان مجد خيمة الاجتماع في العهد القديم مرتبطًا بتقديم الذبائح؛ حيث كان مجد **الله** غالبًا ما يظهر في وقت تقديم الذبائح، كما نقرأ على سبيل المثال في (خروج ٢٤ و٤٠: ٩ – ٣٥) و(لاويين ٩: ٦ – ٢٤) و(١ ملوك ٨: ١ – ١١). لذلك فإن مجده في العهد الجديد مرتبط بذبيحة الابن الذاتية – "خيمة الاجتماع" المتجسِّد – التي وصلت إلى ذروتها في موته مرةً واحدةً وإلى الأبد كالذبيحة البديل.

تتوقع كل البشائر إعلانًا للمجد من خلال الصليب، لكنها تتطلَّع إلى هذه اللحظة بطرقٍ مختلفةٍ إلى حدٍّ ما. في (لوقا ٢٤: ٢٦) على سبيل المثال، آلام الصليب هي الطريق المؤدي إلى المجد المستقبلي، هذا بينما يوضِّح (يوحنا ١٢: ٢٠ – ٢٨ و١٣: ٣٠ – ٣٢ و١٧: ١) أن الصليب هو المكان الفعلي للمجد ووقته.

من المهم أن ندرك أن (يوحنا ١٢: ٢٠ – ٢٨ و١٣: ٣٠ – ٣٢ و١٧: ١) يصف مجدَ الصليب من زاوية الآب والابن معًا؛ حيث إن حضور وطبيعة **الله**

الآب والله الابن ظهرا بواسطة الصليب. اللاهوت الكامل والناسوت الكامل ظهرا بوضوح في دراما الجلجثة.

لقد ظهر صلاح الله القدوس وأفضل مثال للصلاح البشري على صليب خشبي بسيط أمام العالم كله، ويجب علينا أن ننظر إلى كليهما معًا حيث يعلنان طبيعة الله المقدسة ويذكِّراننا بما يجب أن نكون عليه.

العدل الإلهي والمحبة الإلهية

يعلن (رومية ٣: ٢٥ – ٢٦ و٥: ٨) أن موت المسيح كان إظهارًا علنيًّا لكلٍّ من عدل الله ومحبته. قلنا فيما سبق إن اتِّصاف الله بالاتِّساق الذاتي كان واحدًا من العوامل المحرِّكة للصليب، والآن نرى أن الله على الصليب لم "يُرضِ" عدلَه ومحبته فقط، بل أعلنهما لكل العالم أيضًا.

عدالة اللّه

لم تكن عدالة الله واضحةً بصورةٍ مروِّعة حتى لحظة الصليب. كان هناك الكثير من الخطاة الذين يعيشون حياةً ناجحةً مزدهرةً، والكثيرون ممن يصنعون الشرَّ لم يُعاقَبوا عليه، وغالبًا ما بدا الله غير قادر وغير عادل وغير مكترث للأمور الأخلاقية.

في بعض الأجزاء الكتابية مثل (تكوين ١٨: ٢٥) وفي كل سفر أيوب والأمثال والجامعة، يسجِّل الكتابُ المقدس كيف صارع بعضُ الأشخاص وبعض كُتَّاب الأسفار المقدسة مع هذه المعضلة؛ أراد هؤلاء أن يعرفوا لماذا يزدهر الشرير بينما البار يعاني، لماذا لا يُعاقَب الشرير بينما البار تنتابه الكوارث. لماذا لا يقوم الله دائمًا بحماية شعبه واستجابة صلواتهم ومجازاة برِّهم.

يعالج العهدُ القديمُ هذه القضيةَ بالتطلُّع إلى الدينونة النهائية وبإعلان أنه حتى لو ازدهر الأشرارُ لفترةٍ فسوف يواجهون دينونة **الله** العادلة، نرى ذلك على سبيل المثال في (مزمور ٧٣).

يكرر العهدُ الجديد هذا الوعدَ بدينونةٍ نهائيةٍ في المستقبل في (أعمال ١٧: ٣٠ – ٣١) و(رومية ٢: ٣) و(٢ بطرس ٣: ٣ – ٩) على سبيل المثال، لكنه ينظر أيضًا إلى دينونة الصليب. يشير الصليب إلى حقيقة الدينونية المستقبلية ويؤكد عليها؛ حيث إن الذين لا يقبلون الصليبَ لن يكون لديهم شيء سوى دينونة **الله** المستقبلية.

يعلن (رومية ٣: ٢١ – ٢٦) و(عبرانيين ٩: ١٥ و١٠: ٤) أن دينونة **الله** الحتمية قد حدثت بالفعل، كما يؤكدان على أن عدم توقيع **الله** لهذه الدينونة في العهد القديم كان مجرد تأجيل رحيم وليس إلغاءً ظالمًا لها.

على الصليب، ومن خلال ذبيحته، أعلن **اللهُ** عدلَه الكامل بصورةٍ نهائيةٍ وكاملةٍ وذلك بإدانته لكل الخطايا في المسيح. وهكذا أعطى الصليبَ دليلاً مرئيًّا على عدله المتأصِّل عندما حمل هو نفسه في شخص المسيح العقوبةَ العادلةَ المُستَحَقَّة على كل الشر في العالم.

منذ ذبيحة الصليب، لم يعد من الممكن اتهام **الله** بأنه يتغاضى عن الشر أو بأنه غير عادل؛ وذلك لأن عدله في إدانة الخطية وعقابها مرةً واحدةً وللأبد قد أُعلن بوضوح وبصورةٍ مُقنِعة للخليقة كلها.

محبة اللّه

ينطبق نفسُ الأمر على محبة **الله**؛ حيث لم تكن محبته واضحةً للبشرية إلى أن جاء الصليب. الأمراض والكوارث والخراب وحتى الموت كانت كلها أمورًا تشكِّك في كون **الله** يتَّصف بالمحبة، كما كانت المآسي والعذاب والطغيان والضيقات تبدو غير متَّفقة مع إلهٍ مُحِب، لكن **الله** على الصليب أعلن للبشرية

عن محبته الباذلة التي لا قياس لها، والتي لا تنضب والتي تفوق كلَّ فكر البشر.

دائمًا يعرِّف العهدُ الجديد المحبةَ من منطلق ذبيحة **الله** على الصليب، نرى هذا بصورةٍ خاصة في (رومية ٥: ٨) و(١ يوحنا ٣: ١٦ و٤: ٧ – ٢١).

تختبر كلُّ البشرية شيئًا من المحبة في هذه الحياة، لكن الكتاب المقدس يعلن أن هناك عملًا واحدًا فقط يتميَّز بالمحبة الخالصة المضحِّية غير الموصومة بأي هدفٍ خفي، وهو عمل لم ولن يكون مثله أبدًا، ألا وهو بذل **الله** لنفسه في المسيح على الصليب من أجل خطاة غير مستحقين. هذا هو قمة عمل المحبة.

يقول (رومية ٥: ٨) إن إعلان **الله** عن محبته على الصليب له ثلاثة جوانب متمايزة:

- **اللهُ** بذل ابنَه (يوحنا ٣: ١٦) و(رومية ٨: ٣٢).
- بذل ابنَه ليموت (فيلبي ٢: ٧ – ٨).
- بذل ابنَه ليموت من أجلنا – من أجل أعدائه الخطاة الأشرار الذين لا حول لهم ولا قوة (رومية ٣: ١٨، ٢٣ و٥: ٦، ١٠ و٨: ٧).

على الصليب، مات الابنُ ممدَّدًا من الجنود بين لصَّين، وقد تركه الآبُ وحيدًا. لماذا؟ بسبب محبتهما للصوص والمعذَّبين وكل الذين طالبوا بموت الابن.

على الصليب، أعطى **اللهُ** كلَّ شيء بسبب محبته لهؤلاء الذين لا يستحقون شيئًا. بذل الآبُ الابنَ من أجل هؤلاء الذين يفضِّلون عبادةَ آلهةٍ أخرى، والابنُ بذل نفسَه من أجل هؤلاء الذين يتجاهلونه بإصرار. ضحَّى الآبُ والابنُ بعلاقتهما معًا بسبب محبتهما التي تفوق الخيالَ لكل العالم ولكل فردٍ من أفراد البشرية.

منذ تلك الآلام الرهيبة والانفصال الإلهي في ذبيحة الجلجثة، لا يستطيع أيُّ شخص أن ينظر إلى الصليب ويشكِّك في محبة **الله**؛ لأنه لا يوجد شيء يمكنه أن يعلن محبةَ **الله** بصورةٍ أوضح من ذبيحة نفسه المضحِّية.

كان موت يسوع الكفاري على الصليب بسبب عدل **الله** ومحبته وليس لأي سببٍ آخر. رأينا فيما سبق أن موت المسيح كان له العديد من النتائج التي من بينها الإعلان عن محبة **الله** الكاملة وعدله الكامل، وكذلك إعلان ذلك المثال الإنساني الكامل كي يحتذي به كلُّ البشر.

وعليه يجب على هؤلاء الذين يتبعون مثالَ المسيح أن يتأكدوا من أن كل تضحياتهم إنما هي بدافع عدالة **الله** المُطلَقة ومحبته الباذلة دون منع أي شيءٍ ودون أي محاولاتٍ خادعةٍ للاستغلال أو أي شعور بالانفصال المكتفي بالذات.

عندما يحدث ذلك، يمكننا أن نثق من شيئين: أولاً: ستعكس تضحياتُنا شيئًا من مجد **الله** وشخصه وحضوره للناس حولنا بطريقةٍ لا يستطيعها أيُّ أمر آخر. ثانيًا: سيتشارك **الله** – الذي بذل نفسَه – معنا في الألم والانعزال والحرمان الذي قبلناه طوعًا.

الحكمة والقوة الإلهية

من الأصحاح الأول وحتى الأصحاح الحادي عشر في رسالة رومية يشرح بولس البشارة شرحًا تقليديًّا؛ حيث يصف بولس في هذه الأصحاحات كيف قدم **اللهُ** المسيحَ كذبيحةٍ بديلةٍ وبرَّرنا بالإيمان في المسيح، وبدأ في تغييرنا بعمل الروح. كما أنه يشكِّل منا جماعةً جديدةً تسمح بدخول كل الناس بنفس شروط اليهود.

قبل أن ينتقل بولس إلى تطبيق البشارة في (رومية ١٢ – ١٦)، يتوقف لبرهة في لحظة تأمُّل (رومية ١١: ٣٣ – ٣٦) يمجِّد فيها الحكمةَ المبدعة التي دبَّرت الخلاصَ بهذه الطريقة التي توفي بكل احتياجات البشرية وبكل

مطالب طبيعة **الله** التي تتَّصف بالاتِّساق الذاتي في نفس الوقت. رأينا أن الأصحاحات الأولى من رسالة رومية تؤكد على الإعلان عن عدالة **الله** الكاملة ومحبته الكاملة على الصليب، والآن يوضح (١١: ٣٣ – ٣٦) أن الصليب يعلن أيضًا عن حكمة **الله** الكاملة.

نقيض الحكمة البشرية

يكرِّر بولسُ هذه الفكرةَ في (١ كورنثوس ١: ١٧ – ٢: ٥)؛ حيث يؤكد على أن الصليب يعلن عن حكمة **الله** وقوته التي هي نقيض حكمة العالم وقوته.

يوضح بولس في (١ كورنثوس ١: ٢٢) أن اليهود واليونانيين كانوا يضعون شروطًا مختلفةً لقبول البشارة؛ كان اليهود يطالبون بآيات واليونانيون يتطلعون إلى حكمةٍ عظيمةٍ. أراد كلا الفريقين أن تثبت لهم رسالة البشارة صدقها من خلال قوة وحكمة أصيلة فيها.

يوضح (١ كورنثوس ١: ٢٣) أن رسالة بولس لم تؤثر عليهم ولم تفِ بمطالبهم؛ لقد استاءوا من الصليب بنفس القدر؛ حيث كان بالنسبة لهم "جهالة" و"عثرة"، لكن الصليب بالنسبة لبولس كان العكس تمامًا. يعلن بولس في (١: ٢٤) أن المسيح الذي صُلِب في ضعف هو في الحقيقة قوة **الله**، وأن المسيح الذي يبدو جهالةً هو نفسه حكمة **الله**، ثم يوضح في (١: ٢٥) أن جهالة **الله** أعظم من حكمة البشر وأن ضعف **الله** أقوى من قوة البشر.

وهذا يعني أنه بالرغم من أن الصليب يبدو لمعظم الناس وكأنه قمة العجز والجهل، إلا أنه في الواقع أَسْمَى إعلان عن حكمة **الله** الشخصية وقوته الشخصية.

يشرح بولس هذه الحقيقة في (١ كورنثوس ١: ٢٦ – ٣١) من منطلق تجربة أهل كورنثوس. لم يكن أغلبية قراء بولس أناسًا حكماء أو ذوي نفوذ. لقد اختار **الله** في الواقع الأغبياء والضعفاء متعمِّدًا كي يخزي الحكماء والأقوياء ولكي ينفي تمامًا وجود أي إمكانية للافتخار البشري. ليس هناك

بالفعل أي مكان للافتخار البشري؛ لأن الأمر بكامله هو من **الله**. **الله** نفسه هو من وحَّدهم بالمسيح، والمسيح نفسه هو من أصبح حكمتهم وقوتهم.

يؤكد بولس في (١ كورنثوس ١: ٣٠ – ٣١) على طبيعة الخلاص المتعدِّد الأوجه، وذلك بتلخيص رسالة الصليب على أنها عطية نعمة مكوَّنة من أربع بركات عظيمة في المسيح: حكمة **الله** الشخصية وبره وقداسته وفداؤه.

حكمة اللّه الشخصية

يتردد صدى فهم العهد القديم في قول بولس بأن يسوع هو حكمة **الله** الشخصية. أسفار أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد هي "أدب الحكمة"؛ يحتوي (أمثال ١ – ٩) على الوصف الكتابي الأوضح والأكثر تفصيلاً لحكمة **الله**.

هذه الأصحاحات المهمة تشخص الحكمةَ وتقابلها بالجهل (الذي هو رفض معرفة **الله** أو الاعتراف به)، كما تحتوي على سلسلةٍ رائعةٍ من التصريحات والوعود التي أتمَّها وكرَّرها يسوع (الكلمة) في بشارة يوحنا. على سبيل المثال (أمثال ٧: ٢ و٨: ٦ – ٨، ١٧، ١٨ – ٢١، ٣٢ – ٣٥ و٩: ٥ – ٦).

بعد ذلك، يوضح بولس في (١ كورنثوس ٢: ١ – ٥) حكمة **الله** وقوته من منطلق تجربته الشخصية. يقول بولس إنه لم يقم بزيارة كورنثوس بقوته الشخصية أو برسالة حكمةٍ بشريةٍ، لكنه أتى برسالة الصليب التي تبدو جهالةً، وأتى في ضعفٍ وخوفٍ ورعدةٍ معتمدًا على الروح القدس كي يثبت كلماته ويقنع الناسَ بالحق.

كان هدف بولس من الذهاب إلى أهل كورنثوس في جهلٍ وضعفٍ هو ضمان أن إيمانهم مؤسَّسٌ بكامله على قوة **الله** الشخصية وحكمته وليس على أفكارٍ وقدراتٍ بشريةٍ، ممَّا يوضِّح الضرورةَ القصوى للولادة الثانية، كما يوضِّح خطأَ الاعتماد على الإقناع الفكري أو الأخلاقي أو العاطفي.

هذا هو المبدأ الأساسي في الكرازة والذي نحتاج إلى استيعابه وتطبيقه باستمرار.

لن تكون رسالة الصليب أبدًا رائجةً بين البشر لأن **الله** اختار أن يعلن حكمته وقوته من خلال الجهالة البشرية والضعف البشري، لكن (١ كورنثوس ١: ٢٤) يوضح أن المسيح المصلوب هو حكمة **الله** ويعلن (١: ٣٠) أنه حكمتنا نحن أيضًا.

يعلن الصليبُ حكمةَ **الله** في قدرته على تخليص الخطاة وإرضاء محبته وعدله. يعلن (رومية ١: ١٦) أن الصليب هو أيضًا إعلان قوة **الله** للخلاص لكل الذين يؤمنون.

وهذا يعني أنه بإمكاننا أن نرى عدلَ **الله** ومحبته وحكمته وقوته عندما ننظر إلى الصليب. من السهل أن نقع في خطأ التركيز على صفةٍ من صفات **الله** أكثر من غيرها. من الممكن أن تستأثرنا عدالةُ **الله** في التعامل مع خطايانا لدرجةٍ تجعلنا نتجاهل محبتَه التي احتملت دينونتنا بدلاً عنا. ومن الممكن كذلك أن تستأثرنا قوتُه التي خلَّصتنا لدرجةٍ تجعلنا نتجاهل حكمتَه التي دبَّرت هذا الخلاص.

لكن هذه كلها هي في شخص **الله** وليست مجموعةً من الصفات اللاشخصية. بدلاً من محاولة مقارنة النواحي المختلفة لطبيعة **الله** الإلهية علينا أن نبتهج؛ لأن **الله** – من خلال صليب الخلاص – أعلن المدى الكامل لطبيعته المقدسة بصورةٍ واضحةٍ وكاملةٍ.

الصلاح البشري الكامل

لم يكن الصليب هو فقط الإعلان الأَسْمَى عن مجد **الله**، لكنه أعطانا أيضًا مثالاً للصلاح البشري الكامل. الآبُ أرسل الابنَ "**الله** الكامل" و"الإنسان الكامل" ليس فقط ليعلن عن شخصه الإلهي، لكن أيضًا ليوضِّح للبشرية الطريقةَ المُثلَى للحياة والموت.

قبل خلق الزمان والمكان والمادة كان يسوع مع **الله** وكان هو **الله**. كان كلِّي القدرة وكلِّي المحبة كلِّي الحضور، يرى كلَّ شيءٍ ويعرف كلَّ شيء، وقد سكن في مجدٍ سرمدي، وكان كلِّي المجد. كان هذا المجد المرئي هو تضحية يسوع الأولى.

يوضح (فيلبي ٢: ٥ – ٨) أن الآب لم يجعل الابنَ يتخلَّى عن مجده المرئي، لكن الابن تخلَّى عنه طوعًا. كانت مكانة يسوع مكانةً إلهيةً لكنه لم يتمسَّك (أو يتعلَّق – المعنى في اليونانية غير واضح) بكونه مساويًا أو معادلاً للآب، وبدلاً من ذلك، أخلى نفسَه عندما عزل كلَّ صفةٍ تعبِّر عن طبيعة **الله** بصورةٍ مرئية.

وضع يسوعُ جلالَه المرئي جانبًا، ونصب خيمةَ نفسه في جسدٍ بشري. لقد ترك قدرتَه الكلِّية وحضوره الكلِّي وعلمه الكلِّي ونصب خيمتَه في الضعف البشري باستثناء الخطية.

خرج يسوعُ من المجد المرئي الذي هو له، وتوقف عن أن يبدو كـ**الله**. بالطبع لم يتوقف يسوع عن كونه **الله** لأنه لم يتنازل عن طبيعته الإلهية، لكنه ضحَّى بالمكانة والكرامة اللائقة به كـ**الله**، وأخذ صورةَ عبدٍ بشري وجعل نفسَه لا شيء في نظر الناس من حوله.

إنكار الذات طوعًا

ينعكس إنكارُ الذات في قبول يسوع طواعيةً للحياة كجنين غير محصَّن في رحم امرأةٍ، وكطفلٍ لا حول له ولا قوة في بيت لحم، وكلاجئٍ ضعيفٍ في مصر، وكطفلٍ غير شرعي في الناصرة، وكنجارٍ متواضعٍ في الجليل، وكشخصٍ متجوِّل في كل إسرائيل ليس له أين يسند رأسه، وكمجرمٍ مُدَان في الجلجثة وهكذا.

كانت هذه هي حياة التواضع وإنكار الذات التي اختارها يسوعُ طوعًا؛ لأنه تخلَّى عن مجده المرئي عن عَمْد، وقبل أن يُوجَد في أقل المستويات البشرية، وهو يدعونا أن نتبعه.

ولأن يسوع هو الله، فقد كان بإمكانه أن يرتِّب الأمورَ بصورةٍ مختلفةٍ؛ كان بإمكانه أن ينصب خيمتَه في قصر إمبراطور، وكان بإمكانه أن يستمر في عكس مجد الله المرئي، كان بإمكانه أن يرفع مستوى عائلته الأرضية ويجعل منها عائلةً غنيةً، لكن يسوع أنكر ذاتَه عن عَمْد واختار أن يجسِّد القناعةَ الإنسانيةَ الكاملةَ عن طريق عدم الشهرة وغياب القوة وعدم الأهمية الظاهرية.

عندما دعا يوحنا المعمدان الناسَ إلى التوبة والتدليل على هذه التوبة بالمعمودية، دخل يسوعُ بين الخطاة. لم يطلب يسوعُ من يوحنا أن يتنحَّي جانبًا ويتركه يكمل الأمور، لكنه وقف حيث وقف الخطاة. يسجل (متى ٣: ١٥) أن يوحنا اعترض لكن يسوع أصر أن هذه هي الطريقة الصحيحة للعمل.

تميَّزت كل حياة وخدمة يسوع بإنكار الذات طواعيةً؛ قضى يسوعُ ستةَ أسابيع في البرية دون طعام وقاوم تجارب لا تُضاهَى. وخدم وهو غير متوقِّع لأي امتنان أو مكافأة أرضية، وائتمن ماله بين يدي رجل اختلسه، احتضن البرص وصادَق المنبوذين اجتماعيًّا، وغسل الأرجل وأُسيء فهمه مرارًا وتكرارًا.

رأينا أن يسوع هو بلا شك العبد المتألم الذي يتحدث عنه إشعياء، لكن قليلين هم من أدركوا ذلك. أدرك بيلاطس أن يسوع هو ملك اليهود الحقيقي، وخمن القليلون من التلاميذ أنه كان ابن الله الحي، واعتقدالكثيرون أنه غالبًا رجل صالح. لكن يسوع لم يكن ذلك الملك البشري أو الشخص الرائع الذي توقَّعه الناسُ وأرادوه.

كان الناس يتوقون إلى الرجل المثالي الذي يتحدث عنه (دانيال ٧: ١٣ – ١٤) والذي سيخدمه البشرُ من كل الشعوب، لكن يسوع كان "ابن الإنسان" وهو قد أتى ليَخدِم لا ليُخدَم، ولكي يحثَّنا على خدمة الآخرين معه لا على خدمته مع الآخرين.

إن المثال الرائع الكامل للبشرية الذي قدَّمه لنا شخصُ يسوع (وعلَّمنا من خلاله طريقةَ **الله** المثالية في الحياة) يتميَّز ببذل الذات والتضحية بالذات وإنكار الذات. تصل هذه الصفات إلى قمتها وكمال إعلانها على الصليب. يجب أن يكون واضحًا لنا أن قبول يسوع للصليب طواعيةً هو النتيجة الطبيعية للطريقة التي عاش بها كإنسان.

بذل الذات طواعيةً

بمجرد أن أدرك التلاميذُ أن يسوع هو المسيا المسيح الممسوح، شرح لهم يسوعُ معنى ذلك في (متى ١٦: ٢١) و(مرقس ٨: ٣١ – ٣٢) و(لوقا ٩: ٢٢).

كان ذلك أمرًا بغيضًا بالنسبة للتلاميذ، لذلك أخذ بطرسُ يسوعَ جانبًا كي يعترض على ما يقوله؛ حيث لم يفهم ولم يؤمن أن طريق **الله** المثالي يتضمَّن الألمَ والرفضَ والموتَ، لكن يسوع انتهره ثم أخبر تلاميذه في (متى ١٦: ٢٤) و(مرقس ٨: ٣٤) و(لوقا ٩: ٢٣) أن المطلب الإلهي المتعلق ببذل الذات ينطبق عليهم هم أيضًا.

عندما اقتربت ساعة ذبيحة يسوع، علَّم يسوعُ تلاميذَه بوضوحٍ أكثر عن بذل الذات الإنساني، على سبيل المثال:

- علَّمهم عن سر العظمة الإنسانية (متى ٢٠: ٢٥ – ٢٧) و(مرقس ١٠: ٤١ –٤٥) و(لوقا ٢٢: ٢٤ – ٢٧).
- أظهر لهم الطبيعةَ البسيطةَ المسالمةَ لمُلكِه (متى ٢١: ١ – ١١) و(مرقس ١١: ١ – ١١) و(لوقا ١٩: ٢٨ – ٣٨) و(يوحنا ١٢: ١٢ – ١٦).
- علَّق على تقدمة الأرملة (مرقس ١٢: ٤١ – ٤٤).

- امتدح عطيةَ مريم الغالية (متى ٢٦: ٦ – ١٣) و(مرقس ١٤: ٣ – ٩) و(يوحنا ١٢: ١ – ١٦).
- كشف عن كمال وروعة محبته وأوصى تلاميذه أن يتبعوا مثاله (يوحنا ١٣: ١ – ١٦).

والأهم من ذلك كله، علم يسوعُ تلاميذَه ذلك المبدأ الروحي الحيوي القائل إن التضحية بالذات أو بذل الذات هو سر الإثمار، وهذا أمر واضح جدًّا في كل خليقة **الله**: قبل أن تنمو أي بذرة وتتكاثر، يجب أن تموت أولاً وتتوقَّف عن الوجود. لو أرادت البذرة أن تحافظ على كيانها المستقل فستظل بذرةً واحدةً، لكنها تُنتِج محصولاً غنيًّا عندما تموت وتختفي.

أخذ يسوعُ هذا المبدأَ وطبَّقه على نفسه في (يوحنا ١٢: ٢٣ – ٣٣)، لكنه لم يكن يفكر في نفسه فقط؛ حيث طبَّق هذا المبدأَ بوضوح على كل الذين يتبعونه في (ع ٢٥ – ٢٦).

الإنسان الذي على الصليب

أعلن موتُ يسوع على الصليب عن طبيعة **الله** الكاملة، وأعطانا في ذات الوقت مثالاً رائعًا عن نموذج **الله** المثالي للبشرية.

بينما يتألم يسوعُ على الصليب، أظهر لنا كيف يكون السلوك الإنساني الكامل، وذلك حين طلب من **الله** أن يغفر لهؤلاء الذين يعذِّبونه، وحين عزَّى لصًّا بأن وعده أنه سيكون معه في الفردوس. وعندما مات يسوعُ ترك كلَّ شيءٍ خلفه ما عدا أمه واستودع روحه في يدي **الله**.

دائمًا يلفت لوقا انتباهَ قرَّائه إلى يسوع الإنسان الكامل. إن رواية لوقا عن الصليب هي الأكثر اختصارًا، إلا أنها تعطينا إحساسًا مكثَّفًا بالحزن والألم. يصف (لوقا ٢٢: ٤٢ – ٤٤) تحمُّل يسوع لألمٍ روحي لا يعادله شيءٌ؛ حيث

كان يصارع مع إرادة الآب، وهذه النظرة هي الأكثر تعبيرًا في كل العهد الجديد عن إنسانية ابن الإنسان.

لوقا فقط من بين كل الروايات عن الصليب هو الذي يقول إن يسوع مات مستودعًا روحه بين يدي الآب، وإن يسوع أكمل خدمةَ الغفران حتى النهاية.

يترك لوقا كُتَّابَ البشائر الأخرى لتوضيح حقيقة أن موت يسوع هو "فدية عن كثيرين" وانتصار على الشيطان، لكنه يركِّز على إعلان أن موت يسوع هو أقصى تعبير عن صلاح الإنسانية الكاملة.

الصليب بالنسبة للوقا هو المكان الذي أتمَّ فيه المسيا ما سُجِّل عنه في (إشعياء ٥٣) عندما قبل وتحمَّل الرفضَ والألمَ والموتَ. هذا هو المسيح الذي دعا تلاميذه إلى اتِّباعه وإلى حمل صلبانهم (كل يوم طبقًا للوقا) وإلى الاشتراك معه في طريقته المُثلَى للحياة والموت.

الجزء السابع

الخلاص والنصرة

تتردَّد صرخات نصرة الكنيسة الأولى في العهد الجديد؛ حيث توضِّح بعضُ الأجزاء الكتابية مثل (رومية ٨: ٣٧) و(١ كورنثوس ١٥: ٥٧) و(٢ كورنثوس ٢: ١٤) و(رؤيا ٢ – ٣) إيمانَ المؤمنين الأوائل بأنهم منتصرون غالبون ظافرون.

لكنهم كانوا يعلمون أنهم يدينون بهذا النصر ليسوع المنتصر. يوضح (كولوسي ٢: ١٥) و(رؤيا ٣: ٢١ و٥: ٥ و١٢: ١١) أن المسيح هو الذي انتصر وغلب، وقد فعل ذلك على الصليب.

من الممكن أن نعتاد حقيقة الانتصار في وعلى الصليب لدرجةٍ تجعلنا ننسى كم تبدو هذه الحقيقة سخيفةً بالنسبة لكثيرين ممَّن ليسوا داخل دائرة الإيمان المسيحي بعد. كيف يمكن لمسيح مصلوب أن يكون منتصرًا؟ كيف يمكن لضحيةٍ أن يكون غالبًا؟ كيف يمكن لمجرمٍ نُفِّذ فيه حكم الموت ورُفِض وتعرَّض للخيانة والإنكار وتُرِك وحيدًا من قِبَل تلاميذه أن يُعَدَّ ظافرًا منتصرًا؟

يعتقد معظم الناس أنه من الأكثر منطقيةً أن نصفَ الصليب بأنه مكان الموت والهزيمة، لكن المسيحيين يعلنون أن الحقيقة الكاملة هي عكس الظاهر البشري تمامًا؛ فربما يبدو الشرُّ منتصرًا على الخير في الصليب، لكن الكتاب المقدس يعلن أن الصليب هو المكان الذي تغلَّب فيه الخيرُ على الشر. ربما يبدو أن القوى الأرضية قد سحقت المسيحَ على الصليب، لكن الكتاب المقدس يُصِر على أن الصليب هو المكان الذي سحق فيه نسلُ المرأة رأسَ الحية.

رأينا فيما سبق أن لغز انتصار المسيح ليس هو حقيقة الخلاص الكاملة لكنه عنصر مهم من عناصره. الصليب هو مكان الإعلان والولادة والنصرة وفهمنا له يكون ناقصًا إن تجاهلنا أيًّا من جوانب انجازات المسيح هذه. كل هذه الأمور تنبع في الحقيقة من التكفير الذي هو حقيقة الصليب المركزية.

والأهم من ذلك هو أن اختبارنا الشخصي للصليب يكون فقيرًا عندما نتغاضى عن أيٍّ من جوانب الجلجثة. ليس علينا فقط أن نفهم جوانب الخلاص المختلفة ونحتفي بها، بل علينا أيضًا أن نقبلها جميعًا بالإيمان ونتعمَّق فيها إلى التمام.

الانتصار التدريجي

على الرغم من أن الكتاب المقدس يعلن أن يسوع انتصر بصورةٍ حاسمةٍ وقاطعةٍ على الشيطان، وجرَّده نهائيًّا على الصليب، إلا أنه يتحدث عن هذا الانتصار في صورة انتصارٍ تدريجي يقود إلى اللحظة الحاسمة على الصليب ويقود كذلك إلى اكتماله النهائي.

تنبَّأ بالانتصار

يُعتَبَر (تكوين ٣: ١٥) هو اللمحة الأولى عن البشارة والإشارة الأولى إلى الصليب. يشير هذا العدد بصفةٍ خاصة إلى جانب "النصرة" من الخلاص.

أول إشارة إلى النصرة تقول إن نسل المرأة هو الذي سيكون المنتصر. أُعلن بعد ذلك للأنبياء أن هذا "النسل" سيكون هو المسيا أو "الممسوح" الذي سيؤسِّس مُلْكَ الله العادل ويمحو الشرَّ.

عندما ننظر إلى العهد القديم ونفسِّر كلَّ نصٍّ من نصوصه في ضوء الصليب، يمكننا أن نرى أن أعدادًا مثل (١ أخبار ٢٩: ١١) (الذي يعلن مُلْك الله العادل الموجود وقتها في إسرائيل) و(إشعياء ٩: ٦ – ٧) (الذي

يعلن مُلْك **الله** المستقبلي من خلال المسيا) هي إشارات ضمنية أخرى إلى الانتصار النهائي لنسل المرأة على الحية.

دلالات النصرة

رأينا في كتاب "مُلْك **الله**" أن ملكوت بر **الله** أتى في ومع يسوع، وعلى الرغم من أن انتصار يسوع الحاسم على إبليس قد تحقَّق في موته على الصليب، فإن الابن انتصر في جولاته الأولى معه من خلال الخضوع الكامل لأبيه طوال كل حياته على الأرض، ومن خلال الأعمال القديرة التي أعلنت عن مسحته الفريدة وسلطانه الفريد.

بمجرد أن وُلِد يسوع، عرف إبليسُ أنه الشخص الذي سينتصر عليه في المستقبل، لذا بدأ بمحاولة هزيمته فهاجم يسوع من خلال:

- ذبح أطفال بيت لحم (متى ٢: ١ – ١٨).
- تجارب وإغراءات البرية (متى ٤: ١ – ١١).
- محاولة جماعة مجمع الناصرة للقضاء على حياته (لوقا ٤: ٢٨–٢٩).
- رغبة الجموع في جعله قائدًا سياسيًّا لهم (يوحنا ٦: ١٥).
- وقوف بطرس أمامه في طريق الصليب ومعارضته له (متى ١٦: ٢١ – ٢٣).
- خيانة يهوذا (لوقا ٢٢: ١ – ٦) و(يوحنا ١٣: ٢٧).

لكن يسوع كان مصمِّمًا على إتمام النبوات. أعلن يسوعُ أن ملكوت **الله** أتى إلى هذا الجيل فيه ومن خلاله وأن أعماله القديرة هي دليل مرئي على إتيان الملكوت.

نرى في البشائر كيف أن ملكوت **الله** يتقدم بينما تتراجع مملكة إبليس؛ حيث تُطرَد الأرواحُ الشريرة وتُشفَى الأمراضُ وتُهدَّأ الطبيعة كما نرى على سبيل المثال في (مرقس ١: ٢٤) و(متى ٤: ٢٣) و(مرقس ٤: ٣٩).

نقرأ في (لوقا ٩: ١ – ٦ و١٠: ١ – ٢٤) أن يسوع قد أرسل اثني عشر رسولاً وسبعين تلميذًا ليعلنوا إتيان الملكوت عن طريق الكرازة وشفاء الأمراض وإخراج الشياطين، وعندما عادوا، أخبرهم أنه رأى الشيطانَ يسقط من السماء نتيجةً لأعمالهم.

يلخص (مرقس ٣: ٢٧) و(لوقا ١١: ٢١ – ٢٢) فهمَ يسوع لصراعه مع إبليس قبل الجلجثة. ربما كان الشيطان شخصًا قويًّا، لكن جاء الآن من هو أقوى منه كي يقيِّده ويهزمه ويسلب بيته.

لكن هذا التقييد والانتصار لم يتم بالكامل إلا عند الصليب. نقرأ في (يوحنا ١٢: ٣١ و١٤: ٣٠ و١٦: ١١) كلمات يسوع عن هزيمة إبليس الأخيرة على الصليب وعن وعده بدينونته وطرحه خارجًا، كذلك يصف (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٥) كيف هزم يسوعُ إبليسَ وقوةَ الموت وحرَّر الذين كانوا مأسورين.

لحظة الانتصار

إن ما ورد في (كولوسي ٢: ١٣ – ١٥) هو أوضح تصريح في العهد الجديد عن انتصار المسيح على الصليب. في هذا الجزء الكتابي المهم يجمع بولسُ عنصرين من عناصر الخلاص معًا:

أولاً: يشرح عملَ رحمة **الله** المتمثِّل في غفرانه لنا على الصليب، وذلك بمقارنته بمحو صك الدَّيْن. يوضِّح بولس أن **الله** قد حرَّرنا من إفلاسنا الأخلاقي والروحي عندما سدَّد كلَّ ديوننا على الصليب، وفوق ذلك، محا كل صكوك هذه الديون.

ثم يشرح بولس بعد ذلك انتصارَ **الله** القوي على الصليب؛ حيث يوضح أنه انتزع أسلحةَ أعدائه وأشهرهم كأعداء عاجزين مهزومين، وهذا وصف لـ "تجريد" (apekdusis) العدو في الحياة العسكرية القديمة؛ حيث كان قائد الجيش المنتصر يجرِّد القائدَ المهزومَ علنًا من كل أسلحته وشاراته

أو رتبته، كي يعلن انتصارَه الكامل عليه ويعلن كذلك الاستسلامَ غير المشروط للعدو.

يجب أن ندرك أن بولس يستخدم هنا بعضَ الصور المجازية المادية الواضحة كي يصف حقائق روحية غير مرئية. وكما لم يقم **الله** حرفيًّا بدق قائمة بديوننا على الصليب، هكذا لم يقم حرفيًّا باستعراض الشياطين المهزومة في أورشليم، لكن هذه الأحداث الروحية كانت مع ذلك حقيقيةً وواقعيةً في دائرة اللامرئي.

إن الحقيقة التي تكمن وراء الصور المجازية التي يستخدمها بولس هي أن الغفران والنصرة حدثا في ذات الوقت وأنهما دائمًا مرتبطان معًا ولا مفر من ارتباطهما. يمكننا في الواقع أن نقول إن المسيح انتصر على الشر عن طريق دفع ديوننا وإنه لما خلصنا من خطايانا خلصنا من الخطية.

رأينا في كتاب "معرفة الابن" أن الخضوع الكامل كان هو أساس بنوية يسوع؛ فكما انتصر يسوعُ على الشيطان خلال خدمته عن طريق مقاومة كل إغراءاته وعن طريق خضوعه الكامل وطاعته للآب، هكذا انتصر يسوعُ على الشيطان في الصليب عن طريق طاعته الكاملة الموصوفة في (رومية ٥: ١٩) و(فيلبي ٢: ٨).

كان خضوع الابن الكامل أمرًا لا غنى عنه للخلاص. لو كان يسوع قد عصى للحظةٍ أو حاد ولو بوصة واحدة عن طريق **الله**، لكان الشيطانُ كسب المعركةَ وأحبط عملية الخلاص، لكن يسوع أطاع الآبَ طاعةً كاملةً، وهكذا ذهب الشيطانُ في طريقه.

حاول الشيطانُ على الصليب أن يستفزَّ يسوعَ من خلال التعذيب والظلم والأكاذيب والإهانات، لكن يسوع رفض أن يقابل الأذى بمثله. كان بإمكان يسوع أن يستدعي جيشًا من الملائكة كي يساعده، كان بإمكانه أن ينزل من على الصليب، لكنه بدلاً من أن يتغلَّب على الشر بالقوة، تغلب عليه بالخير كما يشرح (رومية ١٢: ٢١).

استخدم الشيطانُ كلَّ سلاحٍ ممكنٍ لديه كي يغري يسوعَ نحو عصيان **الله** وكراهية أعدائه وتقليد العالمِ في استخدام القوة، لكن يسوع بطاعته وإنكاره لذاته ومحبته وتواضعه ظفر بالانتصار الأخلاقي الحاسم على الشر. وقد ظل يسوعُ في قمة هذا الصراع بعيدًا عن الشر الذي فشل في أن يلوِّثه أو أن يشوهه.

لم يستطِع الشيطان على الرغم من كلَّ ما فعله على الصليب أن يؤثِّر على يسوع، وعندما مات يسوع بلا خطيةٍ، كان على الشيطان أن يُذعِن للهزيمة. حاول الشيطان بالفعل أن يهزم يسوعَ من خلال الصليب، لكنه فشل بل وهُزِم من يسوع، وهذا يعني أن انتصار نسل المرأة – الذي تم التنبؤ به قبل الصليب بفترةٍ طويلةٍ والذي بدأ بحياة وخدمة يسوع على الأرض – قد تحقق بصورةٍ قاطعةٍ بموت يسوع على الصليب.

تأكيد الانتصار

يعتقد معظم المؤمنين أن الصليب كان هزيمةً مؤقتةً، وأن القيامة هي لحظة الانتصار الفعلية، لكن الصليب كان هو الانتصار، والقيامة كانت مجرد دليل مرئي وإثبات علني لانتصار الصليب، نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال ٢: ٢٤) و(أفسس ١: ٢٠ – ٢٣) و(١ بطرس ٣: ٢٢).

دائمًا ما يربط العهد الجديد بين الصليب والقبر الفارغ كما في (مرقس ٨: ٣١ و٩: ٣١ و١٠: ٣٤) و(لوقا ٢٤: ٣٠ – ٣٥) و(يوحنا ١٠: ١٧ – ١٨) و(أعمال ٢: ٢٣ – ٢٤) و(رومية ٦: ١ – ٤) و(١ كورنثوس ١٥: ١ – ٨) و(٢ كورنثوس ٥: ١٥) و(١ تسالونيكي ٤: ١٤) و(رؤيا ١: ١٨)، وهذا يعني أننا لا ينبغي أن نعلن الصليبَ دون القيامة ولا القيامة دون الصليب؛ وذلك لأن يسوع هو الرب الحي والمخلِّص الممسوح معًا.

لكن بالرغم من هذه العلاقة التي لا تنفصم بين الصليب والقيامة، إلا أننا نستطيع فهم الخلاص بصورةٍ صحيحةٍ فقط عندما نفهم العلاقة الحقيقية بين موت المسيح الظافر وقيامته المؤكِّدة لهذا الظفر.

رأينا في كل هذا الكتاب أننا قد خلصنا بالدم، بالموت على الصليب. الدم الذي سال على الصليب هو الذي حقَّق لنا خلاصَنا وأعلن طبيعةَ **الله** وانتصر نصرًا حاسمًا على الشر. الدم هو الذي أتم فداءَنا ومصالحتنا بـ**الله**. الدم هو الذي أرضي ووفى كلًّا من الاحتياجات البشرية ومطالب الطبيعة الإلهية وهكذا.

دائمًا ما يصرِّح العهدُ الجديد بأن "المسيح مات عن خطايانا"، لكنه لا يقول أبدًا إنه "قام من أجل خطايانا". يوضح (عبرانيين ٢: ١٤) هذه الحقيقة. القيامة لم تجلب لنا الخلاص، لكنها كانت الإثبات النهائي لخلاصنا. وكما كان التجسُّد مطلبًا لا غنى عنه من مطالب الخلاص، هكذا القيامة كانت دليلاً وإثباتًا لا غنى عنه للخلاص. القيامة رأت يسوع وأعلنت أنه ابن **الله** وكشفت أن موته البدلي هو الذي حقَّق الخلاص. لقد كانت القيامة هي طريقة **الله** في المصادقة على انتصار يسوع على الصليب.

لا يجب أن ننسى أبدًا أن الصليب وليس القيامة هو ما أتم خلاصَنا وحقَّقه، لذلك فإن الصليب وليس القبر الفارغ أو الحمامة النازلة من السماء هو الرمز العالمي لإيماننا المسيحي.

تطبيق الانتصار

رأينا في كتاب "ملك **الله**" أن ملكوت **الله** هو "الآن" و"ليس بعد"، وعلى الرغم من أن الشيطان قد هُزم هزيمةً قاطعةً على الصليب، إلا أنه لم يُذعِن بعد لهذه الهزيمة الكاملة، وعلى الرغم من أنه قد أُسقط، إلا أنه لم يُمحَ؛ فهو مازال يجرِّب ويخدع ويهاجم كلَّ تلاميذ المسيح.

المفارقة بين "الآن" و"ليس بعد" فيما يتعلق بأمور الملكوت تعني أن العهد الجديد يَعِدنا بأننا جالسون مع المسيح نحكم معه وتكون كل قوى الشر تحت أقدامنا، ويحذِّرنا من أننا لا نستطيع أن نواجه قوى الشر الروحية دون قوة الرب وسلاحه. يَعِدنا العهدُ الجديد بأن المسيح يحفظنا آمنين وأن الشرير لا يستطيع أن يلمسنا، ويحذِّرنا كي نحترس؛ لأن نفس هذا الشرير يجول طالبًا من يبتلعه، نرى كل هذه المفارقات في (أفسس ١: ٢٠ – ٢٣ و٦: ١٠ – ١٧) و(١ يوحنا ٥: ١٨) و(١ بطرس ٥: ٨).

المفارقة بين "الآن" و"ليس بعد" تعني أن الملكوت قد أتى، لكنه ليس مكتملاً. إن المعركة الحاسمة قد تم النصر فيها، لكن العدو لم يستسلم بعد، والرجل القوي قد قُيِّد لكن منزله لم يُهدَم بكامله وكل أسراها لم يُحرَّروا بعد، إن جليات قد ذُبِح وداود عاد إلى أورشليم منتصرًا لكن جموع المشاة الإسرائيليين لازال عليهم أن يُلحِقوا الهزيمةَ بالقوات الفلسطينية ذات المعنويات الضعيفة.

يركِّز بعضُ المسيحيين على أمور الملكوت التي هي "الآن" بينما ينشغل الكثيرون بأموره التي "ليست بعد"، لكننا مدعوون إلى الاحتفاء بالنصر الحاسم – أن نحيا في خيره وأن نطبِّقه – بينما لا يغيب عن أذهاننا أن نصر الملكوت لن يكتمل حتى يأتي اليوم الأخير.

إن موت المسيح الكفاري يضمن لنا – بلا شروط – كلَّ جانب من جوانب الخلاص في كل الأبدية وإن كنا لا نختبر كلَّ فوائد الخلاص بصورةٍ كاملةٍ وتامة الآن. يوضح (رومية ٨) أننا بالرجاء خلصنا لكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، وهذا يعني أنه يجب أن يكون هناك عنصر غير منظور وغير مُختَبَر في خلاصنا وحياتنا المسيحية حتى يكون هناك شيء لله يكمله في اليوم الأخير. يحثنا بولس في رومية أن نرجو ما لسنا ننظره ونتوقعه بصبر.

للمفارقة بين ما هو "الآن" وما هو "ليس بعد" دلالات واضحة لكل جانب من جوانب الخلاص، لكن يجب أن نكون حريصين على ألا نضع فوارقَ قسريةً بين ما هو "الآن" وما هو "ليس بعد". إننا نستمتع بكل فوائد الخلاص "الآن" لكن كل هذا مجرد عيِّنة لما سنستمتع به كليةً في اليوم الأخير.

على سبيل المثال، اختبارنا الحالي للشفاء بسبب انتصار المسيح هو اختبار عظيم، لكنه ليس كاملاً؛ لأن ليس كل شخص يُشفَى من كل شيء وحتى من يُشفَى يموت في النهاية، ومع ذلك، فإن كل حالة شفاء فردية هي عيِّنة حقيقية وإشارة نبوية للشفاء الكامل والتام للقيامة.

ينطبق نفسُ الأمر – إلى حدٍّ كبير – على التقديس والانتصار؛ فإن اختبارنا الحالي لهما عظيم، لكن مهما كان قربنا من **الله** لن نصل إلى الكمال المُطلَق أو النصر الدائم في هذه الحياة؛ لأنه على الرغم من أن الشيطان قد جُرِّد وهُزِم، إلا أنه لم يتم التخلُّص منه، لكن تقديسنا المتزايد هو عيِّنة رائعة لكمالنا الأبدي الأكيد، وكل اختبار لنا للنصر هو إشارة نبوية إلى النصر المُطلَق في اليوم الأخير.

وعلينا بالطبع – كما نطبِّق نصرَ المسيح في حياتنا عندما نتغلب على هجمات الشيطان – أن نطبقه بتحرير أسرى الشيطان. رأينا في كتاب "الوصول للتائهين" أن الكنيسة مُكلَّفة بنشر حكم **الله** المنتصر بقوة الروح، وذلك عن طريق الإعلان الرسولي والإذاعة الرسولية والتجسيد الرسولي للأخبار السارة عن يسوع المسيح.

بينما نذيع ونعلن ونعيش البشارة، ندعو الناسَ إلى التحوُّل من إبليس إلى **الله**، من الظلمة إلى النور، من الأوثان إلى **الله** الحي الحقيقي، نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال ٢٦: ١٨) و(١ تسالونيكي ١: ٩) و(كولوسي ١: ١٣).

وهذا يوضِّح أن كلَّ تحوُّل إلى الإيمان إنما يتضمَّن مواجهةً قويةً عندما يُجبَر الشيطان على إرخاء قبضته على حياة شخصٍ ما، وبالتالي، يقر بالقوة العُظمَى وبنصر المسيح.

اكتمال النصر

بينما نعيش ونصارع مع المفارقة بين أمور الملكوت التي هي "الآن" والتي "ليست بعد"، علينا أن نتطلَّع دائمًا إلى اكتمال نصر المسيح بعودته.

إن (مزمور ١١٠) هو نبوة العهد القديم التي يسجِّل العهدُ الجديد أن يسوعَ يشير إليها كثيرًا. الربُّ الإله أخبر يسوعَ أن يجلس عن يمينه وقد جلس مالكًا على عرش السماء منذ لحظة الصعود، لكن يسوع مازال منتظرًا أن يضع **اللهُ** أعداءَه موطئًا لقدميه.

نحن الشعب المُنْتَدَب (المتطوِّع) المكتوب عنه في (مزمور ١١٠: ٣) الذين، في يوم قوة الرب، ينشرون قضيب عزه في الأمم وسط أعدائه، لكننا مازلنا في انتظار يوم الغضب والدينونة المذكور في (مزمور ١١٠: ٥–٧).

في ذلك اليوم الرهيب العظيم، ستجثو كلُّ ركبةٍ ليسوع المسيح وكلُّ لسانٍ سيعترف أنه الرب. كما سيحدث أمرٌ مروِّع للشيطان وقواته يصفه الكتابُ المقدس بإلقائه في بحيرة النار.

في هذا اليوم الذي سيكتمل فيه الانتصار، سيتم تدمير كل الشر وسينتهي كل الموت وسيسلم الابنُ الملكوتَ إلى الآب، وسيصبح "ما هو ليس بعد" "الآن" لكل الأبدية. أما الخطوة الأخيرة فستكون أعظم لحظة في حياة وخدمة يسوع، نقرأ عن ذلك في (١ كورنثوس ١٥: ٢٤ – ٢٨) و(فيلبي ٢: ٩ – ١١) و(رؤيا ٢٠: ١٠، ١٤).

الحياة في النصر

الفعل اليوناني "katargeo" غالبًا ما يُترجَم إلى "يدمِّر" أو "يمحو" وهو

يَرِد في (عبرانيين ٢: ١٤) و(رومية ٦: ٦) و(٢ تيموثاوس ١: ١٠) بالإشارة إلى الشيطان والجسد والموت نفسه.

رأينا في كتاب "الوصول للتائهين" أن الفعل "apollumi" أي "يتوه" أو "يهلك" يشير إلى "خسارة الخير" وليس إلى "خسارة الذات" – يشير إلى الدمار وليس إلى الفناء، ينطبق نفس الأمر على الفعل "katargeo".

الفعل "katargeo" يعني "يجعله غير مؤثِّر" أو "عقيم" أو "غير عامل". كان هذا الفعل يُستَخدَم في اليونان في القرن الأول لوصف أرضٍ قاحلةٍ وأشجار غير منتجة للثمار. مازالت هذه الأشجار موجودةً حيث لم يتم تدميرها لكنها قُطِعت أو أصبحت عقيمةً.

لذلك عندما يطبِّق العهدُ الجديد الفعلَ "katargeo" على الشيطان والجسد والموت، فهو لا يقصد أنهم دُمِّروا تدميرًا كاملاً على الصليب. مازال الشيطان يعمل بنشاطٍ، ومازال الجسدُ مستمرًّا في إثبات نفسه في حياتنا كما أن الموت مازال عاملاً. مازالت هذه الأشياء موجودةً، لكنها قُطِعت وكُسرت على الصليب.

وهذا يعني أن نصر المسيح الحاسم لم يُفنِ الشيطانَ والجسدَ والموتَ، لكنه أعلنهم بلا فعاليةٍ وجرَّدهم من قوتهم.

لذلك فإن حياة النصرة تعني الحياة في معرفة أن الشيطان مازال موجودًا، لكن قوته كُسِرت، ومازال الجسد يشير علينا في كل شيء لكن هذه المشورات هي تهديدات فارغة، ومازال الموت يُظهِر وجهَه القبيح، لكن ليس هناك ما يخيفنا منه.

يوضح (١ يوحنا ٣: ٨) أن الابن أُرسِل من قِبَل الآب كي يواجه الشيطانَ ويهزمه، ولكي يُبطِل الدمارَ الذي أحدثه بصورةٍ مباشرةٍ أو سبَّبه بطريقةٍ غير مباشرة. يشير العهدُ الجديد إلى العديد من الجوانب المختلفة لنصر يسوع المخلِّص، لكنه يركِّز بصفةٍ خاصة على حريتنا المنتصرة من الناموس والجسد والموت نفسه.

الحريةِ من الناموس

يعلِّمنا الرسول بولس في (رومية ٦: ١٤ و١٠: ٤) و(غلاطية ٣: ١٣، ٢٣ و٥: ١٨) أننا الآن أحرارٌ من عبودية الناموس بفضل انتصار يسوع على الصليب.

الناموس يُدين عصيانَنا ويجعلنا تحت "لعنته" أو دينونته، لكن موت المسيح قد حرَّرنا من لعنة الناموس حين أصبح لعنةً من أجلنا. رأينا في كتاب "مُلْك الله" أن هذا يعني أن المسيح كان هو تتميم أو إكمال الناموس وأن الناموس لم يَعُد يَستَعبِدنا تحت لعنته.

يشرح لنا (رومية ٨: ١ – ٤) أنه لا دينونة علينا؛ لأننا في المسيح ولأن الله أدان خطايانا في المسيح. يوضِّح هذا النصُّ أن الله قد فعل ذلك حتى يفي بمطالب الناموس العادلة فينا، كما يوضِّح أن الصليبَ قد حرَّرنا من لعنة الناموس حتى ننطلق في حياة السير في طاعة الروح القدس.

وهذا يعني أن انتصار المسيح على الناموس وحريتنا من الناموس التي ترتَّبت على هذا الانتصار يظهران في سيرنا في ومع الروح. الأمر ببساطة هو أن حياتنا في الروح هي تجربة مستمرة لانتصار المسيح.

الحرية من الجسد

رأينا في كتاب "الوصول للتائهين" أن الجسد "sarx" عادةً يشير إلى الشخص في أصله الأرضي وضعفه الطبيعي وبُعدِه عن الله، كما أنه غالبًا ما يكون السبب فيما يرتكب من خطيةٍ، كما نرى في (غلاطية ٥: ١٦ – ١٩) على سبيل المثال.

إن الصفة الأساسية المميِّزة للجسد الإنساني هي التمحور حول الذات، ويذكر (غلاطية ٥: ١٦ – ٢١) قائمةً ببعض نتائج شهوات الجسد الطبيعية وميوله. تحدَّث يسوعُ عن الحرية التي يعطيها في (يوحنا ٨: ٣٤ – ٣٦).

ويوضح (رومية ٦: ٦) أن الحرية من الطبيعة الأنانية الساقطة تأتي من الصليب.

من المهم أن نلاحظ أن (غلاطية ٥: ١٦ – ٢٩) يصف الحريةَ من الجسد من منطلق السير في الروح. ومرة أخرى هنا يظهر اختبارنا المستمر لانتصار المسيح في سيرنا في ومع الروح. إن شراكتنا مع الروح هي اختبارنا لهذا الانتصار.

الحرية من العالم

يمكننا أن نقول إن الجسد هو القيد الأساسي الذي يربطنا به إبليس في دواخلنا، وإن العالم هو الوسيلة الأساسية التي يضغط بها علينا من الخارج. وفي هذا السياق، نقول إن العالم هو المجتمع الشرير الذي يعادي الكنيسة والذي يسعي دائمًا إلى تعريض مبادئها المقدسة للخطر.

يوضح (١ يوحنا ٢: ١٥ – ١٦) و(يوحنا ١٦: ٣٣) و(١ يوحنا ٥: ٤ – ٥) التضارب بين محبة العالم ومحبة الآب. توضح هذه النصوص أن العالم يتميَّز بشهوة الجسد والأحكام السطحية والأمور المادية الخاطئة، وأن يسوع قد انتصر على العالم، وأننا نستطيع من خلاله أن نحظى أيضًا بهذا الانتصار.

عندما قال يسوع إنه قد غلب العالمَ، كان يقصد أنه رفض قِيَمَه المُشوَّشة، والتزم بنظرته السماوية إلى الناس والماديات. عندما نؤمن بيسوع، نشترك في انتصاره على العالم وذلك باشتراكنا في قِيَمِه الأبدية. يوضح (رومية ١٢: ١ – ٢) و(غلاطية ٦: ١٤) أن الحياة في انتصار المسيح على العالم تعني ألا نتبع قِيَمَ العالم وألا نتوافق معها، وأن نتغيَّر تغيُّرًا مستمرًّا بفهم أذهاننا المتجدِّدة لمشيئة **الله**.

لا شيء يعلن طبيعةَ **الله** بوضوح أكثر من الصليب؛ لقد صُلِب العالمُ لنا ونحن للعالم من خلال الصليب حتى نتحرَّر من عبوديته ونعيش في حرية مشيئة **الله** وقِيَمَه.

الحرية من الموت

يعلِّمنا (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٥) أن يسوع قد حرَّرنا من الخوف من الموت؛ لأنه بموته "أباد" ذاك الذي له سلطان الموت (أو بتدقيق أكثر "جعله عاجزًا").

ولأن الخطية هي "شوكة" الموت، أي السبب الرئيسي وراء كون الموت مؤلمًا وغير مُحبَّب، تعامل يسوعُ مع الموت من خلال تعامله مع الخطية. الخطية هي التي تسبَّبت في الموت في المقام الأول، وهي التي استمرت في تعريض البشارة لمواجهة الدينونة الإلهية بعد الموت. وهذا الأساس الخاطئ هو السبب الأساسي وراء الخوف العالمي من الموت.

إلا أنَّ المسيح قد مات من أجل خطايانا وقد حملها عنَّا. إنَّ نصرتَه على الموت تعني أننا تحررنا من الخوف من الخطية والدينونة، وهكذا، تحرَّرنا من الخوف من الموت.

في (١ كورنثوس ١٥: ٥٤–٥٧)، يُشَبِّه الرسولُ بولس الموتَ بعقربٍ قد نُزِعت عنه شوكتُه وبقائدٍ عسكري انكسرت قوته، والآن، بعد أن تمتّعنا بالغفران من خلال موت الصليب، لا يقدر الموتُ أن يؤذينا؛ حيث إنه من خلال الرب يسوع المسيح، قد أعطانا **اللهُ** نصرةً على الخوف من الموت.

مازال الموت موجودًا بالطبع مثله مثل الشيطان. لقد تم تعجيزه لكن لم يتم تدميره. مازال الموت موجودًا لكنه فقد قوته في الإيذاء والتخويف. يسجل (يوحنا ١١: ٢٥ – ٢٦) وعدَ يسوع العظيم لتلاميذه بشأن الموت، لكن هذا الوعد لا يعني التخلُّص من الموت الجسدي بل الانتقال من الحياة على الأرض إلى ملء الحياة.

المسيح المنتصر

يعلن سفر الرؤيا انتصار المسيح بصورةٍ واضحةٍ وصوتٍ عالٍ أكثر من أي جزء من أجزاء الكتاب المقدس. يستخدم العهدُ الجديد مجموعةً من الكلمات الدالة على النصر (nike، nikos، nikao – بمعنى "انتصار" و"ينتصر على" أو "يتغلب على") ٢٩ مرة منها ١٣ مرة في سفر الرؤيا، نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ١٢: ٢٠) و(يوحنا ١٦: ٣٣) و(رومية ١٢: ٢١) و(١ كورنثوس ١٥: ٥٤ – ٥٧) و(١ يوحنا ٢: ١٣ – ١٤ و٤: ٤ و٥: ٤ – ٥) و(رؤيا ٢: ٧، ١١، ١٧، ٢٦ و٣: ٥، ١٢، ٢١ و٦: ٢ و١١: ٧ و١٢: ١١ و١٥: ٢ و١٧: ١٤ و٢١: ٧).

يبدو أن سفر الرؤيا كُتِب في وقتٍ ما في العقدين الأخيرين من القرن الأول أثناء حكم دومتيان عندما كانت السلطات الرومانية تضطهد الكنيسة الأولى بطريقةٍ مُنظَّمة؛ وذلك بسبب رفضها لعبادة الإمبراطور.

يرفع الروحُ في سفر الرؤيا – بواسطة الرسول يوحنا – الستارَ الذي يخفي حقيقةَ العالم الروحي غير المرئي، ويمكِّننا من رؤية ما يحدث خلف المشهد الإنساني.

يستخدم سفرُ الرؤيا لغةً رمزيةً وتصويريةً عاليةً يكشف من خلالها أن الصراع بين الكنيسة والعالم هو مجرد تعبير مرئي عن الصراع الدائر بين المسيح وإبليس، بين الخروف والتنين، بين نسل المرأة والحية وهكذا. يصوِّر سفرُ الرؤيا هذا الصراعَ في سلسلةٍ من الرؤى الدرامية التي يفسِّرها المسيحيون بطرقٍ مختلفةٍ ويقولون إنها تعبِّر عن:

- عصر يوحنا فقط.
- كل تاريخ الكنيسة.
- السنوات التي تسبق عودة المسيح.

بالإضافة إلى ذلك، يفسر البعضُ سفرَ الرؤيا على أنه سلسلةٌ من الرؤى الدرامية المتتابعة، ويقول البعضُ الآخر إنها رؤى مكمِّلة لبعضها البعض تعبِّر عن نفس الأحداث من وجهات نظر مختلفة.

لكن أيًّا كان تفسيرنا لسفر الرؤيا، علينا أن ندرك أنه يعلِّمنا الآتي:

- أن الصراع الروحي غير المرئي ينعكس دائمًا في العالم المادي المرئي.
- أن المسيح منتصر في كل جانبٍ من جوانب المعركة.
- ولذلك يجب أن نكون نحن أيضًا منتصرين.

كل إشارةٍ إلى المسيح في سفر الرؤيا تصوِّره على أنه منتصر، على سبيل المثال:

- يبدأ السفر بالإشارة إلى انتصاره (١: ٥ و١: ١٧ – ١٨).
- تنتهي كل الرسائل السبع إلى كنائس المسيح على الأرض (٢: ١ – ٣: ٢٢) بوعدٍ مُعيَّن لهؤلاء الذين ينتصرون أو يغلبون.
- يركز (٤: ١ – ٧: ١٧) على المسيح الجالس على عرش السماء: إنه الأسد والخروف الذي يملك ويغلب من خلال ذبيحة نفسه. يتَّضح هذا الأمر بصفةٍ خاصة في (٥: ٥ و٥: ٩).
- قمة الأحداث المُسجَّلة في (٨: ١ – ١١: ١٩) (الحرب والمجاعة والشهادة والزلازل والكوارث البيئية) كلها تحت السلطان الكامل للحمل الذي يملك بالفعل والذي سيكتمل ملكوته عمَّا قريب.

أصحاح ١٢ هو محور سفر الرؤيا وهو يعيد استعراضَ الصراع بين نسل المرأة والحية. الانتصار الموصوف في (ع ٩) لابد وأن يكون الصليب؛ وذلك لأن الناس في (ع ١١) تغلَّبوا على التنين بدم الخروف.

عند هذه النقطة من الرؤيا، هُزِم الشيطان وأُنزل من على عرشه (بمعنى أنه جُعل عاجزًا وليس دُمِّر)، لكن هذه الهزيمة لم تُنهِ أعمالَه، بل جعله غضبُه بسبب هلاكه القريب يُضاعِف من جهوده.

وهذا يؤكِّد على ما رأيناه في كل العهد الجديد: أن النصر الحاسم قد تمَّ على الصليب، لكن الصراع مازال مستمرًّا.

الوحوش الثلاثة

يصف سفر الرؤيا ثلاثة حلفاء رمزيين يساعدون التنين المجروح.

ففي (١٣: ١ – ١٠) يعطي التنينُ قوتَه وعرشَه وسلطانَه للوحش الأول الذي يجدِّف على **الله** بعد ذلك ويضطهد القديسين بعنف وينتصر عليهم نصرًا وقتيًّا ويسجد له الكل فيما عدا أتباع الخروف.

يبدو أن الوحش الأول يمثِّل السلطات التي تضطهد الكنيسة. يمكننا القول إن هذا "الوحش" قد ظهر في أيام يوحنا في الإمبراطورية الرومانية، وإنه عاود الظهور في التاريخ في أنظمة الحكم التي على اختلاف توجُّهاتها السياسية تضطهد الكنيسة وتطالب بالولاء التام لشعبها، وإنه سيظهر من جديد وبقوة في الأيام الأخيرة قبل عودة المسيح.

أما الوحش الثاني فيُوصَف في (١٣: ١١ – ١٨)، ويبدو أنه شريك الوحش الأول فيما يفعله؛ حيث يقوم هذا الوحش بترويج عبادة الآلهة الكاذبة ويصنع آياتٍ كاذبةً ويخدع مَنْ هم حوله، كما يُجبِر الناسَ على السجود أمام صورة الوحش الأول وأخذ علامته عليهم.

ربما رمز هذا الوحشُ في أيام يوحنا إلى هؤلاء الذين روَّجوا عبادة الإمبراطور دومتيان. ومرةً أخرى نقول إنه عاود الظهور خلال التاريخ في كل ديانةٍ كاذبةٍ وفكرٍ شرير يخدع الناسَ نحو عبادة أي شيءٍ غير **الله** الحي الحقيقي، ونثق أنه سيظهر بقوةٍ في المستقبل.

يرد ذكر الوحش الثالث في (١٧: ٣) بعد أن تم التنبُّؤ بالانتصار النهائي الأكيد للحمل وتم الاحتفال به ثانيةً في (١٤: ١ – ٥ و١٥: ١ – ٤ و١٦: ٤ – ٧). يتمثَّل سلاحُ هذا الوحش في الإغواء وليس في الاضطهاد أو الخداع. وهو يهدف إلى إيقاع الناس في الشرك من خلال اللاأخلاقيات والأمور المادية.

تُوصَف أعمال هذا الوحش في أصحاحي ١٧ و١٨ وهو يصنع حربًا ضد الحَمَل من خلال إغواء أتباعه لاعتناق الشهوات والماديات، وهما اثنتان من أقوى أسلحة إبليس الإغوائية (والسلاح الثالث هو السلطة). يوضح (١٧: ١٤) أن الحَمَل سينتصر انتصارًا تامًّا على هذا الوحش الثالث وسيكشف أن هذا النصر هو حقٌّ وعدل. يظهر يسوع المنتصر في (١٩: ١١ – ١٦) كي يدين ويصنع حربًا. وتصف الأصحاحات الثلاثة الأخيرة من سفر الرؤيا التدميرَ النهائيَّ لإبليس وللموت وخلق سماء جديدة وأرض جديدة حيث يؤسِّس **اللهُ** ملكه الكامل.

في عصر يوحنا، كان يمكن أن يُعتبَر الوحش هو الفساد الأخلاقي للإمبراطورية الرومانية، والانهيار الأخلاقي الذي قاد لسقوطها. ومنذ هذا الوقت، دأب الوحشُ على محاولة شلِّ حركة الكنيسة من خلال أفكار الفجور والمادية المنتشرة. مرةً أخرى، يمكننا أن نتأكد أنه سيضاعف من جهده؛ لأن يوم نهايته الأخيرة يقترب.

يصف الأصحاحان ١٨ و١٩ سقوطَ الوحش الثالث وإعلان أنَّ هذا حقٌّ وعدلٌ. يظهر يسوع المنتصر في (١٩: ١١–١٦) ليعلن دينونةً ويصنع حربًا، وتصف آخر ثلاثة أصحاحات من سِفر الرؤيا الهلاكَ الأخير لإبليس والموت، وخلق السماء الجديدة والأرض الجديدة حيث يقيم **الله** مُلكَه التام.

كن منتصرًا

الرسالة الأساسية لسفر الرؤيا واضحة: لقد هزم يسوعُ الشيطانَ على الصليب وسيقضي عليه نهائيًّا يومًا ما. وعلى خلفية هذه الحقيقة الأكيدة المُطلَقة يشجِّع سفرُ الرؤيا المؤمنين على مواجهة أعمال إبليس المستمرة المتمثلة في الاضطهاد والخداع والإغواء.

يحثنا الروح القدس في سفر الرؤيا على أن نكون منتصرين وأن ندخل إلى نصر المسيح على الصليب وأن نتغلَّب على قوة الشيطان، كما يقول العهدُ الجديدُ إن هناك طريقتين بسيطتين نكون بهما منتصرين ونعيش في نصرةٍ:

أولاً: يحثنا (١ بطرس ٥: ٨ – ٩) و(يعقوب ٤: ٧) على أن نقاوم الشرَّ ونثبت في الإيمان. ليس هناك ما نخاف منه؛ لأن يسوع هَزَم الشيطانَ على الصليب. ويمكننا عندما نلبس سلاح **الله** المذكور في (أفسس ٦: ١٠ – ١٧) أن نقف ضد الشيطان وننتصر.

ليس علينا أن نهرب من وحوش الشيطان المتمثلة في الاضطهاد والخداع والإغواء، لكن علينا أن نقاومها في اسم يسوع المنتصر حتى يهرب الشطيان منا كما هرب من يسوع.

إننا في الواقع لسنا مجرد منتصرين؛ حيث يصفنا (رومية ٨: ٣٧) بأننا "hupernikao" أي "أعظم من منتصرين" أو "أبطال فائقون". يقول بولس إننا يجب أن نكون "أعظم من منتصرين" في شخص من أحبنا حتى في وقت الضيق والشدة والاضطهاد والجوع والحرب والفقر والخطر.

ثانيًا: يوضح (رؤيا ١٢: ١١) أننا ننتصر على الشيطان بواسطة دم الخروف وكلمة الشهادة. رأينا في كتاب "الوصول للتائهين" أننا مدعوون إلى إعلان وإذاعة وتجسيد الأخبار السارة عن يسوع المسيح. يوضح (أعمال ٢٦: ١٨) أنه بينما نخدم ونشهد عن يسوع يتحول الناسُ من إبليس إلى **الله**، وتتراجع مملكة إبليس بينما يتقدم ملكوت **الله**.

علينا أن نتذكر أنه بالصليب وحده نستطيع الانتصار على إبليس في كلٍّ من حياتنا الشخصية وإرساليتنا الكنسية.

نعلم أننا مدعوون إلى قداسةٍ تائبةٍ وكرازةٍ ثوريةٍ، إلى بذل الذات بلا أنانية وإلى تحمُّل المشقَّات بصبر، لكن يكون لهذه الأمور معنى وقصد فقط بسبب أن الاكتمال النهائي لسحق نسل امرأة للحية والذي حققه عندما مات على الصليب أصبح قريبًا.

الطبيعة الكونية للخلاص

كان كل تركيزنا إلى الآن منصبًّا على الخلاص الشخصي، لكن سيكون من الخطأ ألا نلفت الانتباهَ إلى البُعْد العالمي للخلاص في المسيح؛ حيث إن كل نصر في الجلجثة كان نصرًا للخليقة كلها. لم يَقُم يسوعُ على الصليب بفداء الأفراد فقط من لعنة الخطية، لكنه فدى الخليقة أيضًا من هذه اللعنة.

يعلِّمنا الكتابُ المقدس أن الانحطاط والفساد قد دخلا إلى الطبيعة عن طريق السقوط (تكوين ٣: ١٧ – ١٨)، ولذلك فإن العالم "الحسن جدًّا" الذي خلقه **الله** أصبح الآن مُعرَّضًا لظواهر طبيعية مدمِّرة مثل الأعاصير والزلازل والفيضانات.

لكن الطبيعة تتوق إلى الفداء وإلى تصحيح أوضاع العالم كما كان حين خلقه **الله**. هذا هو ما يشير إليه بولس في (رومية ٨: ٢٢) حين يقول " كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ". إن يسوع المقام بالنسبة لبولس هو بكر الخليقة الجديدة وضمانها (١ كورنثوس ١٥: ٢٠) وقيامة يسوع قد بدأت بالفعل في التحرُّك نحو فداء الخليقة وتحريرها، لكن من الواضح أن لهذا الأمر أيضًا جانبًا هو "ليس بعد" وهو ما يشير إليه (٢ بطرس ٣: ١٣) و(رؤيا ٢١: ١) عندما يتحدثان عن "السماوات الجديدة" و"الأرض الجديدة" في إشارةٍ إلى الوقت الذي سيأتي فيه يسوعُ ثانيةً ويتمِّم نصرَه في الجلجثة.

كل هذا يعني أن المدى الكتابي الكامل للخلاص يضيع منا إذا ركزنا على انتصار الأفراد من الرجال والنساء فقط؛ حيث يجب في الواقع أن يكون هناك بُعْد كوني للاهوت الخلاص، وكما قلنا في كتاب "الوصول للتائهين" في هذا الشأن، يجب أن يكون هناك "بُعْد عالمي" لكرازتنا، كما علينا أن ندرك أن رسالة الصليب هي المفتاح لحل العديد من المشاكل البيئية مثل الاحتباس الحراري وصيانة الطاقة وإنتاج الغذاء. هذا البُعْد الكوني للخلاص الكتابي هو السبب وراء وجوب وجود المسيحيين في كل جبهات العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية وهكذا، وليس الروحية فقط.

الجزء الثامن

الخلاص والحياة الجديدة

قلنا في كتاب "الوصول للتائهين" إن الكتاب المقدس غالبًا ما يَعتَبِر البشرية غير مُخلَّصة (apololos) أي تائهة أو هالكة. و(apololos) هي الكلمة التي يستخدمها (لوقا ١٩: ١٠) لكي يلخص إرساليةَ يسوع: لقد أتى يسوع لكي يخلِّص الـ (apololos) أي الهالكين.

هذه الكلمة اليونانية مُشتقَّة من الفعل اليوناني (apollumi) والذي يعني "يفسد كليةً" أو "يخسر نهائيًّا"، وعلى الرغم من أن بعض ترجمات الكتاب المقدس تصيغ الفعل (apollumi) بمعنى "يقتل"، إلا أن معناه الحقيقي هو "خسارة الخير" (well–being) وليس "خسارة الذات" (being)؛ حيث تدل الكلمة على الدمار والخراب وليس على الانقراض والموت.

"هلاك البشرية" هو في الواقع أحد الأسباب الرئيسية وراء خدمة المصالحة المُخلِّصة التي يقوم **الله** بها. البشر التائهون تمامًا يحتاجون إلى من يجدهم ثم يرجعهم إلى **الله** (حيث مكانهم الحقيقي) ويصالحهم معه مصالحةً كاملةً.

وعلى الرغم من أن "التيه" أو "الهلاك" هو الصورة الكتابية الرئيسية للبشرية الساقطة، إلا أنها ليست الصورة الوحيدة. يستخدم الكتاب المقدس تنوعًا من أشكال من الكلمات والصور المجازية والتشبيهات كي يكشف عن ملء خلاص **الله** الكريم؟ أما الأفكار المتعلقة بـ "موت" و "عمى" البشرية الساقطة فهي خيوط ثانوية تسير في كل الكتاب المقدس. الموتى والعمي لا يحتاجون فقط إلى من يجدهم ويصالحهم، لكنهم يحتاجون أيضًا إلى من يعطيهم حياةً جديدةً ونورًا جديدًا، وهذا العاطي هو مصدر كل الحياة وكل

النور. يحتاج هؤلاء إلى حياة **الله** المخلِّصة ونوره المخلِّص، كما يحتاجون إلى المغفرة والمصالحة والنصر وهكذا.

تحدثنا فيما سبق عن نعمة **الله** المخلِّصة التي تعمل من خلال أعمال المسيح في التكفير والإعلان والنصر، لكن النعمة الإلهية أوضح في عمل المسيح المتعلق بإعطاء حياةٍ جديدةٍ.

على الرغم من أننا نعرف أن **الله** هو من أخذ بزمام مبادرة البحث عن الهالكين التائهين، إلا أن بعضًا ممَّن وُجِدوا وصُولِحوا يعتقدون أنهم شاركوا في عملية المصالحة حتى ولو كان ذلك عن طريق طلب المساعدة أو مد أيديهم نحو **الله**.

لكن الموتى لا يستطيعون أن يفعلوا أي شيء لمساعدة أنفسهم؛ لا يستطيعون أن يصرخوا طلبًا للمساعدة، لا يستطيعون أن يقيموا أنفسهم ولا يستطيعون أن يمدوا أيديهم نحو **الله**، لكنهم يحتاجون إلى أن يفعل **اللهُ** كلَّ شيء لهم، ولهذا يجب أن يكون الخلاص بنعمة **الله** وحدها.

يحتاج هؤلاء إلى يسوع الذي جاء كأب سماوي عاملاً من أجل الميلاد السماوي لخليقةٍ جديدةٍ كي يعطيهم الحياةَ الجديدةَ التي أتى بها من خلال الصليب.

ويحتاجون إلى ذلك الجانب من عمله المخلِّص على الصليب الذي جعل الحياة الأبدية متاحةً للجميع بالمجان. يحتاجون إلى **الله** في نعمته أن يعطيهم هذه الحياة، وأن ينفخ روحَه القدوس في أرواحهم الميِّتة، وأن يضع بذرته السماوية في أعماق كيانهم.

هذا الجانب من الخلاص المتعلق بـ "الولادة" يمكن أن يكون إثباتًا نهائيًّا مقنعًا لحقيقة أن الخلاص هو بكامله عمل **الله** وحده. خلاصة القول بحسب الكتاب المقدس هو أننا إما أن نخلص بالنعمة أو لا نخلص على الإطلاق.

الولادة الجديدة

تعبيرات مثل "الميلاد الثاني" و"الولادة الجديدة" هي تعبيرات مألوفة بالنسبة لمؤمنين كثيرين. لكن قليلين هم من يفكرون بعمق بشأنها أو يحاولون أن يفهموها في سياقها الكتابي.

تنبأ إشعياء بكل جانب من جوانب الخلاص في أربع ترانيم العبد، كما وعد (إشعياء ٥٣: ١٠ – ١١) بأن يوم موت العبد ذلك اليوم الذي يُضرب فيه من أجل ذنوب شعب **الله**، سيرى "نسلاً" وسيرى "من تعب نفسه". بعض الترجمات تصيغ هذه الجزئية صياغةً صحيحةً فتقول "نسله".

ولأن الكتاب المقدس يوضِّح أن يسوع كان هو ذلك "العبد المتألم"، يمكننا أن نتوقع أن تصفه البشائر بأنه يرى نسلَه تعب نفسه في يوم موته. تسجل البشائر بالفعل أن حالة يسوع بعد ست ساعات على الصليب – ساعات ما نعتبره "ولادة روحية" – كانت تشبه حالة امرأة تعاني آلام المخاض. كان يسوع مشتاقًا إلى الماء مثل الإيل في (مزمور ٤٢: ١ – ٢).

يسجل (يوحنا ١٩: ٢٨ – ٣٠) صرخة يسوع "أنا عطشان" التي تمَّمت ما ورد في (مزمور ٢٢: ١٥ و٤٢: ١) (وعندما أجاب الجنود تمَّموا ما ورد في مزمور ٦٩: ٢١) ويسجل كذلك صرخة الابتهاج بالنصر. صرخ يسوع وهو يموت "أثناء عملية الولادة الروحية" قائلاً: "قد أكمل"؛ وذلك لأنه مثلما قال (إشعياء ٥٣: ١٠) رأى نسله نبويًّا – رأى ثمرة ذبيحته، الخليقة الجديدة، البشرية المُخلَّصة المولودة ثانيةً في طبيعة **الله**.

في (يوحنا ١٢: ٢٣ – ٣٣) يتنبَّأ يسوعُ بالعديد من جوانب موته المخلِّص على الصليب. شرح يسوع أن موته سوف يعلن مجدَ **الله** ويطرح رئيسَ العالم الشرير خارجًا وأنه سيلد حياته وطبيعته بطريقةٍ عجيبةٍ.

يَعِد يسوع ضمنيًّا في هذا النص النبوي المهم بأن موته على الصليب سينتج عنه ميلاد جمع كثرة من الناس ولدت فيهم طبيعته بنفس الطريقة التي تقع بها حبة الحنطة في الأرض وتموت كي تلد نفسها وطبيعتها.

خلفية العهد القديم

تنبَّأ العهدُ القديم بكل جانبٍ من جوانب الصليب التي تناولناها. وفكرة الولادة الثانية ليست استثناء.

توضح نصوص مثل (خروج ٤: ٢٢) و(تثنية ٣٢: ٦) و(هوشع ١١: ١) أن كل شعب إسرائيل كان يُعتَبَر الابن البكر لله. كما توضح نصوص مثل (٢ صموئيل ٧: ١٤) و(مزمور ٢: ٧ و٨٩: ٢٧) أن الشعب كان يفهم أن ملكهم هو ابن خاص لله.

يقول بعض القادة إن هذه المجموعة من النصوص تشير إلى "الاختيار القائم على العهد" أكثر ممَّا تشير إلى "الولادة الروحية"، لكن لا يمكن فصل هاتين الفكرتين. رأينا أن كل جانب من جوانب الخلاص إنما يرتبط بعهد الله وأن الوعد بالحياة الجديدة والولادة يقع في قلب كل العهود الكتابية. عهد الله مع إبراهيم ضمن له نسلاً عظيمًا وعهده مع موسى ضمن له شعبًا وعهده مع داود ضمن له نسلاً يحمل اسمه وعهده مع البشرية ضمن لنفسه نسلاً عظيم العدد، شعبًا مقدسًا وعائلةً سماويةً. كل هذا يدل على أن الله يعطي حياةً جديدةً وولادةً جديدةً حينما يعمل في إطار العهد.

(مزمور ٢) له أهمية خاصة حيث يشير إلى عهد الله المسياوي في الأعداد ٢، ٦ – ٩ ويربط بين "المسحة" و"الولادة" (begetting) من قِبَل الله (الكلمة الإنجليزية القديمة "beget" تعني "ينجب" وهي تشير إلى دور الذكر الخاص في عملية الولادة – منح البذرة – وليس إلى كل عملية الولادة). الله مسح يسوع كابنه الحبيب – إنه الابن الأزلي للآب الأزلي. رأينا في كتاب "معرفة الابن" أن "ولادة" الابن تشير إلى إعلان الله لبنوية يسوع عن طريق مسحه وإقامته من الموت وإجلاسه عن يمينه على العرش. الابن لم يصبح ابنًا من خلال هذه الأعمال؛ لأنه كان الابن دائمًا، لكن أعمال الله هذه أظهرت من هو.

لكن الربط بين "المسحة" و"الولادة" في (مزمور ٢)، بين إعطاء روح **الله** وبذرة **الله**، يدل على أن الشخص الذي "ولده" **الله** هو الشخص الذي "مسحه" بروحه. هذه العلاقة مع وعود العهود المسياوية تدل على أن هذه "الولادة" وهذه "المسحة" هما جزآن من عمل عهد **الله**.

يعبِّر (مزمور ٢) على مستوى معيَّن عن نظرةٍ ثلاثيةٍ تحقَّقت في يسوع: إنه ابن داود وهو ابن **الله** الوحيد والفريد وهو النسل الذي يتحدث عنه (تكوين ٣) – المسيح الممسوح بالروح.

لكن على مستوى أعمق يشير (مزمور ٢) إلى العلاقة بين عطية الروح وعطية الحياة الجديدة التي أعلن يسوعُ عنها في (يوحنا ٣) والتي أطلقها على الصليب وأعاد التأكيد عليها في (١ يوحنا ٢: ٢٠ – ٢٩).

يسوع ونيقوديموس

على الرغم من أن العهد الجديد يشير إلى فكرة "الحياة الجديدة" و"الولادة الجديدة" في نصوص مثل (تيطس ٣: ٥) و(١ بطرس ١: ٢٢ – ٢: ٣) و(١ يوحنا ٣: ٩)، إلا أن يسوع يتحدث عنها بوضوح في حديثه الشهير مع نيقوديموس الذي تم ليلاً والمُسجَّل في (يوحنا ٣: ١ – ٢١).

يبدو أن نيقوديموس كان واحدًا من الناس المذكورين في (يوحنا ٢: ٢٣ – ٢٥)، هؤلاء الذين آمنوا بيسوع بسبب الآيات التي كان يصنعها. ضمير المتكلم الجمع في(٣: ٢) يدل على أن نيقوديموس ربما كان المتحدث الرسمي باسم هؤلاء الأشخاص.

كانت نظرة يسوع لإيمانهم في (٢: ٢٤ – ٢٥) نظرةً سلبيةً، وقد كان هذا هو رد فعله المبدئي تجاه نيقوديموس: ينم توجُّه الرئيس في (٣: ٣)عى – على الرغم من نواياه الحسنة – عن فهم خاطئ لشخص يسوع.

إجابة يسوع على تحية نيقوديموس في (٣: ٣) هي سؤال ضمني بشأن دخول ملكوت **الله**. يشرح يسوع لنيقوديموس أنه لم يأتِ من **الله** بالطريقة التي يعتقدها، لكن مجيئه من **الله** يحمل ذلك المعنى الفريد أنه نزل من حضرة **الله** خصيصًا كي يرفع الناس إلى **الله**.

تعليم يسوع الأساسي في (يوحنا ٣) واضح وبسيط: الناس يأخذون جسدًا بشريًّا ويدخلون ملكوت العالم عندما ينجبهم آباؤهم وتلدهم أمهاتهم، وبنفس الطريقة يدخل الناسُ ملكوتَ **الله** فقط عندما يُولَدوا من **الله**.

الحياة البشرية تأتي من الآباء البشريين أما الحياة الأبدية فتأتي من الآب السماوي وتولد من خلال الابن الذي منحه الآبُ قوةَ إعطاء الحياة الجديدة.

كان نيقوديموس لا يزال يسيء فهم تعليم يسوع، ولذلك اعتقد أن الناس عليهم أن يمروا بولادةٍ جسديةٍ ثانيةٍ، لكن يسوع كان يشير إلى الوقت الذي تنبأ به العهد القديم، ذلك الوقت الذي سيُولَد فيه الرجال والنساء ثانيةً كأولاد **الله**.

لم يستطِع نيقوديموس فهم فكرة الولادة الروحية من **الله**، لذلك استمر يسوع في شرح الأمر بصورةٍ كاملةٍ.

مولود من الروح

إن أبسط اختبار لمعرفة ما إذا كان الشخص حيًّا أم لا هو التأكد من أنه يتنفس. كان يُعتَقَد في أيام يسوع أن النفس/الروح (وهما كلمة واحدة في العبرية) هي أساس الحياة.

لقد أعطى **اللهُ** حياةً جسديةً للبشرية عندما نفخ "نسمة/روح الحياة" في أنفه كما نقرأ في (تكوين ٢: ٧)، وبنفس الطريقة يحدث الموت الجسدي عندما يسترد **الله** نسمته/روحه، نرى ذلك في (تكوين ٦: ٣) و(أيوب ٣٤: ١٤) و(جامعة ١٢: ٧).

شرح يسوع لنيقوديموس أن الحياة المادية بدأت عندما وضع **الله** نسمته/ روحه للبشرية. أصر يسوع في (يوحنا ٣: ٥ – ٨) على أنه ما من أحد يستطيع أن يدخل ملكوت **الله** إن لم يكن "مولودًا من الروح" أي إن لم يأخذ نسمة حياة **الله**.

كان يجب أن يكون نيقوديموس مدركًا للكثير من هذه الأمور باعتباره عضوًا في السنهدريم؛ وذلك لأن العهد القديم تنبَّأ عن إعطاء الروح في (إشعياء ٣٢: ١٥ و٤٤: ٣) و(حزقيال ٣٦: ٢٥ – ٢٦) و(يوئيل ٢: ٢٨ – ٢٩) على سبيل المثال.

(يجب أن تساعدنا كلمات يسوع في (يوحنا ٣) على فهم أن "الولادة الثانية" و"أخذ الحياة الجديدة" و"الولادة الجديدة" و"الولادة من الروح" هي تعبيرات مختلفة تعبِّر عن نفس الإنجاز الذي حقَّقه يسوعُ على الصليب).

يقابل يسوع في (يوحنا ٣: ٦) بين الجسد والروح بنفس الطريقة التي قابل بها بين الولادة الأرضية والولادة السماوية. ليست لهذه المقابلة أية علاقة بالتقسيمات المُفتَرَضة داخل الكيان البشري، كما أنها ليست مقابلةً بين ما هو مادي وما هو روحي؛ لأن "الجسد" هنا يشير إلى الإنسان كما يولد في العالم، وبالتالي فهو يحتوي على شيء مما هو مادي ومما هو روحي. لكن يسوع كان يقابل بين البشر "كما هم" و"كما يمكن أن يكونوا" عندما يأخذون الحياة الجديدة ويولدون ثانيةً من الروح.

أوضح يسوع لنيقوديموس في (يوحنا ٣: ٧ – ٨) أن هناك شيئًا غامضًا جدًّا عن الولادة الثانية من الروح. استند يسوع إلى (جامعة ١١: ٥) واستخدم صورة الريح كي يوضِّح أن هذا الغموض لا يُنقِص من حقيقة عمل الروح.

على الرغم من أنه يمكننا أن نرى تأثير الريح، إلا أننا لا نستطيع أن نرى الريح، وبنفس الطريقة يمكننا أن نرى هؤلاء الذين وُلِدوا ثانيةً دون أن نرى متى أو كيف عمل الروح فيهم ودون أن نعرف لماذا وُلِد شخصٌ ما ثانيةً بينما لم يولد آخر.

رفع الابن

شرح يسوع في (يوحنا ٣: ١ – ٨) أن دخول ملكوت **الله** يتطلَّب أن يعطي **اللهُ** الإنسان نسمة أو روح حياته، وأن هذا أمرٌ لا يمكن أن يتمِّمه **إلا الله**.

مازال نيقوديموس لا يفهم الأمر؛ حيث سأل يسوع في (٣: ٩) عن كيفية حدوث ذلك. أكد يسوع لنيقوديموس أنه لا يعرف حقًّا عما يتحدث عنه لأنه أتى من فوق، كما أصر على أنه هو فقط المؤهل لإجابة مثل هذا السؤال؛ لأنه لا يوجد أي شخص آخر قد صعد إلى السماء.

وعلى الرغم من أن عددي ٣ و١٦ هما أشهر عددين في (يوحنا ٣)، إلا أن عددي ١٤ – ١٥ هما مفتاح الأصحاح وقلب بشارة يوحنا وجوهر "الخلاص والحياة الجديدة". يشرح يسوع في (٣: ١٤ – ١٥) أن الحياة الجديدة يمكن أن تأتي فقط عن طريق رفع الابن على الصليب. وهذا يعني أن "الحياة الجديدة"، "الولادة الجديدة"، "الولادة الثانية"، "الولادة من الروح" وهكذا، ممكنة فقط عن طريق موت الابن.

(يوحنا ٣: ١٤) هو أول ثلاثة تصريحات في بشارة يوحنا تشير إلى "رفع" أو "تمجيد" يسوع. يرد التصريحان الآخران في (٨: ٢٨ و١٢: ٣٢ – ٣٤) (علينا أن نلاحظ هنا أن إشعياء تنبَّأ أيضًا عن هذا الجانب من الخلاص في ترانيم العبد – ٥٢: ١٣).

الكلمة اليونانية "hupsoo" التي تعني "يرفع" أو "يمجد" ترد أيضًا في (أعمال ٢: ٣٣ و٥: ٣١) كي تشير إلى صعود يسوع. الكلمة العبرية المقابلة لها "nasah" تعني أيضًا الموت والتمجيد كما في (تكوين ٤٠: ١٣، ١٩). وهذا يعني أن رفع يسوع يبدأ بموته ويبرر علنًا بقيامته ويكتمل بصعوده.

يخبر يسوع نيقوديموس في (٣: ١٥) أن رفعه على الصليب كما رفع موسى الحية في البرية سيؤدي مباشرةً إلى عطية الحياة الأبدية لكل من يؤمن به.

يَعِد يسوعُ نيقوديموس في هذا النص وعدًا بالغ الأهمية بأنه سيعطي حياة جديدة أبدية عندما يُرفع ويُمجَّد. بالطبع ستكون هذه الحياة الأبدية

هي حياة أولاد **الله**، الحياة المولودة من فوق، الحياة المولودة من الروح، نسمة **الله** ذاته.

الإيمان بالابن

الإيمان هو أحد أعظم الأفكار في بشارة يوحنا. يقول يوحنا في (٢٠: ٣١) إن البشارة كُتبت بهدف أن تقود الناس إلى الإيمان بيسوع المسيح حتى يكون لهم حياة في اسمه، وهذا هو السبب وراء التركيز على تصوير توما "الشكاك" في بشارة يوحنا ولذروة التصريح الدرامي لتوما عن إيمانه في (٢٠: ٢٧ – ٢٨).

يخبر يسوعُ نيقوديموس في (يوحنا ٣: ١٥) أن الحياة الأبدية تأتي عن طريق الإيمان به، لكن يجب أن نكون واضحين بشأن أن هذا الإيمان يجب أن يكون في الشخص الذي رُفع. يستشهد الكثيرون بما ورد في (يوحنا ٣: ١٦) دون أن يدركوا أن هذا العدد يجب أن يُفهم في سياق عددي ١٤ و ١٥.

الحياة الأبدية التي يَعِد بها يسوعُ هؤلاء الذين يؤمنون هي حياة مقتصرة على هؤلاء الذين يؤمنون بالذي رُفع مثلما رفع موسى الحية في البرية. وهذا يعني أن إيماننا لن يؤدِّي بنا إلى حياةٍ جديدةٍ إن لم يكن إيمانًا مؤسَّسًا على الصليب.

يسجل (سفر العدد ٢١: ٤ – ٩) كيف كان الخطاة الذين لدغتهم الحيَّات من شعب إسرائيل والذين كان مُقدَّرًا لهم الموت حتمًا يخلصون من موت معيَّن فقط بالنظر إلى الحية النحاسية التي صنعها موسى ورفعها على عمود كعطية **الله** الكريمة للحياة في ساعة الدينونة. لو آمن الشعب بعطية **الله** وعبَّر عن هذا الإيمان بالنظر إلى الحية النحاسية المرفوعة على العمود يحيون، وإذا لم ينظروا ماتوا بسم الحيات.

بنفس الطريقة، أتى يسوعُ من السماء كعطية **الله** الكريمة للحياة في يوم الدينونة من أجل كل الذين يموتون نتيجةً لعمل الحية القديمة. هو أيضًا رُفع

على عمود كوسيلة **الله** للحياة. لو أظهر الناسُ إيمانَهم بعطية **الله** الكريمة وذلك بالنظر إلى الشخص المرفوع على الصليب، يأخذون الحياة الأبدية. لكن إن لم ينظروا إلى الصليب يهلكون.

يركز يسوع من (يوحنا ٣: ١) إلى (٣: ١٥) على نيقوديموس وعلى عطية الحياة الجديدة للأفراد من الرجال والنساء. لكنه يوضح في (٣: ١٦ – ١٧) كيف أن عطية الحياة الجديدة هي لكل العالم. يوضح يسوع أن **الله** لم يشأ أن يلد مجرد عدد قليل من الأولاد في طبيعته، لكن الآب المخلص الذي ولدنا أراد أن يعطي هذه الحياة الجديدة لكل العالم.

الحياة الجديدة في المسيح

تسود فكرة الحياة الجديدة كتابات الرسولين يوحنا وبولس.

يقدِّم يوحنا الوحدانيةَ بين الآب والابن كنموذج لحياة المؤمن في **الله**، ويصف حياة المؤمن الجديدة من منطلق أن "يثبت" أو "يكون" في يسوع. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ٦: ٥٦ و١٤: ١٠ – ٢٤ و١٥: ١ – ١٠).

تعبِّر صورةُ يسوع عن الكرمة في (يوحنا ١٥) بوضوح عن مركزية حياة **الله** المتفقة في حياة شعبه. يكون لـ (يوحنا ١٥: ٧) معنى فقط إذا كانت حياة وطبيعة وفكر **الله** تُسكب داخل المؤمنين.

يوضِّح يوحنا أن القصد من عطية حياة **الله** هو إنتاج خصائص وطبيعة حياة **الله** نفسه. يجب على هؤلاء الذين يثبتون في المسيح أن يسيروا كما سار ويعيشوا كما عاش. نرى ذلك في (١ يوحنا ٢: ٥ – ٦، ٢٤، ٢٧ – ٢٨ و٣: ٦، ٢٤ و٤: ١٢ – ١٣، ١٥ – ١٦ و٥: ٢٠).

"الحياة الأبدية" التي يصفها يوحنا في (٣: ١٥ – ١٦ و٦: ٤٠، ٤٧ و٢٠: ٣١) و(١ يوحنا ١: ٢ و٢: ٥ و٥: ٢٠) تشير بالفعل إلى وجودٍ روحي في حضرة **الله** بعد الموت الجسدي نفوز به مُقدَّمًا بعد الإيمان بالذي رُفِع على الصليب، لكنها لا تشير إلى هذا فقط.

الحياة الأبدية بالنسبة ليوحنا هي أيضًا حقيقة حاضرة (وإلا كان تعليمه عن الثبات في المسيح لا معنى له على الإطلاق). الحياة الأبدية هذه هي طريقة جديدة للتواجد في الحاضر ممَّا يعني أن هؤلاء الذين يؤمنون بالذي رُفع على الصليب بإمكانهم أن يشتركوا في حياةٍ على الأرض تضم كل خصائص حياة **الله** السماوية.

نرى نفس الحقيقة لكن من زاوية نقاط تركيز مختلفة إلى حدٍّ ما في كتابات بولس. يشير بولس إلى "الحياة الأبدية" باعتبارها أمر مستقبلي في الأساس كما في (رومية ٢: ٧ و٥: ٢١ و٦: ٢٢) و(غلاطية ٦: ٨). لكن هذا لا يعني أن بولس يرفض فكرة الحياة الأبدية كأمر يُختَبَر شخصيًّا في الحاضر. كل ما هنالك أنه يستخدم مجموعةً من التعبيرات المختلفة ليصف حياة المؤمن الجديدة على الأرض.

على سبيل المثال، يشير بولس إلى حياتنا الجديدة باعتبارها:

- اتحاد مع المسيح.
- في المسيح.
- في الروح.
- المسيح فينا.
- الروح فينا.
- داخل المسيح.
- لبس المسيح.

يبدو أن بولس يستخدم هذه التعبيرات في بعض الأحيان الواحد مكان الآخر، لكنها جميعًا تشير دائمًا إلى الحياة التي أوجدها **الله** على الصليب، تشير إلى ولادة طبيعة **الله** من خلال الروح ومن خلال موت الابن.

وبالرغم من كل ذلك نجد أن تعبيرات بولس هذه تعبِّر عن عمليةٍ مستمرةٍ لاختبار حياة **الله** الجديدة هنا على الأرض.

نرى هذه الحقيقة في كل عملية الخلاص: عطيتا الغفران والمصالحة على الصليب تظهران في حياةٍ دائمة التميُّز بالغفران والمصالحة. والقصد من الإعلان الكامل عن **الله** في الصليب هو أن يؤدي إلى حياةٍ تستمر في إعلان طبيعة **الله** الباذلة المضحِّية. ونصر المسيح على الصليب يجب أن يؤدِّي أيضًا إلى حياة تتميَّز بالنصر المستمر، وكذلك عطية الحياة الجديدة على الصليب يجب أن ينتج عنها حياة تتميَّز دائمًا بحياة **الله** (بل وتنمو فيها دائمًا).

عطية الحياة الجديدة ليست مجرد ضمان "لدخول السماء" (على الرغم من أنها كذلك)، إنها أيضًا عطية نسمة **الله** التي تهدف إلى تغييرنا إلى صورة **الله** حتى نستطيع أن نعكس طبيعته.

الاتحاد مع موت وحياة المسيح

تتضمَّن معظم صور بولس عن الحياة الجديدة فكرةَ التوحُّد مع موت المسيح وكذلك الاندماج في حياته.

تتَّضح هذه الفكرة بصورةٍ خاصة في (رومية ٦) حيث يتحدث بولس عن المعمودية باعتبارها رمز وختم لاتِّحادنا مع المسيح في موته وقيامته. يقول بولس في هذا الأصحاح إنه كما أن موت المسيح كان حدثًا تاريخيًّا، هكذا أيضًا اتحاد المؤمنين مع موته يجب أن يكون تاريخيًّا.

يقول بولس إنه عندما مات المسيح على الصليب مات معه أيضًا كل الذين سيتَّحدون به بعد ذلك، وهذا يعني أننا نتَّحد فوريًّا مع موتٍ حدث عندما وضعنا إيماننا في المسيح على الصليب. يجب أن يكون واضحًا أن موت الذات هو أمر ضروري قبل أن نتمكَّن من الاشتراك في حياة يسوع المُقَامَة.

رأينا أن انتصار المسيح على الصليب قد مكَّننا من أن نشترك في نصره، لكن هذا أصبح ممكنًا لأن **الله** وحَّدنا مع المسيح في نوعٍ جديد من الحياة ليس لجسد الخطية فيه السلطان الذي كان له قبلاً؛ لأنه صُلِب حتى الموت.

ولهذا السبب، يحثنا بولس في (رومية ٦: ١١) على أن نعتبر أنفسنا أمواتًا عن الخطية وأحياءً لله – وهذه هي الحقيقة الواقعة وليس أمرًا متخيَّلاً من الناحية القانونية.

على الرغم من أن استخدام بولس لرمز المعمودية في (رومية ٦) يشير إلى اتحادنا في موت المسيح، إلا أنه يركز أكثر على اتِّحادنا معه في حياة قيامته.

إن حقيقة قيامة يسوع التاريخية كانت إثباتًا مجيدًا لموته المخلِّص، وهذا يوضِّح أن تغيُّرًا كونيًّا قد حدث على الصليب، وأن هذا التغيُّر يظهر الآن عن طريق أسلوب حياةٍ جديدةٍ مُقَامة. اتِّحادنا مع المسيح – من خلال عطية الحياة الجديدة – يعني أن نتبع أسلوبَ حياة قيامة يسوع ونحياه هنا على الأرض.

في اللّه

عندما يصف بولس في (٢ كورنثوس ٥: ١٧) حياةَ المؤمن الجديدة "في المسيح" بأنها "خليقة جديدة"، فهو يشير إلى التغيير الثوري الذي يحدث عندما يقبل شخصٌ ما حياةَ الله الجديدة ويؤمن بالذي رُفِع على الصليب.

يستخدم بولسُ تعبيرَ "في المسيح" كي يعبِّر عن فكرة أن ما حدث للمسيح يؤثِّر على كل مؤمن فيه. يحصل المؤمنُ على "الخليقة الجديدة" لأنها حدثت للمسيح نتيجةً للصليب، إنها تحدث لنا لأننا متَّحدون معه بمعجزة النعمة.

يستخدم بولسُ تعبيرَ "في المسيح" في رسائله كثيرًا كي يوضِّح لنا أن حياتنا الجديدة تعتمد اعتمادًا كليًّا على المسيح، كما تعتمد على اتِّحادنا وشركتنا معه.

يصف بولسُ كلَّ جانبٍ من جوانب الحياة المسيحية سواء الفردية أو الجماعية بأنه "في المسيح" – فداؤنا في الماضي وعملنا في الحاضر وميراثنا في المستقبل، كلها "في المسيح"، نرى ذلك على سبيل المثال في

(رومية ٣: ٢٣ و٨: ١، ٣٩ و١٦: ٣ – ١٢) و(١ كورنثوس ١: ٥ و٤: ١٠، ١٥، ١٧ و١٥: ٢٢) و(٢ كورنثوس ٢: ١٧ و٥: ١٧ و١٣: ٤) و(فيلبي ١: ١، ١٣ و٢: ١ و٤: ١٣) و(كولوسي ٢: ١٥) و(١ تسالونيكي ١: ١ و٢: ١٤).

قلنا في كل سلسلة "سيف الروح" إن الكتاب المقدس يعتَبِر الحياة المسيحية حياة يهيمن عليها الروحُ. يقول بولس في (رومية ٨: ٩) إن المسيحيين المؤمنين ليسوا في الجسد بل في الروح، ويقول عن الروح إنه روح **الله** وروح المسيح، وهذا يوضِّح أن تعبيري "في الروح" و"في المسيح" يعبِّران عن نفس الفكرة التي هي حياة المؤمن الجديدة في **الله**.

رأينا أن تغيير الحياة الجديدة الثوري الذي تمَّ في المسيح قد حدث فقط من خلال الروح.

اللّه الساكن فينا

إن فهم بولس للحياة الجديدة التي ينتجها **اللهُ** فينا هو فهم غني جدًّا لدرجة أنه يكمل مبدأه الأساسي "في المسيح" بمبدأ ثاني هو "المسيح فينا". وبنفس الطريقة يكمل فكرته الشائعة "في الروح" بفكرة "الروح فينا".

النعمة ظاهرة جدًّا في هذه الأفكار: من الواضح أن المبادرة خارجة عن نطاق تحكُّمنا وأن شخصًا آخر هو من يقوم بها. هذه هي أكثر صور بولس عن الحياة الجديدة فعالية. نرى ذلك على سبيل المثال في (رومية ٨: ٩) و(٢ كورنثوس ١٣: ٥) و(غلاطية ٢: ٢٠) و(أفسس ٣: ١٧) و(كولوسي ١: ٢٧).

(رومية ٨) هو نص بولس الكلاسيكي عن سكنى **الله**. يؤكد بولس في (٨: ٩) أن الحياة الجديدة هي عكس الحياة القديمة في الجسد وأنها نتيجة سكنى الروح.

الروح الساكن فينا يدل ضمنًا على وجود أسلوب حياة جديد تمامًا؛ فمن ناحية، يمتلك الروحُ المؤمنَ الذي يصبح هيكلاً جديدًا للروح. وطبقًا لبولس هذه السكنى هي التي تضمن لنا مكانتنا الروحية وحياتنا الجديدة وبنوتنا

الأبدية، نرى ذلك على سبيل المثال في (رومية ٨: ١٦) و(١ كورنثوس ٣: ١٦ و٦: ١٩) و(٢ كورنثوس ١: ٢٢ و٥: ٥).

كل ما في الأمر هو أن **الله** لا يضع الحياة الجديدة بداخلنا، وإذا لم يضع روحَه داخلنا، فلن تكون لنا حياة جديدة بل سنبقى في الجسد موتى وغير مُخلَّصين.

نخلع ونلبس

يصف العهدُ الجديد نبذَ الحياة القديمة واعتناقَ الحياة الجديدة بأنها لحظة تاريخية حدثت في الجلجثة. وقد انضممنا نحن إلى المرفوع على الصليب بالنعمة بالإيمان، نرى ذلك في (غلاطية ٣: ٩ – ١٠). لكن العهد الجديد يتحدث كذلك عن "النبذ والاعتناق" كعمليةٍ مستمرةٍ تمثِّل في حد ذاتها صفةً من صفات الحياة الجديدة، نرى ذلك في (كولوسي ٣: ١٢ – ١٤).

وهذه العملية تشبه ذبيحة المسيح المضحِّية. لقد تمَّت هذه الذبيحة مرةً واحدةً وإلى الأبد على الصليب من أجل التكفير عن خطايانا، لكنها هي دائمًا أساس حياة القيامة التي نتشارك فيها.

يكتب بولس عن لبسنا للمسيح في (رومية ١٣: ١٤) و(غلاطية ٣: ٢٧). في (رومية ١٣: ١٤) يتحدث بولس عن لبس المسيح كأمر مضاد لسيطرة الجسد وشهواته علينا. لبس المسيح هو طريقة جديدة للحياة ومعناه أن نعيش وفقًا لأسلوب حياة المسيح.

لكن في (غلاطية ٣: ٢٧) يستخدم بولس رمزَ المعمودية مرةً أخرى كي يصف الحياةَ الجديدةَ. يبدو الأمرُ كما لو أن هؤلاء الذين يعتمدون يلفون أنفسَهم بثياب المسيح الجديدة كي يدخلوا إلى نطاقٍ جديدٍ من الحياة.

يستخدم بولسُ كذلك صورةَ اللبس المجازية هذه في (رومية ١٣: ١٢) و(أفسس ٦: ١٠) لكي يشير إلى طرق جديدة للحياة. لكن (أفسس ٤: ٢٤) هو أهم استخدام له لهذه الصورة المجازية.

لا يقول بولس في هذا النص إن الإنسان الجديد يُفرَض فوق العتيق، لكنه يتطلَّب تحوُّلًا تدريجيًّا ينتج أكثر فأكثر صورة قداسة الله. بنفس الطريقة، تتضمَّن عملية "اللبس" في (كولوسي ٣: ١٢ – ١٥) تحوُّلًا ناميًا نحو الرأفة واللطف والتواضع والوداعة وطول الأناة والمحبة.

يؤكد بولس كذلك على أهمية خلع طرق الحياة العتيقة في (رومية ١٣: ١٢) و(أفسس ٤: ٢٢ – ٣١) و(كولوسي ٣: ٨). الخلع ليس شرطًا مسبقًا للبس؛ لأن في هذا إلغاء لمبدأ النعمة. لكن يمكننا فقط خلع القديم بمجرد أن نلبس الجديد. وعطية حياة الله هي التي تمكِّننا من البدء في خلع طرق الحياة العتيقة والعيش بحسب حياة القيامة التي يهبها الله.

في وسط كل هذا، يحذِّرنا بولس في (أفسس ٤: ٣٠) من إحزان الروح. علينا أن نتذكر أن حياة الله الجديدة هي ممكنة فقط من خلال سكنى الروح فينا. والذين يملكون حياة الله الجديدة عليهم أن يكونوا حسَّاسين فيما يتعلق بمطالب الروح تجاه علاقتنا بطرق الحياة العتيقة.

لقد أنتج فينا عملُ خلاص الله – من خلال موت ابنه على الصليب – حياةً جديدةً، أنتج حياة الله في خليقةٍ جديدةٍ. لكن هذه الحياة الجديدة لا توجد هكذا تلقائيًّا؛ حيث إنها علاقة حية وشراكة حية نحتاج فيها إلى العون المستمر للروح والكلمة حتى نتمتَّع بفوائد حياة الله الجديدة وننمو نحو النضج الذي يريده الله. علينا أن نقدِّر هذه الفوائدَ باستمرارٍ ونستسلم لتأثيرها في حياتنا.

الجزء التاسع

بالنعمة من خلال الإيمان

اجتهدنا على مدار هذا الكتاب أن نؤكد على ذلك التعليم الكتابي الأساسي القائل إن الخلاص هو بالنعمة وحدها، بعمل **الله** وحده، بالإيمان وحده. لكن علينا أن نتذكر دائمًا أن الكتاب المقدس يحتوي على أكثر من رسالةٍ أكاديمية عن النعمة والإيمان.

علينا أن نتذكر أن الخلاص الكتابي يرد دائمًا في سياق العلاقات المختلفة التي أسَّسها **اللهُ** مع البشر. إن الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان ليس مجرد أمر نظري لكنه دائمًا علاقاتي؛ أي قائم على علاقة.

حاولنا أيضًا على مدار هذا الكتاب التأكيد على أن رسالة الخلاص ليست مقتصرةً على العهد الجديد. يجب أن يكون واضحًا لنا أن العهد الجديد يأخذ بفهم العهد القديم للخلاص ويعمِّقه ويجعل بعضَ جوانبه أكثر وضوحًا (كما يضيف له الكثيرَ ممَّا هو أفضل وجديد).

على سبيل المثال يكرِّر يسوعُ إيمانَ العهد القديم بأن **الله** وحده وليس الإنسان هو الذي يخلِّص، وذلك في الارتباط الذي يؤسِّسه بين الخلاص والملكوت. خلاص **الله** في العهد القديم يتم الحصول عليه فقط من خلال الثقة. كذلك يعلِّم يسوعُ أن الثقة هي أيضًا طريق الدخول إلى ملكوت **الله** المخلِّص. **الله** في كلتا الحالتين هو من يخلِّص ليس نظريًّا على المستوى التجريدي، بل عمليًّا على المستوى المادي في العملية التاريخية.

يسجل العهدُ القديم العديدَ من أعمال الخلاص المبنية على العلاقة (مثل الخروج) ودائمًا ما تضمَّنت هذه الأعمالُ إنقاذًا من الأعداء وجهدًا عظيمًا

من **الله** وشعورًا بالنصر والتكامل بين أفراد الشعب المُخلَّص وتبريرًا لثقتهم **في الله**.

ينطبق نفس الأمر على خدمة يسوع الخلاصية فيما عدا أن الأعداء الذين نخلص منهم هم أعداء روحيون ونتائج هذا الخلاص هي أيضًا روحية. كما أن عمل الخلاص الإلهي العظيم يتمثل في موت ابن **الله** الكفاري.

فهم موحَّد:

يوحِّد العهدُ الجديد خدمةَ يسوع الخلاصية مع أعمال **الله** الخلاصية في الماضي.

يعلِّمنا العهدُ الجديد أن يسوع أتى بآمال العهد القديم وأشواقه وتوقُّعاته ووعوده ونبوءاته عن الخلاص إلى مجال التجربة الحاضرة؛ فهو يعلن أن المسيا المسيح الممسوح قد أتى كي يتمِّم مقاصدَ **الله**، كما يعلن أن **الله** خلَّص وفدى شعبَه وأن ابن داود هزم أعداءَه وهو الآن يحكم في الأعالي.

طوَّر مثل هذا التوجُّه من فهم العهد القديم الموحَّد للخلاص والذي يتضمَّن:

- النظر للوراء – لما فعله **الله** مع شعبه في الماضي من خلال الفصح حين خلَّصهم من العبودية وقادهم إلى حياةٍ جديدةٍ في أرض الموعد.
- النظر في جميع الاتجاهات – لما كان **الله** يفعله في ذلك اليوم والتطلُّع إلى اختبارٍ أعظم للخلاص في الحاضر. كان الخلاص بالنسبة لإسرائيل يتضمَّن دائمًا اشتباكًا يوميًّا مع العدو وصعوبات في أرض الموعد وكذلك فهمًا أعمق للحياة المجتمعية والقومية في إسرائيل.
- النظر للأمام – لليوم الذي يأتي المسيا فيه ويخلِّصهم خلاصًا تامًّا نهائيًّا كاملاً ويجعل كل شيء صحيحًا وجديدًا.

يطوِّر العهدُ الجديد هذا التوجُّه "الماضي والحاضر والمستقبلي" للخلاص العلاقاتي، وهو توجُّه نحتاج إلى أن نفهمه اليوم بصورةٍ أعمق.

الخلاص في الماضي

ينظر المؤمنون إلى الخلاص على أنه حدثٌ تاريخي وقع في الماضي، حدث تام وقع مرةً واحدةً وإلى الأبد، وهي نظرة صحيحة. نعلم أن **الله** وحده هو من خلَّصنا من قبضة الموت ومن قبضة إبليس من خلال دم ذبيحة ابنه الذي مات بديلاً عنا؛ حيث لم يكن باستطاعتنا أن نحرِّر أنفسنا ممَّن يأسرنا ولا أن ندفع ثمنَ إثمنا.

نعلم أن **الله** وحده هو من انتصر وعالج اغترابنا عنه؛ لقد كنا منفصلين عن **الله** بسبب خطيتنا وكان هو منفصلاً عنا بسبب غضبه على خطيتنا ولم يكن هناك أي شيء يمكنه أن يقيم جسرًا بيننا.

لكن خطيتنا مُحيت وغضب **الله** أُرضي في موت المسيح الكفَّاري. يمكن **لله** أن ينظر إلينا الآن بفرحٍ وننظر نحن إليه دون خوف. لقد غُفرت خطيتنا و**الله** تم إرضاؤه.

نعلم أن **الله** وحده هو من برَّرنا وأعلن أننا غير مذنبين. لقد كنا مسؤولين عن خطايانا وكان علينا أن نتحمَّل لومَ عصياننا، كنا مذنبين ومدانين أمام **الله**.

لكن من خلال موت يسوع البدلي المعترف بخطايانا والحامل لخطايانا والذي توسَّط لنا مستنزفًا دينونة **الله** ومن خلال نسب برِّه لنا، أعلن **اللهُ** أننا أحرار إلى الأبد من كل لوم وباستطاعتنا أن نحيا في محضره.

كما نعلم أن **الله** وحده هو من أعطانا هبة الحياة الجديدة. لقد كنا عميانًا روحيًّا وبلا حياة روحيًّا. لم يكن هناك شيء بأيدينا حتى نفتح أعيننا أو نحيي أنفسنا وكان موقفنا ميئوسًا منه.

لكن الابن رفعنا وخاض في الكثير من الآلام كي يلد خليقةً جديدةً. لقد مات كحبة حنطة كي يعيد إنتاجَ حياته. ونفخ روحه فينا فولدنا ثانيةً من الروح.

كل هذه أفعال في زمن الماضي التام – أعمال تامة كاملة أنجزها **الله** وحده. إنها أحداثٌ تاريخية عملية ملموسة حقيقية مثل الفُلْك والخروج وكل أعمال الخلاص العلاقاتي العظيمة الأخرى التي حوَّلت وغيرت حياة شعب **الله** في الماضي.

لقد انتصر **الله** بنعمته في عمله ضد الخطية والدينونة والموت والشيطان. هو أُرضي ونحن غُفر لنا. لقد تبرَّرنا وافتُدينا وصُولِحنا ووُلِدنا ثانيةً في حياةٍ جديدةٍ. لقد خلُصنا وأعلن المسيحُ على الصليب بانتصارٍ أن كل شيء "قد أُكمِل".

الخلاص في الحاضر

لكن فهمنا وتجربتنا للخلاص العلاقاتي الكتابي الموحَّد يجب ألا يظل محصورًا في الماضي. **الله** لم يخلِّصنا فقط خلاصًا كاملاً تامًّا في الماضي، لكنه يخلِّصنا أيضًا في الحاضر خلاصًا تامًّا كاملاً.

يدعونا العهدُ الجديد إلى اختبار "تقديس" الخلاص والذي يعني "الانفصال" [عن العالم]. وهذه الدعوة هي أيضًا دعوةٌ مؤسَّسةٌ في العهد القديم.

فصل **الله** السبت والهيكل والأدوات المُستَخدَمة في الطقوس والكهنة واللاويين وحتى الشعب. لا يمكن لأحد أن ينفصل بواسطة التكريس الإنساني، فحق الفصل مُقتَصِر على **الله** وحده، وأيًّا كان ما يفصله فهو مقدس ليس لأنه حسن في حد ذاته، لكن لأنه فُصِل لأسبابٍ خاصة.

بنفس الطريقة، ينظر العهدُ الجديد إلى المؤمنين على أنهم "منفصلون" "مُقدَّسون" "مُكرَّسون" وهذا ليس مكافأةً لهم على خيرهم، لكن لأن **الله**

فصلهم كي يخدموه هو وحده ويخدموا مقاصده وحده. المؤمنون مدعوون إلى أن يكونوا هياكل وكهنةً. يجب أن تكون حياتهم مثل الأدوات المفيدة والسبت المقدس، ويجب أن يكونوا أعضاء في أمة جديدة.

لكن لو أننا تقدسنا لله، فيجب أن نتقدَّس بالله. لقد لبسنا إنسانًا جديدًا ، لبسنا المسيح. لكن علينا أن نستمر في لبسه. لقد صلبنا الطبيعةَ القديمةَ لكن علينا أن نستمر في صلبها كل يوم.

نظر الفكرُ المسيحي الإنجيلي إلى عنصر التقديس الاختباري الحاضر بثلاث طرق مختلفة:

- الفكر "الويسلي" أو "حركة القداسة" يشرح التقديس على أنه "محبة إلهية تطرد الخطية"؛ حيث تكون محبة الله الخالصة مسيطرةً على قلب المؤمن وحياته لدرجةٍ تطرد معها كلَّ الأعمال والتوجُّهات الخاطئة وتتحكَّم في كل الأفكار والكلمات والأعمال.

كان أتباع ويسلي يعتقدون أن المؤمن بعد الولادة الثانية يجب أن يمر باختبارٍ ثانٍ من "التقديس الكامل" أو "الكمال المسيحي". وهم يؤسِّسون هذا الرأي على بعض النصوص الكتابية مثل (١ يوحنا ١: ٧ – ٩ و٣: ٦ – ٩ و٥: ١٨) التي يقولون إنها تتحدَّث عن رجاء خلاصنا من كل الخطية في الحاضر.

- عادةً يشرح المُصلِحون التقديسَ من منطلق فكرة بولس عن الصراع الدائر داخل النفس البشرية والذي يتحدَّث عنه في (رومية ٧: ٧ – ٢٥) و(غلاطية ٥: ١٦ – ٢٦).

يقول المصلحون إن الصراعَ الدائرَ داخل المؤمن بين الجسد والروح هو ضد ناموس الله، لكنه يستمر حتى الموت؛ وذلك بسبب أن جوانب الملكوت منها ما هو "الآن" وما هو "ليس بعد"، لكنهم يعلمون أن هناك تنحيةً تدريجيةً للطبيعة القديمة تقوم بها الطبيعة الجديدة عن طريقة التوبة والإيمان والطاعة.

- يعلِّم الخمسينيون أن على كل المسيحيين أن يطلبوا ويقبلوا معموديةً روحيةً (تلك الموعود بها في أعمال ١: ٥ – ٨) تأتي بعد الولادة الثانية.

ويؤكدون على أن "مسحة" الروح القدس تُعطَى لنا كي تمنحنا قوة **الله** لإعلان البشارة وللحياة بحسب قداسة **الله** والحياة الجديدة التي يهبنا إياها. وعلى عكس الكثيرين من أتباع ويسلي والخمسينيين الأوائل المتأثرين بحركة القداسة)، لا يؤمن الخمسينيون أن المسحة تخلق "كمالاً تلقائيًّا بلا خطية" لكنها تعطينا قوةً إلهيةً تجعل من اختبار قداسة **الله** بصورة أعمقَ أمرًا ممكنًا.

كما لا يؤمن الخمسينيون – على عكس الكثيرين من المؤمنين الآخرين – أن **الله** يتوقَّع منهم أن يصارعوا ضد الجسد بقوتهم الخاصة، لكنهم يصرون على أن **الله** بالروح يمكِّنهم بالإيمان وبمسحة الروح من أن يتغلبوا على هجمات الجسد والشيطان، ويمكِّنهم من أن يحيوا في قداسة **الله** (لا يجب أن نفهم هنا أن الخمسينيين يقولون إن معمودية الروح والتقديس هما شيء واحد؛ لأنهما ليسا كذلك بالفعل).

نتناول التجربة الحاضرة للخلاص في كل سلسلة "سيف الروح" وخاصة في "ملك **الله**" و"المجد في الكنيسة" و"الإيمان الحي" و"معرفة الروح".

الخلاص في المستقبل

غالبًا ما نؤكِّد في هذه السلسلة على أن الملكوت هو "الآن" لكنه أيضًا "ليس بعد". لقد أكدنا مرارًا وتكرارًا على أن المسيح موجود في العالم الآن بواسطة الروح، لكنه سوف يأتي أيضًا، وأن الموت والشيطان قد هُزِما لكنهما لم يُدمَّرا بعد، وأننا أخذنا الخلاصَ الكامل، لكننا لم نأخذ الخلاص بكامله بعد وهكذا.

علينا كمؤمنين ألا ننظر للماضي فقط – إلى الصليب مسبِّحين وشاكرين **الله** على ما فعله، وألا ننظر للحاضر فقط – إلى ما يفعله الروح في حياتنا كي يجعلنا نشبه يسوع ولكي نتشارك معه في خدمته، بل علينا أن ننظر إلى المستقبل أيضًا – إلى يوم الخلاص الأخير عندما يعود يسوع ويدمِّر الموتَ والشيطانَ نهائيًّا وحين تجثو كلُّ ركبةٍ لرب الأرباب وملك الملوك وحين يؤسِّس **اللهُ** سماءً جديدةً وأرضًا جديدةً.

ليس من الغريب أن نجد هذا الجانب من الخلاص العلاقاتي مؤسَّسًا في العهد القديم؛ فقد تطلَّع الأنبياء إلى اليوم حين يأتي **الله** – الذي كان يزور شعبه مرارًا وتكرارًا – إليهم أخيرًا كي يدين الأشرارَ ويفدي الأبرياء ويطهِّر الأرضَ من الشر. وهم يسمُّون ذلك اليومَ "يوم الرب" أو "ذلك اليوم".

يقول الكتاب المقدس إن مجيء المسيح الأول هو إتمامٌ لرجاء العهد القديم وأن مجيئه الثاني سيكون تحقيقًا لهذا الرجاء. ما توقَّع العهد القديم أنه سيحدث في يوم واحد، يعلن العهد الجديد أنه سيتحقَّق في يومين؛ فمازال العهد الجديد يتطلع إلى يومٍ عظيم ونهائي للخلاص ويدعو هذا اليوم:

- يوم الرب (أعمال ٢: ٢٠) و(١ تسالونيكي ٥: ٢) و(٢ بطرس ٣: ١٠).
- يوم الرب يسوع (١ كورنثوس ٥: ٥) و(٢ كورنثوس ١: ١٤).
- يوم ربنا يسوع المسيح (١ كورنثوس ١: ٨).
- يوم يسوع المسيح (فيلبي ١: ٦).
- يوم المسيح (فيلبي ١: ١٠ و٢: ١٦).
- يوم **الله** (٢ بطرس ٣: ١٢).
- ذلك اليوم (متى ٧: ٢٢ و٢٤: ٣٦ و٢٦: ٢٩) و(لوقا ١٠: ١٢) و(٢ تسالونيكي ١: ١٠) و(٢ تيموثاوس ١: ١٨).
- اليوم الأخير (يوحنا ٦: ٣٩ – ٤٤ و١١: ٢٤ و١٢: ٤٨).
- المجيء الثاني (عبرانيين ٩: ٢٨).

يستخدم العهدُ الجديدُ العديدَ من الكلمات اليونانية لوصف يوم الخلاص المستقبلي هذا: كلمة "parousia" التي تعني "مجيئًا" أو "وصولاً" والمُستَخدَمة في (١ كورنثوس ١٦: ١٧) و(٢ كورنثوس ٧: ٧) تشير إلى زيارة حاكم. يسوع نفسه الذي صعد إلى السماء سيأتى ثانيةً في زيارةٍ إلى الأرض بشخصه وذلك في نهاية الزمان. وسوف يأتي بقوةٍ ومجدٍ كي يدمِّر ضدَّ المسيح، ويدمِّر الشرَّ ويقيم الموتى الأبرار ويجمع المفديين، نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال ١: ١١) و(متى ٢٤: ٣، ٢٧) و(٢ تسالونيكي ٢: ٨) و(١ كورنثوس ١٥: ٢٣) و(متى ٢٤: ٣١) و(٢ تسالونيكي ٢: ١).

وستكون عودته "apokalupsis" أي "كاشفةً" وذلك عندما يرى العالمُ كلُّه كمالَ المجد والقوة اللذين له، نرى ذلك في (فيلبي ٢: ٩) و(أفسس ١: ٢٠ – ٢٣) و(عبرانيين ١: ٣ و٢: ٩) و(١ بطرس ٤: ١٣).

كما ستكون عودته "epiphaneia" أي "ظاهرةً". ستكون عودته واضحةً للجميع وغير خافية على أحد كما نقرأ في (٢ تسالونيكي ٢: ٨) و(١ تيموثاوس ٦: ١٤) و(٢ تيموثاوس ٤: ١) و(تيطس ٢ : ١٣).

سيتميَّز يوم الخلاص الأخير بقيامة الراقدين في المسيح وتغيير الأحياء في المسيح على الأرض وتتميم تأسيس الملكوت وحدوث الدينونة الأخيرة والعقاب النهائي لضد المسيح والشيطان وغير المُخلَّصين؛ حيث سيُنفَون جميعًا من محضر **الله** وبركاته إلى الأبد.

كما ستظهر سماءٌ جديدةٌ وأرضٌ جديدةٌ من هذه الدينونة، وسيسكن شعبُ **الله** في هذه الأرض الجديدة بأجسادٍ مفديةٍ في علاقة شركةٍ كاملةٍ مع **الله**. عندها سيكتمل عملُ **الله** للخلاص نهائيًّا وسيجتمع عمل الخلاص الماضي والحاضر والمستقبلي معًا في الأبدية.

يمكننا أن نقول إن الخلاص المستقبلي يتعلق بالتواجد مع المسيح ومشاركته وحضوره والدخول إلى حياة قيامته وأخذ مكافآتنا وميراثنا

وترك آخر آثار للخطية وأخذ جسد القيامة الجديد وكذلك بشركةٍ كاملةٍ أبديةٍ لا تنتهي مع **الله**.

الإيمان وحده

عندما نفكر في قدر الخلاص، علينا أن نمسك أنفاسنا في رهبةٍ مقدسةٍ وفي شعورٍ بعدم استحقاقنا البشري؛ حيث نسأل: "كيف من الممكن أن يحدث مثل هذا الأمر للخطاة – لنا نحن؟"

ركَّزنا في هذا الكتاب على الإعلان الكتابي القائل إن الخلاص هو بالإيمان وحده وأنه عمل **الله** وحده. الخلاص هو فكرة **الله** ومبادرته، هو مشيئته وقصده الصالحان، وهو العمل الذي أتمَّه. الخلاص بكامله هو عمل نعمة **الله**.

لكن هذه ليست الصورة الكاملة للخلاص. رأينا أن **الله** لم يُجبِر آدمَ وحواءَ على إزالة أوراق التين ولبس أقمصة النعمة، لكنه في نعمته قدم الذبيحةَ الضرورية وأعطى الملابس الملطَّخة بالدم ومد يده بهذه الملابس مُقدِّمًا إياها لهذا الزوج من الخطاة المدانين، لكنه لم يجبرهما على قبولها.

بدلاً من ذلك، كان على آدم وحواء أن يؤمنا بالعقل أن عطية **الله** هي أفضل من عطيتهما، ثم كان عليهما أن يعملا بناءً على إيمانهما فيزيلا أوراقَ التين ويسمحا **لله** أن يُلبِسهما الأقمصةَ التي صنعها. لقد خَلُصا بالإيمان وحده.

حدث نفس الأمر مع نوح؛ **الله** لم يفرض فُلكَ النجاة على نوح، لكنه أراه فقط الطريق إلى الخلاص وطلب منه أن يؤمن بعطيته ثم توقَّع منه أن يتحرك بناءً على هذا الإيمان. خلُص نوح بالنعمة لكنه خلُص أيضًا من خلال إيمانه.

يسير هذا المبدأ في كل العهد القديم: **الله** يعمل دائمًا بالنعمة، لكنه لا

يفرض خلاصَه على الناس – لأنه يدعوهم إلى علاقةٍ حرة مُتبادَلة تتَّسم بالاحترام وتقوم على المحبة الواثقة.

الله في نعمته أعطى وعدَ الفصح وصنع الطريقَ عبر البحر الأحمر، ورفع الحيةَ النحاسيةَ في البرية وهكذا، لكن كان على الشعب دائمًا أن يصدِّق **اللهَ** ويؤمن به ثم يعمل بناءَ على هذا الإيمان. كان على أفراد الشعب أن يرشوا الدمَ على الأعتاب العليا لأبواب منازلهم كي يحيوا وأن يسيروا بين حائطين من الماء حتى يعيشوا وأن ينظروا إلى الحية حتى يحيوا وهكذا.

وهذا يعني أن خلاص إسرائيل كان خلاصًا بكامله قائمًا على النعمة. لكن الشعب حصل على هذا الخلاص عن طريق "العمل بناءً على تصديق **الله**"، عن طريق الإيمان. هذه العلاقة بين النعمة والإيمان كانت هي أساس علاقة إسرائيل مع **الله** القائمة على العهد.

وهذا لا يعني أن خلاصنا هو "بالعمل بناءً على الإيمان في طاعةٍ" على عكس مبدأ "الإيمان فقط". كان على الشعب في الأمثلة الكتابية السابقة أن يعملوا بناءً على إيمانهم كي يخلُصوا أو كي يحصلوا على بركات **الله** التي وعدها بهم. لكن حتى ذلك لم يكن تعبيرًا مباشرًا عن أن إيمانهم الفعَّال موجود حقًّا. في لحظةٍ ما من الزمان، آمنوا وهكذا "عبروا الخط" – حوَّلوا ثقتهم من أنفسهم إلى **الله**.

دعا يسوعُ الناسَ في العهد الجديد إلى أن يؤمنوا به "to believe in him" (رأينا في كتاب "الإيمان الحي" أن "to believe" في الإنجليزية هي الفعل من كلمة "faith" أي إيمان) يسوع المسيح، يسوع المسيا كان هو تجسيد النعمة، كان هو نعمة **الله** وخلاص **الله** حاضرين شخصيًّا.

أتى يسوعُ بالنعمة لكي يخدم ويخلِّص، لكنه لم يفرِض الخلاصَ على أي شخص. لقد دعا الناسَ إلى الإيمان بعطاء **الله** المخلِّص وإلى العمل وفقًا لهذا الإيمان. إننا مازلنا مُخلَّصين بالنعمة وحدها، ومازلنا نحصل على

الخلاص بالإيمان وحده. إننا مخلَّصون "بنعمته من خلال إيماننا" وهذا هو أساس علاقتنا مع **الله** المؤسَّسة على الصليب وعلى دم العهد.

الأعمال والإيمان

كان هناك دائمًا أناس يؤكِّدون على عنصر "العمل" في الإيمان ويقولون إنه أهم جزء من أجزاء الخلاص.

نظر هؤلاء إلى نوح على سبيل المثال واعترفوا بإيمانه **بالله**، لكنهم أصروا على أنه ما كان ليخلُص إن لم يقم بقطع الأشجار وتصميم الفُلك وبنائه وجمع الحيوانات وهكذا، يقولون إنه خلص بالنعمة والأعمال معًا.

كما نظروا إلى شعب إسرائيل وأقروا بإيمانه **بالله**، لكنهم أصروا على أن الشعب ما كان ليخلُص إن لم يقم بتقديم الذبائح ورش دمها على الأبواب. ويؤكدون مرةً أخرى هنا على أن إسرائيل خلُص بالنعمة والأعمال معًا.

وبنفس الطريقة أصر هؤلاء (عبر العصور وفي كل تقليدٍ من تقاليد الكنيسة) على أننا خلُصنا بنعمة **الله** من خلال أعمالنا. وهم يقولون إننا لو أردنا أن نحصل على عطية خلاص **الله** فعلينا أن نقوم بأعمال الإيمان؛ أي علينا أن نؤدِّي الواجبات الدينية ونتجنَّب الخطيةَ ونهتم بالمحتاجين ونعطي بسخاء وهكذا، ويضيفون أنه لكي يكون الإيمان المُخلِّص إيمانًا صادقًا يجب أن يكون مرتبطًا بالأعمال. الخلاص إذًا ليس بالإيمان وحده من وجهة نظرهم؛ لأن الأعمال تُعتَبَر شرطًا له.

لكن هذا الاعتقاد هو اعتقاد خاطئ؛ لأنه يتجاهل العنصرَ الأساسي في كل أمثلة العهد القديم عن أعمال **الله** المخلِّصة. نوح على سبيل المثال خلُص من الطوفان عن طريق دخول الفُلك. ونحن خلصنا من الدينونة الأبدية عن طريق "دخول" المسيح بالإيمان. حقيقة أن نوح كان عليه أن يبني فلكًا لخلاصه لا علاقة لها بتعليم العهد الجديد عن الخلاص. إننا لا نبني وسيلتنا للخلاص. كل ما نفعله هو أننا نؤمن بالمسيح وبعطية **الله** كاملة البناء

لخلاصنا. بنفس الطريقة خلص شعبُ إسرائيل من ضربة الموت عندما تصرَّف بإيمان وطاعة لكلمة **الله** عن خروف الفصح. لكن عمل الإيمان الأساسي كان هو رش الدم على الأعتاب العليا لأبواب منازلهم وقوائمها. وخلاصنا كذلك يأتي برش دم المسيح بالإيمان على حياتنا وبالثقة في المسيح وحده كي يخلِّصنا.

الإيمان هو العنصر الأساسي للخلاص في العهدين القديم والجديد. الطاعةُ تلي الإيمانَ لكن الإيمان وحده هو الذي يخلِّص، وقد رأينا أن إبراهيم هو نموذج ذلك الإيمان المُخلِّص.

الإيمان وإبراهيم

ينظر كلُّ الرجال والنساء إلى إبراهيم على أنه المثال الأَسْمَى للإيمان. كان شعب **الله** في القديم يعلمون أنهم أولاد إبراهيم، وشعب **الله** في العهد الجديد يعلمون أنهم أُظهروا كأولاد لإبراهيم. لماذا؟ الإجابة ببساطة هي بسبب الإيمان الذي هو العلامة الأساسية المميِّزة للمؤمن. يعلن بولسُ هذه الحقيقةَ بوضوح في (رومية ٤) و(غلاطية ٣).

(تكوين ١٥: ٦) هو أحد أهم الأعداد في الكتاب المقدس؛ حيث يوضح متى ولماذا أعلن **اللهُ** إبراهيمَ بارًّا. كان هذا عندما آمن إبراهيمُ بالرب ولأنه آمن بالرب.

وهذا يعني أن إبراهيم خلص (أُعلن بارًّا أمام **الله**) عندما آمن وأنه خلُص لأنه آمن. كان هذا البر عطيةً مجانيةً من إله النعمة لأن إبراهيم لم يكن بإمكانه أن يحصل عليها لنفسه كما لم يكن يستحقها وذلك بسبب خطيته في مصر. حصل إبراهيم من **الله** على عطية "الإيمان الاحتسابي" من خلال إيمانه بالرب.

لم تكن هذه العطية عطية "بلوغ حد الكمال" أو "سكب" لبر **الله** لأن إبراهيم استمر في الخطية حين تزوج من هاجر وحين كرَّر خطيته في مصر في

جرار، كما لم تكن عطيةً مشروطةً؛ لأن هذه الخطايا لم تؤثر على مكانته المبررة أمام **الله**.

طبقًا لفهم الكتاب المقدس الموحَّد للخلاص، كان (تكوين ١٥: ٦) هو اللحظة التي "خلُص" إبراهيم فيها. لكن كان عليه أن يستمر في الحياة في علاقته الجديدة مع **الله**، تلك العلاقة القائمة على الخلاص. كان عليه بعد أن "خلص" أن يمر بالصراع مع الجسد والمصاعب، وكان عليه أن يتطلع إلى تحقيق وعود خلاصه – إلى ذلك اليوم الذي "سيخلص" فيه والذي رآه جزئيًّا على الأرض في إسحاق. لكن كان عليه أن ينتظر "اليوم الأخير" الذي سيرى فيه كلَّ جماعة نسله في الإيمان.

من الواضح هنا أن "الأعمال" هي جزء من حياة العهد، جزء من "الخلاص في الحاضر"، لكنها ليست جزءًا من "الخلاص في الماضي" وليست شرطًا "للخلاص في المستقبل" (وذلك على الرغم من أنها سوف تُكافَأ في اليوم الأخير). وهذا يعني أنه بإمكاننا أن نقول إننا نخلص بالإيمان وبالإيمان وحده. كم نبتعد عن حقيقة الخلاص بالنعمة عندما نسعى إلى إضافة الأعمال إلى الإيمان كشرط للخلاص! إننا لا نصنع أعمالاً حسنةً كي نخلص وكي نضمن خلاصنا ونضمن استمرارنا في الخلاص، لكننا نصنع أعمالاً حسنةً لأننا خلصنا. أعمالنا الحسنة هي نتيجة "الإيمان العامل بالمحبة". بعبارةٍ أخرى، إنها أعمال حياة مملوءة بالامتنان لما فعله **الله** لأجلنا كي يخلِّصنا بالنعمة. هذا هو أساس كل وصية في العهد الجديد تحثنا على الحياة المقدسة في يسوع كمؤمنين، نرى ذلك على سبيل المثال في (لوقا ٧: ٤٧) و(غلاطية ٥: ٦) و(رومية ٦: ١ – ٢ و٧: ٤ و١٢: ١) و(أفسس ٤: ١ و٥: ١ – ٢) و(تيطس ٢: ١١ – ١٤) و(يعقوب ١: ٢٥) و(١ بطرس ١: ١٣ – ١٦) و(١ يوحنا ٢: ٥ و٣: ٢٢).

يحثنا يسوعُ في كل حديثه مع نيقوديموس على أن "نؤمن" حتى نخلص من الهلاك ولكي نأخذ الحياةَ الأبدية. كذلك كُتبت بشارة يوحنا لكي "نؤمن"

وتكون لنا حياة في اسم يسوع، لكننا مدعوون – بعد أن نحصل على حياة الخلاص بالنعمة، وبواسطة الإيمان فقط – أن نستمر في الالتزام بهذه الحياة المُخلَّصة الجديدة من خلال طاعة ملؤها الإيمان، ليس كشرطٍ للحصول على الخلاص في الماضي لكن كوسيلةٍ للتمتُّع ببركات الخلاص في الحاضر والمستقبل. نتناول هذه الحقيقة بتفصيل أكثر في كتاب "الإيمان الحي".

الإيمان والأعمال

بعد أن رأينا أننا نخلص بالإيمان، وبالإيمان وحده، سيكون من المفيد أن نلقي نظرةً أكثر قربًا على العلاقة بين الإيمان والأعمال. فهمنا حتى الآن أن الأعمال ليست ضروريةً للخلاص، وأننا نخلص بغضِّ النظر عن كل شيءٍ فعلناه وكل شيء من الممكن أن نفعله، وفهمنا أن أعمالنا – بناءً على ذلك– إنما تنبع من إيماننا كتعبيرٍ طبيعي عن امتناننا **لله** على الخلاص الذي منحنا إياه. إنها أعمال نصنعها بالإيمان؛ أي بناءً على رغبتنا في إرضاء **الله**، ونصنعها في محبةٍ ردًّا على النعمة التي أخذناها. إنها أعمال يعطينا إياها الروحُ القدس وليست نابعةً من مطالب الناموس الذي تحرَّرنا منه.

لقد نشأ هذا التشوُّش لدى البعض بشأن قضية الإيمان والأعمال بسبب التفسير الخاطئ لتعليم يعقوب في رسالته (٢: ١٧ و٢: ٢١) عن أن "الإيمان بدون أعمال ميت". فهم البعضُ هذا التصريح على أن معناه هو أن الإيمان بدون أعمال ليس إيمانًا حقيقيًّا مخلِّصًا، واستنتجوا أن الإيمان الحقيقي– أي الإيمان الذي يخلِّص – يجب أن يرتبط حتميًّا بالأعمال، وهذا معناه أن أعمال الإيمان ضرورية للخلاص. لكن يعقوب لا يناقض بولس؛ فكل ما يقوله يعقوب هو إن الإيمان بدون أعمال هو إيمان عديم الجدوى لا يساعد الآخرين. وحتى يكون الإيمان نافعًا في خدمة **الله** ومحبة الآخرين يجب أن يكون إيمانًا عاملاً.

التبرير بأعمال الإيمان الذي يتحدث عنه يعقوب في رسالته (٢: ٢١ – ٢٦) هو تبرير أمام الناس وليس تبريرًا من الخطية أمام الله. إبراهيم وراحاب اللذان يذكرهما يعقوب "تبرَّرا" أو "ظهر استحقاقهما" أمام الناس عن طريق أعمالهما التي صنعاها في الإيمان. الإيمان المرتبط بالأعمال هو فقط الذي يمكنه أن يحقِّق ذلك. وتبقى تعاليم بولس: الله يبرِّر الفاجر الذي يؤمن بدون أعمال (رومية ٤: ٥).

الأمان الأبدي والمكافآت

لو أننا لا نخلص بالأعمال ولو أننا نخلص بالنعمة وحدها بواسطة الإيمان وحده، فهذا يعني أن المسيحي المؤمن آمن للأبد، وأن هؤلاء الذين يؤمنون بالبشارة حقًّا لن يهلكوا أبدًا مهما فعلوا (يوحنا ١٠: ٢٨). يعتمد خلاصنا بصورةٍ كاملة على ما فعله الله من أجلنا من خلال المسيح وليس على أي شيء فعلناه في الماضي أو سنفعله في المستقبل.

أنشأت هذه الحقيقةُ فكرةً غير مريحة لدى البعض. اعترض هؤلاء على حقيقة الأمان الأبدي الذي يتمتع به المؤمن على أساس أنها تفتح الطريق أمام انتهاك نعمة الله. لكن لكي تعمل النعمة كنعمة يجب أن تكون مُحصَّنةً ضد الانتهاك. هذا هو ما فهمه بولس في (رومية ٦: ١ – ٢). وعلينا أن نجيب عن السؤال الذي أورده في (رومية ٦: ١) وهو "أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟" بنفس إجابته وهي "حاشا".

القول بأن عقيدة الأمان الأبدي للمؤمن تعطيه رخصةً لفعل الخطية هو قول ينم عن فهمٍ خاطئ للتعاليم الكتابية. يجب أن نفهم هذه العقيدة دائمًا في سياق تأديبِ الله لنا وكرسي دينونة المسيح.

يوضِّح العهد الجديد أن هناك فرقًا بين الخلاص من الجحيم والحصول على مكافأة أمام كرسي المسيح في السماء. سيقف كلُّ المسيحيين وغير المسيحيين أمام العرش العظيم الأبيض. يتحدث (رؤيا ٢٠: ١١ – ١٥) عن

دينونة العرش هذه. غير المؤمنين سينالون عقاب الدينونة لكن المؤمنين الذين خلصوا بالفعل من الدينونة (رومية ٥: ١ و٨: ١) سيظهرون أيضًا أمام كرسي دينونة المسيح (٢ كورنثوس ٥: ١٠)، وهذا يعني أن كل الذين خلصوا سيذهبون إلى السماء لكن ليس كل الذين سيذهبون إلى السماء سيحصلون على مكافأة (يوحنا ٥: ٢٤) و(١ كورنثوس ٣: ١٢ – ١٥). نرى في (١ كورنثوس ٣: ١٥) أنه من الممكن أن نخسر المكافأة ومع ذلك نظل محتفظين بالخلاص. هذه الحقيقة هي ما يركز عليه بولس في (١ كورنثوس ٩: ٢٧) حين يقول إنه لن يصير مرفوضًا ويذهب إلى الأبدية هكذا بلا مكافأة.

كل هذا يعني أن الخطية لها نتائج أبدية خطيرة على حياة المؤمن. كما يعني التأديب الأكيد من الله في هذه الحياة وخسارة المكافآت السماوية في الحياة الأبدية، ويعني كذلك أن كل الأعمال سوف تُحرَق ولن تكون هناك أية مكافآت، لكنه لا يعني أبدًا خسارة الخلاص.

لكن مازال هناك من يقولون إن الخلاص يمكن أن يُفقد ويستندون في ذلك إلى بعض الأجزاء الكتابية مثل (عبرانيين ٦: ٤ – ٦ و١٠: ٢٦ – ٢٩). هناك بالفعل أجزاء قليلة من الأسفار المقدسة تظهر وكأنها تساند هذا الرأي. لكن عندما ندقق في هذه الأجزاء سنجد أنها لا تناقض فكرة الأمان الأبدي للمؤمن؛ حيث إنها لا تتحدث عن الخلاص في المقام الأول بل عن خسارة المكافآت في السماء.

ليس هناك في الواقع أي نص كتابي يقول إننا يمكن أن نخسر خلاصنا، ما يمكن أن نخسره هو ميراثنا أو مكافآتنا. لقد تبنانا الله إلى الأبد في عائلته وقبلنا كأولاد له ولن يلغي هذا التبني أبدًا. لكن هناك فرقًا بين البنوية والميراث. عندما نسيء استخدام حقوقنا كأولاد ربما نُحرَم من ميراثنا.

لكن الكتاب المقدس يعلمنا في النهاية أن الأمان الأبدي غير مشروط بسلوك المؤمن؛ لأنه إن كان كذلك فسيعود بنا إلى نطاق التبرير بالأعمال.

إننا نقف أمام **الله** واثقين تمامًا أن يسوع المسيح قد قام بكل ما هو مطلوب منا. لكننا سنقف يومًا ما أمام المسيح كي نعطي حسابًا عن أعمالنا. تلعب الأعمال من هذا المنطلق دورًا مهمًّا في الحياة المسيحية.

الخلاص غير مشروط والأمان الأبدي هو نتيجة لنعمة **الله**. **الله** ليس إلهًا ذا نزوات يمسك ممحاةً سماويةً يمحو بها أسماء المؤمنين من سفر الحياة عندما يخطئون ثم يعيد كتابة أسمائهم مرةً أخرى بقلم رصاص عندما يتوبون. إن تأكيد خلاصنا قائم كليةً على موت يسوع البدلي وعلى عطية بره بالإيمان. يا له من أمر رائع أن نعلم أننا لن نهلك أبدًا. علينا أن نبتهج كما ابتهج بولس في (رومية ٨: ٣٨ – ٣٩) بأنه ما من شيء يمكن أن يفصلنا عن محبة **الله** التي في المسيح يسوع، وأن تحثنا هذه الحقيقة على صد الخطية في كل جوانب حياتنا. يقول بولس في (غلاطية ٥: ١٣ و٦: ٨) إننا لا يجب أن نستخدم هذه الحرية الرائعة "كفرصةٍ للجسد".

الإيمان المخلِّص

يوضِّح الكتابُ المقدس أن الإيمان هو الأداة التي نخلص بها. "الإيمان وحده" (وليس الإيمان بالإضافة إلى هذا أو ذاك) هو الأداة الوحيدة التي عن طريقها نرتبط بالمسيح حتى نحصل على نعمة الخلاص الإلهية.

استخدم **اللهُ** في وقت الإصلاح الديني في القرن السادس عشر رجالاً مثل مارتن لوثر وجون كالفن كي يعيد حقيقة الخلاص بالإيمان وحده إلى الكنيسة. في ذلك الوقت، كان هناك الكثير من الأفكار والمناقشات بشأن "الإيمان المخلِّص" وسريعًا ما حدث إجماع في الآراء بشأن ثلاثة عناصر أساسية:

- المعرفة
- التصديق
- الثقة

المعرفة

الإيمان المخلِّص ليس بلا عقل؛ فهو لا يحدث هكذا في الفراغ العقلي. إنه ليس جهلاً أو خرافةً أو سذاجةً. لكن الإيمان المخلِّص له حد أدنى من المعرفة التي يجب أن نتلقاها ونفهمها ونعتنقها.

لا نستطيع أن نؤمن بلا شيء – يجب أن يكون هناك موضوع ومحتوى صحيح للإيمان. الإيمان في حد ذاته هو بلا معنى وحتى أقوى المعتقدات الإيمانية التي يعتنقها أصحابها بإخلاص هي بلا معنى إن لم تكن صحيحةً.

يجب أن يكون واضحًا لنا أنه قبل أن تكون لنا علاقة شخصية مع **الله**، علينا أن ندركه كشخص؛ أي يجب أن يكون لنا بعض الفهم الواضح للأمور التي نؤمن بها ولمن نؤمن به. قبل أن نؤمن بـ**الله**، علينا أن نؤمن بأن **الله** هو من يقول عن نفسه إنه هو.

وهذا يعني أننا يجب أن نؤمن ببعض المعلومات الأساسية الصحيحة عن **الله** حتى نخلص. ربما لا تكون هذه المعلومات كثيرةً لكنها تمثل شيئًا على الأقل، على سبيل المثال، لو كنا سنخلص بالإيمان، فيجب أن نؤمن أن **الله** هو من يريد ويشاء ويقدر أن يخلِّصنا بالإيمان.

وحتى على الرغم من أننا لا نحتاج إلى أن نعرف عن **الله** وعن الخلاص معرفةً كاملةً حتى نخلص، إلا أنه يجب أن يكون لدينا بعض المعرفة العقلية الصحيحة. على سبيل المثال، إذا قلنا إننا نؤمن بيسوع لكن نؤمن أنه مجرد معلِّم بشري صالح مات وظل ميتًا، فإن إيماننا بيسوع هذا لن يخلِّصنا؛ لأن موضوع إيماننا ليس صحيحًا ويفتقد إلى قوة الخلاص.

يحاول الشيطان أن يضمن أن يكون إعلاننا للبشارة إما جافًّا أو أكاديميًّا حتى يكون مفتقرًا إلى المشاعر التي تحرِّك الناس، أو قائمًا بصورةٍ كبيرةٍ على التجربة لدرجة تفتح المجالَ للخرافة والأفكار الخاطئة. إننا مدعوون باعتبارنا الكنيسة إلى محاربة الأفكار الروحية الخاطئة واختلال التوازن الروحي والهرطقات بقدر ما نحن مدعوون إلى محاربة الموت والجفاف

الروحي. الحق مهم ولا يستطيع أحدٌ أن يخلص دون محتوى واقعي صحيح للإيمان.

التصديق

التصديق العقلي هو العنصر الأساسي الثاني من عناصر الإيمان المخلِّص، وهو يتضمَّن الثقةَ الثابتةَ أو الاقتناع العميق بأن فرضيةً معينةً هي صحيحة. نتناول هذه النقطة في كتاب "الإيمان الحي"؛ حيث نوضح أن "الاقتناع الثابت" هو قلب كل الإيمان الكتابي وجزء من معنى كلمة "إيمان".

يعتقد بعضُ الناس أن هناك قيمةً روحيةً جوهريةً لمحاولة فهم شيء. لكن التصديق يجب أن يكون دائمًا تصديقَ حقيقةٍ. من الحماقة أن نخبر رجلاً أعرج أن يؤمن أن بإمكانه أن يمشي بينما لا يستطيع أن يمشي فليس لهذا علاقة بالإيمان الكتابي.

لكن المؤمنين يحاولون في الواقع أن يحثوا الناس في بعض الأحيان على أن يؤمنوا بشيء صحيح مثل أن المسيح مات عن خطايانا، لكن بدون "الاقتناع الراسخ" و"التصديق العميق" لن يكون هناك إيمان مخلِّص مهما حاولوا جاهدين أن يؤمنوا.

ربما يريدون أن يؤمنوا بأن يسوع مات عن خطاياهم، وربما يحاولون فهم هذه الحقيقة. لكن الإيمان المخلِّص لا يمكن أن يُوجَد حتى يقتنعوا اقتناعًا راسخًا بأن يسوع مات فعلاً عن خطاياهم.

لكن حتى المعرفة الكاملة والاقتناع الراسخ لا يكفيان في حد ذاتهما لتشكيل الإيمان المخلِّص. الشيطان يعرف أن يسوع هو ابن **الله** وهو يصدِّق أن يسوع هو ابن **الله** ومع ذلك يفتقد للإيمان المخلِّص؛ لأنه يرفض أن يثق في يسوع كابن **الله**.

الثقة

يبدأ الإيمانُ المخلِّص عندما نضيف "إرادتنا" لمعرفتنا وثقتنا، عندما نتوقف عن قول "لا" لله ونبدأ في قول "نعم" له، عندما نبدأ في التصرف بطريقةٍ مبنيةٍ على "اعتقادنا الراسخ"، وعندما نأخذ أول خطوة ثقة في الله على أساس معرفتنا وتصديقنا.

البشرية الساقطة ترفض الله وتفضِّل الظلمة على النور، والأنانية على الذبيحة، وتختار ما تريد وترفض ما يقدِّره الله. الثقة إذًا تتضمَّن تغيُّرًا في قيَمِنا وتوجُّهاتنا ووجهات نظرنا؛ حيث كنا قبلاً غير مبالين بيسوع، نختار الآن أن نقبله، وحيث كنا قبلاً ضد الله، نتوجَّه إليه الآن بقلوبٍ مفتوحةٍ، وحيث كنا قبلاً غير مدركين لمنزلتنا أمام الله، نتوقِ إليه الآن كي يغيِّرنا.

هذه أمور أساسية لفهمنا للولادة الثانية كما يعلِّم يسوع في (يوحنا ٣: ٣ – ١٥). إن عمل الروح في جذب الشخص إلى الإيمان بيسوع المسيح هو عمل عميق وغامض. لو أنه كما يقول يسوع: "الريح تهب حيث تشاء"، فكم نتوقع من روح الله صاحب السلطان أن يتصرف بحريةٍ وغموض في أعماق القلب الإنساني. الأمر ببساطة هو أنه بدون تدخل الروح في حياتنا، لا يمكن أبدًا أن نخلص كما يوضح (يوحنا ٣: ١٩ – ٢١). لقد أحببنا الظلمةَ أكثر من النور ولم تكن لدينا أية رغبة أو قدرة على المجيء إلى الله بأنفسنا. لم يكن بإمكاننا أبدًا أن نلتفت إلى الله أو نؤمن بابنه أو نستجيب لمشيئته إن لم يكن قد أعطانا حياةً جديدةً. لذلك فإن خير فهم الولادة الثانية هو أنها عمل غير مُدرَك للروح يسبق الإيمانَ. وهي أيضًا عمل عميق غير مُدرَك للروح ندين له بكل استجابة واعية في قلوبنا لله ابتداءً من إدانة الخطية إلى الاعتراف بالإيمان.

الاختيار المسبَق للخلاص

تأتي بنا هذه المناقشة إلى موضوع الاختيار المُسبَق؛ أي اختيار **الله** لأشخاص معيَّنين للخلاص الأبدي – تلك العقيدة القائلة إن **الله** اختار منذ الأزل أشخاصًا بعينهم كي يحضرهم إليه ويدخلهم في علاقةٍ أبديةٍ معه. يتحدث الناسُ في بعض الأحيان عن "اختيار مسبق مزدوج" مقابل "اختيار مسبق فردي". الاختيار المزدوج يقول إن **الله** اختار البعض للحياة الأبدية (وهو ما يشار إليه بالتعيين) والبعض الآخر للموت الأبدي (وهو ما يشار إليه بالرفض).

على الرغم من أن الرسول بولس يؤكد على عقيدة الاختيار المسبق في (رومية ٨: ٢٩ – ٩: ٣٣) و(أفسس ١: ٤ – ٥) وعلى الرغم من أن أجزاء كتابية أخرى مثل (خروج ٣٣: ١٩) و(يوحنا ٦: ٤٤ و١٥: ١٦) و(أعمال ١٣: ٤٨) تؤكد عليها، إلا أن الاختيار المُسبَق هو أكثر العقائد الكتابية إبهامًا وإرباكًا. كما أنها تفوق الفهم البشري بكل تأكيد، لكن من المهم جدًّا أن نصارع معها حتى نفهم مبدأ الخلاص بالنعمة فهمًا صحيحًا.

الفهم التقني الدقيق لعقيدة الاختيار المُسبَق ليس مباشرًا. قال البعض إنها مساوية لمعرفة **الله** المُسبَقة عن رد فعل كل شخص للبشارة. ولذلك فإن اختيار **الله** المُسبَق هو ببساطة منح الحياة الأبدية لمن يعرف مُسبَقًا أنهم سيستجيبون للبشارة.

لكن مثل هذا الرأي يفشل في أن يأخذ في الاعتبار الفساد الكلي للإنسان الساقط لدرجة تجعله غير قادر بالمرة على أن يطلب الخلاصَ لنفسه أو حتى يطلب من **الله** أن يساعده في المقام الأول (أفسس ٢: ١ – ٣). وهذا يعني أن مبادرة الخلاص يجب أن تأتي حتمًا من **الله**. إنها عمل نعمة خالص يبحث عن الخطاة في خطيتهم ثم يخلصهم ويثبتهم.

تأخذ عقيدة الاختيار المُسبَق في اعتبارها خطورة الخطية وتعظِّم نعمة **الله** للخلاص. لكن البعض يرفضونها لاعتقادهم بأنها تعلِّم عقيدة الرفض،

وهي الجانب السلبي لعقيدة الاختيار المُسبَق والتي تقول إن **الله** يترك الناسَ في خطاياهم بينما في استطاعته أن يخلِّصهم ثم بعد ذلك يدينهم ظلمًا على هذه الخطايا.

لكن الأمر ليس كذلك ولسنا في حاجةٍ إلى تبنِّي فكرة الرفض أو الاختيار المُسبَق المزدوج. **الله** يختار البعضَ من بين جموع البشرية الساقطة حتى يحصلوا على الخلاص. وليس هذا بظلم؛ لأن العدل يقتضي إدانة **الله** لكل البشرية. الأمر ببساطة هو أن المدانين يأخذون ما يستحقونه لكن المختارين أو المُعيَّنين يأخذون أكثر ممَّا يستحقون. وهذا يعني أن الذين يذهبون إلى السماء لا يذهبون بسبب أعمالهم الأفضل أو أخلاقياتهم الأسمى. لكن **الله** في نعمته وتبعًا لقصده وسلطانه، اختار هؤلاء للحياة الأبدية. لكن كل الذين يذهبون إلى الجحيم يذهبون بسبب أعمالهم وخطيتهم.

البشر ليسوا في موضع الحكم على ما يفعله **الله**. **الله** هو خالق كل الأشياء وهو حرٌّ في أن يفعل ما يشاء. لكن عقيدة الاختيار المُسبَق تنبع في الأساس من لاهوت السلطان الإلهي والفساد البشري وبصفةٍ خاصة من لاهوت النعمة. لكي تكون النعمة نعمةً، يجب أن يكون **الله** حرًّا في أن يعطيها أو يمنعها. لو أن النعمة تُقدَّم على أي أساس آخر، فهي ليست عطيةً بعد لكنها مكافأة على عمل أو موقف يستحق التقدير ويجب على **الله** أن يكافئه، لكن لو أن النعمة هي عطية – لو أن الخلاص والإيمان هما عطية **الله** – فإن عقيدة الاختيار المُسبَق هي النتيجة الطبيعية لذلك؛ لأنه من الواضح أن العطية لا تُعطَى للكل.

لكن اختيار البعض للحياة الأبدية هو عمل مشيئة **الله** صاحب السلطان. كما أن الاختيار للخلاص لا ينفي الحاجةَ إلى الكرازة؛ لأننا ببساطة لا نعلم من هم المختارون ومن هم المرفوضون. كما أن جهودنا في الكرازة والتبشير هي الوسيلة التي يستخدمها **الله** كي يحضر المختارين إلى الخلاص (رومية ١٠: ١٤). لكنه يعني أنه لا يجب علينا أن ننتقد أنفسنا

عندما يرفض البعضُ المسيحَ. لو قمنا بكل ما علينا، فعلينا أن نترك الباقي **لله** (يوحنا ٦: ٣٧، ٤٤).

نجد أفضل توضيح لهذه الموازنة في وصف الواعظ لباب السماء: بينما ندخل من باب السماء نقرأ اللافتة المُعلَّقة التي تقول: "من يشاء فليدخل". لكن بمجرد أن ندخل من الباب نقرأ اللافتة المُعلَّقة على الجانب الآخر من الباب والتي تقول "مختارون منذ تأسيس العالم". المقصود من مبدأ الاختيار هو طمأنة المؤمنين وليس التسبُّب في المناقشات الفلسفية البشرية. المقصود من هذا المبدأ هو تذكيرنا بأن الخلاص هو بكامله من عند **الله** وليس به أي شيء من عندنا. إننا مُخلَّصون بالنعمة من البداية إلى النهاية. تجعلنا هذه النعمة نشعر بالتواضع وفي مواجهتها نجد أن كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نقبل هذه النعمة بإيمانٍ بسيط، وأن نعيش في طاعةٍ شاكرة لمشيئته المُحِبَّة في حياتنا.

لذلك فإن رد الفعل الصحيح تجاه هذه العقيدة ليس هو الدخول في مناقشاتٍ فلسفية أو حتى لاهوتية (على الرغم من أهميتهما) بل فتح قلوبنا بتسبحة شكر **لله**. أفضل رد فعل لهذا التعليم الكتابي هو قلب مستسلم لمجد **الله** ويحيا فيه، لذلك عندما واجه يسوعُ هذه القضية في خدمته على الأرض كما نقرأ في (متى ١١: ٢٥ – ٢٧) قبل بفرح مقاصدَ **الله** للخلاص وذلك بتسبيح الآب على خطته الرائعة لإظهار ذاته للبعض وليس للبعض الآخر. في (رومية ١١: ٣٣، ٣٦) ينهي بولسُ هذا الأصحاح العميق عن الدعوة والاختيار بتسبحة شكر قوية لا تُنسَى يقول فيها: "يَا لَعُمْقِ غِنَى **اللهِ** وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ". وهذا يلخص الأمر كله.

مُبرَّرون بالإيمان

بدأنا هذا الكتاب عن الخلاص بمناقشة الأمر من وجهة نظر **الله**؛ حيث تساءلنا: "كيف استطاع أن يظهر محبته في المغفرة للخطاة دون أن يدمر قداسته؟ وكيف استطاع أن يظهر قداسته في عقاب الخطية دون أن يتخلى عن محبته؟" ثم أوضحنا بعد ذلك أن **الله** حل هذا الأمر عن طريق إرضاء ذاته – محبته وعدله – على الصليب من خلال دم ابنه.

والآن في ختام هذا الكتاب نفكر في أمر الخلاص من وجهة نظرنا.

في "اليوم الأخير" سوف نُستَدعَى للمثول أمام ديَّان الأرض كلها أمام القدوس العادل الذي يعرف كلَّ شيء عنا. كيف سنستطيع الوقوف أمامه؟ كيف سيستطيع أيُّ شخص أن يقف أمامه؟

لقد أمرنا **اللهُ** أن نكون مُقدَّسين، لكن خطيةً واحدةً تجعلنا لا نتماشى مع مقاييسه. بمجرد أن نخطئ مرةً واحدةً، لا نستطيع أبدًا أن نوفي مطالب **الله** مهما حدث.

الله في نعمته غفر لنا نتائج خطايانا – غطاها وأزالها، لكن هذا لا يغيِّر من حقيقة أننا أخطأنا ذات مرة. ربما تكون خطيتنا قد أُبعدت وربما نكون نحن قد غُسلنا وتطهَّرنا، لكن شيئًا من هذا لا يغيِّر من حقيقة أننا وُجِدنا ناقصين في موازين **الله**.

ربما يكون **الله** قد أعطانا حياةً جديدةً وقدَّسنا. ربما يكون قد غيَّرنا وجدَّدنا، وربما يجعلنا كاملين في المستقبل، لكن كل هذا لا يغيِّر ما حدث وعلينا أن نقف أمام **الله** بحقيقة أن خطيتنا في الماضي ترسل بنا إلى الدينونة.

السؤال الوحيد المهم عن الخلاص من وجهة نظرنا هو: "كيف يمكن أن يبرِّر **اللهُ** الخاطئ؟" لأن **الله** في عدله يبرِّر فقط من يراهم أبرارًا.

يجب أن يكون واضحًا لنا أنه بإمكاننا أن نأمل في التبرير فقط إن كنا نمتلك البرَّ الكامل، لكن كل صلاحنا تُذهِبه خطيةٌ واحدةٌ، إلا أننا نستطيع أن

نمتلك البر الكامل إن أخذناه من شخص عاش حياةً كاملةً، شخص جُرِّب في كل شيء مثلنا لكنه كان مطيعًا تمامًا وبلا خطية في الفكر والقول والفعل، من الإنسان يسوع المسيح.

إن رجاءنا الوحيد في الوقوف أمام **الله** في اليوم الأخير يتمثَّل في إمكانية حصولنا على بِرِّ حياة المسيح الكامل الذي بلا خطية ولبس هذا البر؛ ففي النهاية هذا هو ما يهم بالنسبة لنا وهذه هي أهم قضية تتطلَّب حلاً.

إن حقيقة البشارة العُظمَى وربما أعظم حقيقة في الكتاب المقدس هي أن **الله** يبرِّر الخطاة بالإيمان، وأنه يعلن الخطاةَ أبرارًا على أساس بر المسيح، وأنه يقبل الخطاة المذنبين في محضره كما لو كانوا أبرارًا كاملين.

لأن **الله** في نعمته ورحمته نسب بِرَّ المسيح لنا (ونحن نثق في هذا فقط من أجل خلاصنا) حُسبنا أبرارًا. إننا مثل إبراهيم أبرار بالاحتساب على الرغم من أننا أخطأنا وعلى الرغم من أننا مُعرَّضون لتكرار هذا الخطأ.

إننا نعلم ونثق أن المسيح دفع ثمنَ القصاص المُستَحَق على خطايانا، وأنه حمل نتائجَ خطايانا وسقطاتنا وتحمَّل عقابَ ذنوبنا وأبعد عنا خطايانا وأرضى غضبَ **الله**.

لكننا لا نحتاج إلى مجرد بديل يحل مشكلة خطايانا وسقطاتنا من خلال موته، إنما نحتاج أيضًا إلى بديل يمنحنا كماله من خلال حياته.

إن قصة حياة يسوع لم تكن مجرد تمهيد للصليب؛ فهو لم يقضِ ٣٣ عامًا هكذا بلا معنى فقط يعد الوقت لعمل الخلاص على الصليب. لكن حياته كلها كانت من أجل خلاصنا. لقد كانت طاعته الكاملة في حياته مهمةً جدًّا لخلاصنا بنفس قدر طاعته الكاملة عند موته؛ لأن هذه الطاعة هي التي أحدثت البر الذي يعطيها الآن لمن يؤمنون به.

كيف سنقف إذًا أمام **الله** في اليوم الأخير؟ الأمر بكامله يتأسَّس على إيماننا في بر المسيح الذي يقدِّمه لنا كما قدَّم الأقمصة الملطَّخة بالدم لآدم.

ويبقى السؤال الذي على كل فردٍ في البشرية أن يسأله، وهو السؤال الذي أُثِير في أول لحظة من لحظات النعمة في جنة عدن: "هل نثق في عطية **الله** ونقبل الملابسَ الجديدة (التي ستغطي خطيتنا وتزيل خوفنا وتُعدُّنا لمهمتنا الجديدة)؟ هل نقف عريانين أمام **الله** ونسمح له بأن يُلبِسنا برَّ المسيح؟ هل نعتمد عليه أم نتمسَّك بأوراق التين – نتمسك بأفكارنا الدينية وجهودنا الشخصية – وندير ظهورَنا لنعمة **الله** ونظل في قبضة مخاوفنا وذنوبنا وعارنا؟"

إن البشارة العظيمة التي نحن مدعوون لإعلانها هي "الخلاص بنعمة **الله** وحدها، بالإيمان بيسوع المسيح وحده". ليست هناك أية رسالة أخرى هي أخبار **الله** السارة. ليست هناك أية رسالة أخرى هي طريق الحياة الجديدة. وليست هناك أية رسالة أخرى لها أية آثار أبدية.

لقد فعل **الله** كلَّ شيء يلزم لخلاص العالم الذي يحبه من خلال ذبيحة حياة وموت ابنه. وقد ائتمننا **الله** على أخبار هذا الخلاص العظيم وعلينا أن نعلن الرسالة الكتابية الخالصة عن النعمة المخلِّصة والإيمان للتائهين الهالكين المحتضرين من حولنا.